


موسوعة أشهر الثوار في العالم






دكتور
الحسينى الحسينى معدى





موسوعة أشهر الثوار فى العالم

إعداد

د/ الحسيني الحسيني معدِّى

دار النهار

موسوعة أشهر الثوار فى العالم

د/ الحسيني الحسيني معدًى

رقم الإيداع : ٢٠١٢/٢٠٥٣
الطبعة الأولي: ٢٠١٢

دار النهار للنشر والتوزيع
١٥شارع الفاروق عمر بن الخطاب – طالبية- فيصل- الجيزة
ت:٣٧٢٤٩١٩٢-٠١٠٦٧٨٣٣٠٤٤-٠١١١٠٣٤٤٩٤٥
E-Mail:dar-alnahar@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بظن الطغاة والمفسدون فى الأرض أن القوة لا تتخلى عنهم، وأنهم على حق فيما يفعلون، وأن الشعب عبيد لهم، وأنه لا حد لما يصنعون، ونسوا أن لكل طاغية نهاية. ويسعدنا أن نقدم للقارئ العربى هذا الكتاب: (أشهر الثوار فى العالم) إيمانا منا بعظمة ومكانة هؤلاء الأحرار الذين ضحوا بأرواحهم فى سبيل تحرير أوطانهم من الطغيان والاستبداد.. وأخلصوا فى خدمة بلادهم فحاربوا واستشهدوا فى سبيل عقيدة يؤمنون بها.

فتحية إجلال وتقدير من كل شعوب الأرض للثائرين الشرفاء الشهداء فى العالم الذين ثاروا على الأنظمة المستبدة، وحطموا قيود الظلم والاستبداد والاستعباد كى تشرق شمس الحرية فى بلادهم، وتسود روح العدالة والحرية والكرامة والرفعة لأبناء شعوبهم.. فطوبى لمن غيروا وجه التاريخ وصنعوا المجد والفخر والعزة لأوطانهم، وصاروا نموذجًا يحتذى به كل الأجيال عبر الزمن.

د. الحسينى الحسينى معدّى

أبراهام لنكولن

أبراهام لنكولن Abrahan Lincolh الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية، ولد عام ١٨٠٩م فى محافظة هاردن Hardin التى تعرف اليوم بلارو La-rue فى ولاية كنتاكى Kentucky . فى كوخ من جذوع الأشجار، كان يقيم فيه والده توماس Thomas الذى كان يعمل نجاراً بالولاية نفسها، أمه نانسى هانكس Nancy Hanks . لا يعرف عنها كثير. عرف أبراهام فيما بعد بألقاب عدة «أبيه لنكولن» Abe Lincolin و «أبيه الأمين» Abe Honest و «ناشر قضبان الأسيجة الخشبية» Rail - Splitter ، و «المحرر العظيم» Great Emancipator .

انتقل مع أسرته سنة ١٨١٦ إلى إنديانا Indiana، حيث أقامت فى مقاطعة ليتل بيجون كريك Little pigeon Creek التى تعرف اليوم باسم سبنسر Spencer، ولما كانت تلك الأسرة من أتباع الكنيسة المعمدانية كان لنكولن من مناصرى الدعوة إلى تحرير العبيد من رق العبودية، وهذا ما يعلل قوله بعد: «أنا ضد العبودية بطبعى، ولا أذكر أبداً متى لم أكن أفكر وأشعر هكذا».

فى العام ١٨٢١ انتقل أبراهام إلى قرية نيو سالم New Salem فى مقاطعة سانغامون Sangamon قرب سبرينغفيلد Springfield، وأخذ يعمل فى التجارة ونقل البضائع من قرية نيو سالم بقوارب مسطحة إلى نيو أورلينز New Orleans.

تزوج من امرأة كنتاكية ذات حسب، هى مارى تود Mary Todd فى نوفمبر ١٨٤٢، وأنجبا أربعة أولاد، هم: روبرت تود Robert Todd وإدوارد بيكر Edward Baker، ووليام والاس William Walace وتوماس «تاد» Thomas Tad.

بدأ حياته السياسية فى العام ١٨٣٢ بترشيح نفســه لعضوية الجمعية العمومية لولاية إلينوى Illinois عن حزب الـهويغيـين Whigs الذى تحـول فيـما بعد إلى الحـزب الجمهورى، وهو حزب مناهض للحزب الديمقراطى.

خدم برتبة نقـيب فى ميليشيا إلينوى فى أثناء حرب الـصقور السود Black Hawk War، ثم درس القـانون بتشجـيع من عضـو المجلس التشـريعى الهويغـى جون تود ستيوارت John Todd Stuart، وأصبح محاميًا سنة ١٨٣٦، وغادر إلى سبرينغفيلد، وشرع فى ممارسـة المحاماة مـع ستيـفن ت. لوغان Stephen T. Logan فذاع صيـته وأثرى.

مثل مقـاطعة سانغامون فى مـجلس نواب إلينوى لدورات متتاليـة عدة، وفى عام ١٨٥٦ التحق بالحزب الجـمهورى الناشئ حديثًا. ومن أبرز آرائه أنه عد العـبودية شرًا لابد من التخلص منه، وفى عام ١٨٥٨ رشح نفسه لعـضوية مجلس الشيوخ، وألقى خطابه الانتخابى الافتتاحى فى تموز / يوليو من العام نفسه، لخص فيه مستقبل أمريكا لسنوات عديدة قادمة، إذ قال:

«البيت الـذى ينقسم على نفـسه لا يستطيع الـبقاء، وأعـتقد أن هـذه الحكومة لا تستطيع أن تتـحمل إلى الأبد أن يكون نصفها عـبيدًا ونصفـها أحرارًا، ولا أتوقع أن ينفـرط عقـد الاتحاد، ولا أتوقع أن ينهـار البـيت، ولكنى أتوقع أن انقسـامه سـوف يتوقف».

رشح الحزب الجمهورى أبراهام لنكولن لمنصب الرئاسة فى انتخابات العام ١٨٦٠، ففـاز بـ ٣٩٪ من الأصـوات الشعـبية، وبـ ١٨٠ صـوتًا انتـخابيًـا، وقد أثار نجـاحه الجنوبيين المؤيدين للعبـودية، وهى إحدى عشرة ولاية أعلنت انفصـالها عن الحكومة

الاتحـادية، وهذه الولايات هى فرجـينيـا، كاروليـنـا الجنوبية، كـاروليـنا الشـماليـة، جيـورجيا، المسـيسـيبى ، فلوريدا، لويزيانا، تكسـاس، أركنساس تنيـسى، ألاباما، وقررت إقامة اتحـاد كونفدرالى فيمـا بينها ، وكونت حكومة مؤقتـة أطلق عليها اسم (الولايات الأمريكية المتحالفة).

غيـر أن أبراهام لنكولن أعلن فى خطاب الولاية الافتـتاحى الذى ألقـاه فى مارس ١٨٦١ أنه لا يعترف بانفصال تلك الولايات، وعـد إعلانها لدستورها ملغى وباطلاً، ودعا إلى إعادة اللحمة بين الولايات الأمريكية كلها، ولكن الانفصاليين صموا آذانهم عن دعوته هذه، واندلعت نيران الحرب الأهلية فى أبريل من العام نفسه. وكان القائد العسكرى للجنوبيين المناصرين للعبودية الجنرال لى Lee والقائد العسكرى للشماليين المناهضين لها الجنرال غرانت Grant.

وبعد انتـصار الشماليـين أصدر أبراهام لنكولن إعلانه القـاضى بتحرير العبـيد فى الولايات المتحـدة قاطبة بدءًا من عـام ١٨٦٣، وفى العام نفســه دشن الرئيس لنكولن المقبرة القوميـة فى غيتسبورغ Gettysburg حيث ألقى خطابه الشهيـر الذى قال فيه: «لقد عقدنا العزم على أن هؤلاء الموتى لم يموتوا عـبثًا وأن هذه الأمة سوف تتمخض عن ولادة حرية جديدة بعـون الله، وأن حكومة الشعب التى أقامهـا الشعب لمصلحة الشعب لن تزول عن وجه الأرض أبدًا».

وفى العام التالى فـاز لنكولن بمنصب الرئاسة للولاية الثانيـة، وقد جاء فى خطابه الافتتاحى ما يأتـى: «بفضل نبذ الحقد تجاه أى أحد، وبالإحسان للـمجتمع، وبالحزم فى الحق، كما أرانا إياه الله، هلموا جميعًا ننجـز العمل الذى نقوم به لتضميد جراح الأمة، والعناية بمن تحـمل عبء الحرب، وأرملته وابنه اليـتيم، لنعمل كل مـا يحقق السلام العادل والدائم، ورعايته فيما بيننا وبين الأمم قاطبة».

فى أبريل من العام ١٨٦٥ وضعت الحرب الأهلية أوزارها باستسلام قائد الانفصاليين الجنرال لى. وصرح الجنرال المنتصر غرانت أمام جنوده المبتهجين بالنصر قائلاً: «يظل المتمردون أبناء وطننا» فهدأ حماس الجنود للانتقام من أعدائهم الجنوبيين، وتحول لنكولن فى نظر الشماليين ليصبح البطل الأعظم، أعاد للأمة الأمريكية لحمتها الوطنية. وبعد يومين من استسلام الجنرال (لى) ألقى لنكولن خطابه العام الأخير الذى كشف فيه عن سياسته الهادفة إلى إعادة بناء الوطن.

فى أبريل حضر وزوجته مسرحية «ابن العم الأمريكى» The American Cousin فى مسرح فورد، وبينما كان جالسًا فى قمرته تسلل إليه ممثل من فرجينيا اسمه جون ويلكس بوث John Wilkes Booth، وأطلق النار على رأسه وهو يصيح: «هذه هى نهاية الطغاة... لقد انتقم الجنوب». قبض على القاتل وشركائه ونفذ فيهم حكم الإعدام بعد بضعة أيام.

* * * *

إرنستو تشى غيفارا

إرنستو تشى غـيفارا Ernesto Che Guevara (تشى لقب يعنى الرفيق) أحـد أشهر مناضلى أمـريكا اللاتينيـة والمفكرين الثـوريين فى القـرن العـشـرين، وهو من أصل أرجنتـينى، ولد فى مـدينة روزاريو فى الأرجنتيـن عام ١٩٢٨م. وهو ابن عـائلة من الطبقة المتوسطة فى المجـتمع، والده مهندس معمارى ذو نزعـات إصلاحية وطوباوية رومنسية فى التفكير السياسى، كانت والدته سيدة مثقفة ذات اتجاه يسارى، وهو الأخ الأكبـر لإخوته الخمـسة، أصيب بالربو وهو فى الثـانية من عمـره، وبقى يعانى هذا المرض طوال حياته، ومع ذلك استـمر فى تأدية جميع المهمات التى اخـتارها بوصفة ثوريًا مناضلاً.

تلقى معظم تعليمه الابتـدائى على يد والدته، وقد أتاحت له مكتبة والده الاطلاع على أعمال هيغل Hegel وماركس Marx وإنغلز Engels وفرويد Freud، وكان من المعجبـين بالشاعر التشيلى الشـيوعى بابلو نيرودا P. Neruda، كل ذلك جعله يحظى بفكر متمـيز، وكان من الممكن أن يصبح رجل أعمال ناجـحًا، ولكنه تحول من رجل ثروة إلى رجل ثورة.

التـحق بالمدرسة الـثانوية عـام ١٩٤١. وعـاش الأزمات السـياسـيـة الخانقـة فى الأرجنتين إلى جانب الظلم الاجتماعى الذى كانت تعانيه شعوب أمريكا اللاتينية، مما جعله يضمـر أشد الحقد والاحتـقار للإمبريالية، وفى عـام ١٩٥١ قام برحلة مع أحد أصدقائه إلى عـديد من دول القارة الأمريكية الجنوبيـة، واطلع عن كثب على أوضاع

الشعـوب المأساوية التى جعلـته أكثر إصـراراً على التزام الدفـاع عن قضايا الشـعوب المضطهدة وتحريرها من الظلم والاستعباد.

تخرج فى كلية الطب فى عام ١٩٥٣م، وبدأ مرحلة جـديدة فى حياته، فقد غادر بوليفيا وغواتيـمالا والتحق بالمناصرين للنظام الشيوعى بقيـادة «جاكوبو أربنز غوزمان» Jacobo Arbenz Guzman، وبعد إسـقاط غوزمـان ارتحل إلى المكسيك حـيث التقى بالشقيقين فيديل وراؤول كاسترو.

توطدت عرى الصداقـة بين غيفارا وكاسـترو، وقرر أن يخوض إلى جانبه مـعركة تحرير كـوبا من الدكتاتور «باتيـستا» الموالى للولايات المتـحدة، وترأس مجمـوعة من المقاتلين وكان قائداً موهوباً ومقاتلاً شرساً يتمتع بصلابة فريدة ومعنويات قل نظيرها، وقد انتـهت حرب التـحرير الكوبـية بالنجـاح، وتم إسقاط النـظام الدكتـاتورى عام ١٩٥٩.

وبعد انتصار الثورة منح الجنسيـة الكوبية، وعين رئيساً للبنك الوطنى فى كوبا، ثم عهـد إليه بمنصب وزير الصناعـة، وكان يدعو باسـتمرار إلى قطع كل العـلاقات مع الولايات المتحدة الأمـريكية، مما جعل الولايات المتحدة تصنفه بأنه ألـد أعدائها وأحد أهدافها.

وفى عام ١٩٦١م قام بزيارة مـعظم الدول الاشتراكية، بما فـيها الاتحاد السوفـييتى والصـين الشعـبيـة، والتقى الرئيس جـمال عـبد الناصـر، ومثل بلاده فى عـدد من المؤتمرات الاقتصادية والسياسية التى عقدت فى ذلك العام.

كان غـيفارا من أبرز دعـاة الخط الاشتراكى الشـيوعى فى الثـورة الكوبية، ويؤمن بوحدة أمـريكا اللاتينية وتحريـر شعوبها، ولا سـيما بلده الأرجـنتين، ومن أجل هذا الهدف غادر كوبا وتخلى عن جميع مناصبه وعن الجنسـية الكوبية، وكان إيمانه كبيراً بخلق أكثر من فـيتنام، كما كانت لـديه قناعة كاملة بتنظيم الفلاحـين وقيادتهم لبلوغ

أهدافـهم الكبيـرة، وعلى هذا الأساس غـادر كوبا عـام ١٩٦٥م، ووجه رسـالة إلى صديقه كاسترو ويخبره فيهـا أن مهمته الثورية فى الجزيرة قد أنجزت، وأن بلاداً أخرى فى حاجـة إليه، وإن من أقدس واجـباته النضال ضد الإمـبريالية ورمـوزها فى القارة الأمريكية.

قاتل فى الكونغو مع الثوار، ثم غادرها بعـد شهور عدة، وفى عام ١٩٦٦م انتقل إلى بوليفيا متخفيًا لقيادة الثورة فيـها، ولكن مجموعته الصغيرة لم تنجح ، فقد وقع فى كمين نصبته له القوات البوليفية، وعلى الرغم من شجاعة مقاتليه واستبسالهم فلم يستطيعـوا الإفلات، وأصيب غيفارا فى فـخذه ثم قبض عليه حيًا بالقرب من مدينة سـانتاكـروز، وقد شـاركت أطراف عديدة فى مـؤامـرة القبض عليـه وعلى رأسهـا المخابرات المركزية الأمريكية. وتم إعدام غيفـارا بالقرب من قرية جبلية تبعد ٧٧٠ كم جنوب العاصمة لاباز، ودفن فى نهاية مدرج قديم لهبوط الطائرات، وبقيت الساعات الأخيرة من حياته غامضة، وقد كشف عن هذا الأمر فى عام ١٩٩٧م فى إحياء ذكرى استشهاده الثلاثين.

نقلت رفاته إلى العاصمة الكوبية هافانا، حيث دفن باحتفال جماهيرى حاشد. ولا تزال شخـصية غـيفارا مـثارًا للجدل، فـقد عده جـان بول سارتر «أكـمل إنسان فى عصرنا»، ووصفه رفيق دربه «بوريغو» بأنه: «شخصية صريحة وصارمة وقاسية ولكنها محبـة للناس، حمل كل صفـات المناضل والمثقف الثورى، وكان أبعـد ما يكون عن التطرف والانتهازية، ويكره المناصب والمال».

رأت فيه الملايين من شعـوب العالم بطلاً ورمزًا للتضحيـة والعطاء. من مؤلفاته : «حرب المليشيات» ١٩٥٩ ، و«الاشتراكية والإنسان فى كوبا» ١٩٦٦ .

تدل كتاباته على أصالة فكره السـياسى. كانت ماركسيته ثورية برولـيـتارية وعالمية، وكان هدف الاشتراكية عنده خلق إنسان جديد متحرر من جميع أشكال الاغتراب.

أدولف هتلر

٣٠ نيسان / أبريل ١٩٤٥.

قائد حزب العمال الوطنى الاشتراكى وزعيم ألمانيا النازية من الفترة ١٩٣٣ إلى ١٩٤٥، فى الفترة المذكورة كان يشغل منصب (مستشار ألمانيا) ورئيس الحكومة والدولة.

كان هتلر خطيبًا مفوهًا ويحظى بجاذبية قوية وحضور شخصى لا يخفى عن العيان. ويوصف الرجل كأحد الشخصيات اللامعة فى القرن العشرين، ويعزى له الفضل فى انتشال ألمانيا من ديون الحرب العالمية الأولى، وتسييد الآلة العسكرية الألمانية التى قهرت أوروبا. فقادت سياسة هتلر التوسعية العالم إلى الحرب العالمية الثانية ودمار أوروبا بعد أن أشعل فتيلها بغزوه لبولندا.

وبسقوط العاصمة برلين فى نهاية الحرب العالمية الثانية أقدم هتلر على قتل نفسه وعشيقته أيفا براون فى قبو من أقبية برلين، بينما كانت برلين غريقة فى بحر من الخراب والدمار.

مولده ونشأته:

بمغيب شمس الـ ٢٠ نيسان / أبريل ١٨٨٩ وضعت كلارا هتلر وليدها أدولف الذى سيغير وجه الكرة الأرضية عندما يشتد عظمه، كان أبوه (الويس) موظف جمارك صغيرًا وهو بالأصل لقيط غير معروف الأب والأم. وكان لأدولف ٥ أشقاء وشقيقات، ولم تكتب الحياة من بين الستة إلا لأدولف وشقيقته «بولا».

كان أدولف متعلقًا بوالدته وشديد الخلاف مع أبيه، مع العلم أنه ذكر فى كتابه «كفاحى» أنه كان يكن الاحترام لوالده الذى كان يعارض بشدة انخراط ولده أدولف فى مدرسة الفنون الجميلة، إذ كان أبوه يتمنى على أدولف أن يصبح موظف قطاع عام.

تمتع أدولف بالذكاء فى صباه، إلا أنه كان مزاجى الطبع، وقد تأثر كثيراً بالمحاضرات التى كان يلقيها البروفسور (ليبولد بوتش» المعادية للسامية والممجدة للقومية الألمانية.

فيينا وميونيخ:

فى كانون الثانى/ يناير ١٩٠٣ مات أبوه ولحقته والدته فى كانون الأول/ ديسمبر ١٩٠٧، وغدا أدولف ابن الـ ١٨ ربيعًا بلا معيل، وقرر الرحيل إلى فيينا أملاً فى أن يصبح رسامًا.

عكف على رسم المناظر الطبيعية والبيوت مقابل أجر يسير، وكانت الحكومة تصرف له راتبًا كونه صغيراً بالسن وبلا معيل، وتم رفضه من قبل مدرسة فيينا للفنون الجميلة مرتين وتوقفت إعانته المالية من الحكومة.

وفى فيينا تأثر أدولف كثيراً بالفكر المعادى للسامية نتيجة تواجد اليهود بكثرة فى تلك المدينة، وتنامى الحقد والكراهية لهم، وقد دون أدولف فى مذكراته مقدار مقته وامتعاضه من التواجد اليهودى واليهود بشكل عام.

وفى عام ١٩٠٣ انقل أدولف إلى مدينة ميونيخ لتفادى التجنيد الإلزامى، وكان الرجل يتوق للاستقرار فى ألمانيا عوضًا عن الإقامة فى الإمبراطورية المجرية النمساوية لعدم وجود أعراق متعددة كما هو الحال فى الإمبراطورية النمساوية، وقد تم إلقاء

القبض عليه من قبل الجيش النمساوى، وبعد إجراء الفحوصات الطبية لاختبار لياقته البدنية للخدمة العسكرية تبين أنه غير لائق صحيًا.

فى الحرب العالمية الأولى:

وباندلاع الحرب العالمية الأولى تطوع الرجل فى صفوف الجيش البافارى وعمل كساعى بريد عسكرى، بينما كان الكل يتهرب من هذه المهنة، ويفضل الجنود البقاء فى خنادقهم بدلاً من التعرض لنيران العدو عند نقل المراسلات العسكرية.

وبالرغم من أداء أدولف المتميز والشجاع فى العسكرية، إلا أنه لم يرتق المراتب العليا فى الجيش، وتروى الشائعات أن تحليلاً نفسيًا عمل له ويقول التقرير أنه مضطرب عقليًا وغير مؤهل لقيادة جمع من الجنود.

وخلال الحرب كون هتلر إحساسًا وطنيًا عارمًا تجاه ألمانيا رغم أوراقه الثبوتية النمساوية، وصعق أيما صعقة عندما استسلم الجيش الألمانى فى الحرب العالمية الأولى لاعتقاد هتلر باستحالة هزيمة هذا الجيش، وألقى باللائمة على الساسة المدنيين فى تكبد الهزيمة.

الحزب النازى:

بنهاية الحرب العالمية الأولى استمر هتلر فى الجيش والذى اقتصر عمله على قمع الثورات الاشتراكية فى ألمانيا، وانضم الرجل إلى دورات معدة من «إدارة التعليم والدعاية السياسية» هدفها إيجاد كبش الفداء لهزيمة ألمانيا فى الحرب، بالإضافة إلى سبب اندلاعها، وتمخضت تلك الاجتماعات عن إلقاء اللائمة على اليهود والشيوعيين والساسة بشكل عام.

لم يحتج هتلر لأى سبب للاقتناع بالسبب الأول لهزيمة الألمان فى الحرب لكرهه لليهود وأصبح من النشطين للترويج لأسباب هزيمة الألمان فى الحرب. ولمقدرة هتلر

الكلامية، فقد تم اختيار للقيام بعملية الخطابة بين الجنود ومحاولة استمالتهم لرأيه الداعى لبغض اليهود.

وفى أيلول/ سبتمبر ١٩١٩ التحق هتلر بحزب «العمال الألمان الوطنى»، وفى مذكرة كتبها لرئيسه فى الحزب يقول فيها: «يجب أن نقضى على الحقوق المتاحة لليهود بصورة قانونية، مما سيؤدى إلى إزالتهم من حولنا بلا رجعة».

وفى عام ١٩٢٠م تم تسريح هتلر من الجيش وتفرغ للعمل الحزبى بصورة تامة إلى أن تزعم الحزب وغير اسمه إلى حزب «العمال الألمان الاشتراكى الوطنى»، أو «نازى» بصورة مختصرة، واتخذ الحزب الصليب المعقوف شعاراً له وتبنى التحية الرومانية التى تتمثل فى مد الذراع إلى الأمام.

الحزب الحاكم:

بتبوء هتلر أعلى المراتب السياسية فى أمانيا بلا دعم شعبى عارم عمل الرجل على كسب الود الشعبى الألمانى من خلال وسائل الإعلام التى كانت تحت السيطرة المباشرة للحزب النازى الحاكم، وخصوصًا الدكتور جوزيف غوبلز. فقد روجت أجهزة غوبلز الإعلامية لهتلر على أنه المنقذ لألمانيا من الكساد الاقتصادى والحركات الشيوعية، إضافة إلى الخطر اليهودى.

ومن لم تنفع معه الوسائل «السلمية» فى الإقناع بأهلية هتلر فى قيادة هذه الأمة، فقد كان البوليس السرى «جيستابو» ومعسكرات الإبادة والتهجير القسرى كفيلاً بإقناعه، وبتنامى الأصوات المعارضة لأفكار هتلر السياسية عمد هتلر إلى التصفيات السياسية للأصوات التى تخالفه الرأى، وأناط بهذه المهمة للملازم «هملر».

وبموت رئيس الدولة «هيندينبيرغ» فى ٢ آب/ أغسطس ١٩٣٤ دمج هتلر مهامه السياسية كمستشار لألمانيا ورئيس الدولة، وتمت المصادقة عليه من برلمان جمهورية ويمر، وندم اليهود أيما ندم لعدم مغادرتهم ألمانيا قبل ١٩٣٥ عندما صدر قانون يحرم أى يهودى ألمانى حق المواطنة الألمانية عوضًا عن فصلهم من أعمالهم الحكومية ومحالهم التجارية، وتحتم على كل يهودى ارتداء نجمة صفراء على ملابسه، وغادر ١٨٠,٠٠٠ يهودى ألمانيا جراء هذه الإجراءات.

وشهدت فترة حكم الحزب النازى لألمانيا انتعاشًا اقتصاديًا مقطوع النظير، وانتعشت الصناعة الألمانية انتعاشًا لم يترك مواطنًا ألمانيا بلا عمل. وتم تحديث السكك الحديدية والشوارع وعشرات الجسور مما جعل شعبية الزعيم النازى هتلر ترتفع إلى السماء.

وفى آذار / مارس ١٩٣٢ تنصل هتلر من «معاهدة فرساى» التى حسمت الحرب العالمية الأولى، وعمل على إحياء العمل بالتجنيد الإلزامى، وكان يرمى إلى تشييد جيش قوى مسنود بطيران وبحرية يعتد بها، وفى الوقت نفسه إيجاد فرص عمل للشبيبة الألمانية.

وعاود هتلر خرق اتفاقية فرساى مرة أخرى عندما احتل المنطقة المنزوعة السلاح «أرض الراين»، ولم يتحرك الإنكليز ولا الفرنسيون تجاه انتهاكات هتلر. ولعل الحرب الأهلية الإسبانية كانت المحك للآلة العسكرية الألمانية الحديثة عندما خرق هتلر اتفاقية فرساى مرارًا وتكرارًا، وقام بإرسال قوات ألمانية لأسبانيا لمناصرة «فرانسيسكو فرانكو» الثائر على الحكومة الأسبانية.

وفى ٢٥ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٣٦ تحالف هتلر مع الفاشى موسولينى الزعيم الإيطالى، واتسع التحالف ليشمل اليابان، هنغاريا، رومانيا، وبلغاريا بما يعرف

بحلفاء المحور، وفى ٥ تشـرين الثانى / نوفمبـر ١٩٣٧ عقد هتلر اجتمـاعًا سريًا فى مستشارية الرايخ، وأفصح عن خطته السرية فى توسـيع رقعة الأمة الألمانية الجغرافية. وقام هتلـر بالضغط على النمـسا للاتحـاد معه، وسـار فى شوارع فـيينا بعـد الاتحاد كالطاووس مزهوًا بالنصر، وعقب فيينا عمل هتلر علـى تصعيد الأمور بصدد مقاطعة «ساديتلاند» التشيكية والتى كان أهلهـا ينطقون بالألمانية، ورضخ الإنكليز والفرنسيون لمطالبه لتجنب افتعال حرب.

وبتخاذل الإنكليز والفرنسيين استطاع هتلر أن يصل إلى العاصمة التشيكية براغ فى ١٠ آذار/ مارس ١٩٣٩ وببلوغ السيل الألمانى الزبى قرر الإنكليز والفـرنسيون تسجيل موقف بعدم التنازل عن الأراضى التى منحت لبولندا بموجب مـعاقدة فرساى، ولكن القوى الغـربية فـشلت فى التحالف مـع الاتحاد السوفـياتى، واختطـف هتلر الخلاف الغربى السوفياتى وأبرم معاهدة «عدم اعتـداء» بين ألمانيا والاتحاد السوفياتى مع ستالين فى ٢٣ آب / أغسطس ١٩٣٩، وفى ١ أيلول/ سـبتمبـر ١٩٣٩ غزا هتلر بولندا ولم يجد الإنكليز والفرنسيون بدًا من إعلان الحرب على ألمانيا.

الانتصارات الخاطفة:

فى السنوات الثلاث اللاحقة للغزو البولـندى وتقاسم بولندا مع الاتحاد السوفيات، كانت الآلة العسكرية الألمانية لا تقهـر ففى نيسان / أبريل ١٩٤٠ غزت ألمانيا الدنمارك والنرويج ، فى أيار / مـايو من العام نفسـه هاجم الألمان كلاً من هولندا، بـلجيكا، لوكسـمبورغ، وفرنسـا، وانهارت الأخيرة فـى غضون ٦ أسابيع وفى نيـسان/ أبريل ١٩٤١ غزا الألمان يوغـسلافيا واليـونان، وفى الوقت نفسه كانت القـوات الألمانية فى طريقها إلى شمال إفريقيا وتحديدًا مصر.

وفى تحول مفاجئ اتجهت القوات الألمانية صوب الغرب وغزت روسيا فى نقض صريح لاتفاقية عدم الاعتداء، واحتلت ثلث الأراضى الروسية من القارة الأوروبية، وبدأت تشكل تهديدًا قويًا للعاصمة الروسية موسكو، وبتدنى درجات الحرارة فى فصل الشتاء، توقفت القوات الألمانية عن القيام بعمليات عسكرية فى الأراضى الروسية، ومعاودة العمليات العسكرية فى فصل الصيف فى موقعة «ستالينغراد» التى كانت أول هزيمة يتكبدها الألمان فى الحرب العالمية الثانية، وعلى صعيد شمال أفريقيا هزم الإنكليز القوات الألمانية فى معركة العلمين، وحالت بين قوات هتلر وبين السيطرة على قناة السويس والشرق الأوسط ككل.

إسدال الستار:

الانتصارات الخاطفة التى حصدها هتلر فى بداية الحرب العالمية الثانية، وبالتحديد الفترة الممتدة من ١٩٣٩ إلى ١٩٤٢ جعلت منه رجل الاستراتيجية الأوحد فى ألمانيا وأصابته بداء الغرور، وامتناعه عن الإنصات إلى آراء الآخرين، أو حتى تقبل الأخبار السيئة وإن كانت صحيحة، فخسارة ألمانيا فى معركة ستالينغراد والعلمين وتردى الأوضاع الاقتصادية الألمانية وإعلانه الحرب على الولايات المتحدة فى ١١ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤١ وضعت النقاط على الحروف، ولم تترك مجالاً للشك من بداية النهاية لألمانيا هتلر.

فمجابهة أعظم إمبراطورية (الإمبراطورية البريطانية) وأكبر أمة (الاتحاد السوفياتى) وأضخم آلة صناعية واقتصادية (الولايات المتحدة) لا شك تأتى من قرار فردى لا يعبأ بلغة العقل والخرائط السياسية.

فى ١٩٤٣ تمت الإطاحة بحليف هتلر الأوروبى (موسولينى)، واشتدت شراسة الروس فى تحرير أراضيهم المغتصبة، وراهن هتلر على بقاء أوروبا الغربية فى قبضته،

ولم يعبأ بالتقدم الروسى الشرقى، وفى ٦ حزيران / يونيو ١٩٤٤ تمكن الحلفاء من الوصول إلى الشواطئ الشمالية الفرنسية، وبحلول كانون الأول/ ديسمبر تمكن الحلفاء من الوصول إلى نهر الراين وإخلاء الأراضى الروسية من آخر جندى ألمانى.

عسكريًا، سقط الرايخ الثالث نتيجة الانتصارات الغربية، ولكن عناد هتلر أطال من أمد الحرب لرغبته فى خوضها لآخر جندى ألمانى، وفى نزاعه الأخير رفض هتلر العقل وإصرار معاونيه على الفرار إلى بافاريا أو النمسا.

وأصر على الموت فى العاصمة برلين، وفى ١٩ آذار / مارس ١٩٤٥ أمر هتلر أن تدمر المصانع والمنشآت العسكرية وخطوط المواصلات والاتصالات، وتعيين هينريك هيملر مستشارًا لألمانيا فى وصيته.

انتحاره:

وبقدوم القوات الروسية إلى بوابة برلين أقدم هتلر على الانتحار وانتحرت معه عشيقته أيفا براون فى ١ أيار/ مايو ١٩٤٥، وأسدل الستار على كابوس الحرب العالمية الثانية.

* * * *

سبارتاكوس

سبارتاكوس Spartacus هو قائد أشهر ثورات العبيد وأشدها خطرًا فى العصور القديمة، أصله من إقليم تراقية، ولعله كان سليل أحد البيوت الملكية التراقية المعروفة باسم سبارتى Sparti التى كانت تحكم مملكة بوسبورانوم على البحر الأسود، ويروى المؤرخ أبيانوس أن سبارتاكوس حارب الرومان ووقع فى أسرهم، ويبدو أن ذلك قد حدث فى أثناء الحروب الميثريداتية (٨٩ - ٨٢ ق.م) التى ثار فيها التراقيون لنيل حريتهم، بيع سبارتاكوس فى أسواق النخاسة واقتيد إلى إيطاليا حيث أدخل مدرسة المجالدين الشهيرة فى مدينة كابوه (على خليج نابولى) بسبب قوته الجسدية الخارقة، وفيها تعلم فنون المبارزة والقتال للترفيه عن الطبقة الأرستقراطية الرومانية فى حلبات السيرك الدموية.

تمكن سبارتاكوس فى صيف عام ٧٤ ق. م مع ٧٠ تقريبًا من رفاقه المجالدين من الفرار من كابوه والالتجاء إلى جبل فيزوف القريب وتحصنوا فيه، وبدأوا يغيرون على المناطق المجاورة، وانضم إليهم عدد كبير من العبيد الفارين.

تزعم سبارتاكوس أولئك الثائرين ، واختير اثنان من العبيد الكلتيين هما كريكسوس Krixus وأوينوماوس Oinomaos لمعاونته فى القيادة، وتمكنوا من دحر أول جيش رومانى أرسل للتصدى لهم، ثم هزموا جيشًا ثانيًا بقيادة البرايتور فارينيوس واستولوا على أسلحته.

وبدأت حركته تتسع وتأخذ أبعادًا خطيرة، وسقطت مناطق واسعة فى جنوبى إيطاليا فى أيدى الثائرين الذين انضمت إليهم أعداد كبيرة من الأحرار البروليتاريين والذين تم تدريبهم وتسليحهم، وهكذا تشكل تحت قيادة سبارتاكوس جيش كبير ضم عشرات الألوف من الثائرين المتعطشين للحرية والانتقام من أسيادهم الذين كانوا يسومونهم شتى أنواع العذاب والظلم والاستغلال، وبعد أن تفاقم الوضع كثيرًا ودب الذعر والهلع فى قلوب أثرياء الرومان قرر مجلس الشيوخ الرومانى إرسال قوات كبيرة بقيادة القنصلين للقضاء على التمرد، وفى الوقت ذاته نشب خلاف فى معسكر الثائرين، وانفصل كريكسوس مع أتباعه الغاليين، ولكنه لقى هزيمة كاسحة على أيدى القوات الرومانية، وقتل فى موقع غرغانوس فى منطقة أبوليا.

أما سبارتاكوس الذى أراد أن يقود الثائرين إلى أوطانهم الأصلية فقد شق طريقه إلى شمالى إيطاليا عبر جبال الأبنين، وتمكن من الانتصار على القنصلين الواحد تلو الآخر، ثم هزمهما فى معركة ثالثة، وأقام احتفالاً جنائزيًا لرفاقة الذين سقطوا فى المعارك ضحى فيه بـ ٣٠٠ أسير رومانى تصارعوا فيما بينهم حتى الموت، وجهز سبارتاكوس قوات لعبور جبال الألب، وهزم آخر جيش رومانى اعترض طريقه عند مدينة موتينا Mutina، ولكن أتباعه رفضوا مغادرة إيطاليا وطلبوا إليه التوجه ثانية إلى الجنوب والزحف على روما، غير أن سبارتاكوس كان يدرك استحالة مهاجمة روما وسار إلى منطقة لوكانيا، وحيال هذا الوضع قرر مجلس الشيوخ تكليف ماركوس كراسوس M . Licinius Crassus بالقضاء على ثورة المجالدين، ووضع تحت إمرته كل القوات والإمكانات المتاحة، كان كراسوس أحد أشهر الأرستقراطيين الرومان وأغنى أغنياء روما فى ذلك الحين، جمع ثروة طائلة نتيجة استغلاله ظروف الحرب

الأهلية الرومانية، وكان بذلك الرجل المؤهل للقضاء على ثورة اجتماعية تسعى إلى انتزاع الملكية والثروات من الأسياد الرومان.

وسار كراسوس على رأس ست فرق رومانية، إضافة إلى بقايا القوات المهزومة، كما انضم كثير من أثرياء الرومان وأتباعهم الذين كانوا يخشون على ممتلكاتهم وثرواتهم وحياتهم، واستعمل كراسوس منتهى الشدة والقسوة مع جنوده لإعدادهم للمعركة المقبلة مع المجالدين الثائرين الذين بثوا الرعب فى قلوبهم ، ولما تم له ذلك سار على رأس هذا الجيش الهائل المدرب على فنون القتال والمسلح بأمضى الأسلحة زاحفًا ضد سبارتاكوس وقواته، وتمكن من تطويقهم فى أقصى جنوبى إيطاليا بالتحصينات والخنادق.

وحاول سبارتاكوس المحاصر الاتفاق مع القراصنة ليقوموا بنقل قواته إلى جزيرة صقلية موطن ثورات العبيد السابقة التى تعج بأعداد كبيرة منهم، ولكن الرومان قاموا برشوة القراصنة الذين خذلوه وتخلوا عنه، ونجح سبارتاكوس أخيرًا فى اختراق الحصار المفروض عليه وسار باتجاه ميناء بروندیزيوم بهدف الإبحار منه إلى بلاد اليونان، ولكنه لم ينجح فى الاستيلاء عليه بسبب وصول قوات رومانية من مقدونية. وجرت معركة مع قوات كراسوس خرج منها سبارتاكوس منتصرًا، ولكن جيشه انقسم مرة أخرى ولقى العبيد الكلتيون والجرمان الذين انفصلوا عنه هزيمة منكرة وتم القضاء عليهم، وطلب كراسوس إلى مجلس الشيوخ إرسال المزيد من القوات التى جاءت من إسبانيا بقيادة بومبيوس.

وهكذا تم تطويق الثائرين، وأيقن سبارتاكوس أن لا أمل له فى الانتصار على هذه الجيوش الجرارة، وجرت معركة رهيبة قاتل فيها سبارتاكوس قتال الأبطال حتى سقط

هو ومعظم أتباعه صرعى فى ساحة القتال، ولم يتمكن الرومان من العثور على جثته للتمثيل بهـا، وانفرط عقد الثائرين وتفرقوا مجـموعات تناثرت هنا وهناك، وحاولت الالتجاء إلى المناطق الجبلية، ولكن تم القضاء عليها الواحدة تلو الأخرى، وقام القائد المنتصر كراسوس بتعليق ستة آلاف مـن العبيد الثائرين على الصلبان التى نصبت على طول الطريق الممتد من روما إلى كابوه ليكونوا عـبرة لكل من يفكر بخلع نير العبودية والثورة على أسياده الرومان. وتمكن بومبيوس الـعائد من إسبانيا من القضاء على آخر فلول الثائرين، وأعلن نهاية ثورة سبارتاكوس وعاد إلى روما عام ٧٠ ق.م ليتقلد مع كراسوس القنصلية مكافأة لهما على تخليصها من ذلك الكابوس الرهيب.

وانتهت بذلك أخطر ثورات العبيد الكبـرى وآخرها فى التاريخ الرومانى بعد ثلاث سنوات (٧٤ - ٧١ ق.م) من صراع مرير سقط فيه عشرات الألوف من القتلى، ولقد سبقتـها ثورات أخرى كان أشهرها تلك التى جـرت فى صقلية (١٣٩ - ١٣١ ق.م) بقيادة أحد السوريين المدعو أوينوس Eunus الذى تزعم العبيد الثائرين، وأعلن نفسه ملكًا عليهم وقاوم الجيوش الرومانية سنوات عديدة حتى تم القضاء عليه.

كان سبارتاكوس بلا شك من أشهر الشخصيات فى التاريخ القديم، تصفه المصادر التاريخية بصفات نبيلة، فهو شهم وشجاع ويملك قوة بدنية خارقة ومواهب عسكرية وتنظيمـية فذة، تمكن مع جيـشه الهش التسليح والقليل التـدريب والمؤلف من عناصر متباينة متنافرة من إلحاق الهزيمة بالجيوش الرومانية فى سبع معارك مختلفة، كان هدفه الأساسى تحرير العبيد وعودتهم إلى بلادهم الأصليـة، ولكن انتصاراته شجعت أتباعه على البقاء فى إيطاليا، كـما أن انقسامهم واختلاف أهدافهم أضـعف شوكتهم وسهل أخيرًا القضاء عليهم.

بقى سبـارتاكوس حيًّـا فى ذاكرة الأجيـال التالية بوصـفه رمزًا للـثورة على الظلم ومحررًا للأرقاء من نير العبـودية، وكانت شخصيته موضوعًا لعـدد كبير من الأعمال الأدبية والفنية فى العـصر الحديث، وتسمى باسمـه عدد من الحركات الاشتـراكية فى القرن العـشرين، كمـا عرفت الثـورة التى اندلعت فى برلين عام ١٩١٩ فى أعـقاب الحـرب العـالميـة الأولى بزعـامـة لـيـبكنخت Liebknecht وروزا لوكـسـمـبـورغ R . Luxumburg باسم انتفاضة سبارتاكوس.

* * * *

جورج واشنطن

جورج واشنطن George Washington قائد عسكرى وزعيم سياسى أمريكى، أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية، ولد فى فرجينيا Virginia فى ٢٢ فبراير عام ١٧٣٢م لأبوين يعملان فى الزراعة (أوغسطين ومارى)، وبعد ثلاث سنوات من ولادته انتقل مع أسرته إلى مزرعة ماونت فرنون Monut Vernon.

تلقى علومه الأولى على يد كاهن الرعية المحلى، فحصل على قسط ضئيل من التعليم، لكنه انتسب إلى مدرسة المساحة فأتم تعليمه، وتخرج فيها بصفة مساح وهو فى السادسة عشرة من عمره، وفى فترة شبابه تعرف جورج واشنطن اللورد توماس فيرفاكس Lord Thomas Fairfax أحد كبار ملاكى الأراضى فى ولاية فرجينيا، فكان موضع ثقته، وهذه الثقة أتاحت له أن يشغل وظيفة مساح رسمى لمقاطعة كولبير.

وبعد ثلاث سنوات التحق بإحدى الجماعات العسكرية التابعة للجيش البريطانى فى فرجينيا، وتمرس فى فنون الحرب والقتال، وتدرج فى المراتب العسكرية إلى أن أصبح برتبة مقدم، وحينما اشتد التنافس بين الفرنسيين والإنكليز عام ١٧٥٣م حول بعض المستعمرات خرج جورج واشنطن بإشارة من حاكم فرجينيا على رأس فصيل عسكرى، ووجه إنذارًا بتوقيع حاكم فرجينيا للقوات الفرنسية والمتعاونين معها من الهنود بوقف الاعتداءات على سكان المنطقة، ولكن الفرنسيين رفضوا الاستجابة لمطلبه، وجرت بين الطرفين معارك على مقربة من أوهايو Ohio سنة ١٧٥٨م انتهت بهزيمة القوات الفرنسية وأسر قائدها، وذلك بمساعدة القوات الإنكليزية، فزاد هذا النصر من شعبيته وكان له أبلغ الأثر فى مستقبله العسكرى والسياسى، وفى عام

١٧٥٩م عاد واشنطن إلى مزرعته فى ماونت فرنون، وتزوج سيدة ثرية، وأخذ يعمل على توسيع ممتلكاته حتى أصبح من كبار ملاكى الأراضى وذا نفوذ واسع أهله ليصبح عضواً فى مجلس نواب الولاية.

بعد هزيمة الفرنسيين عند أوهايو أخذت القوات الإنكليزية تكثف من وجودها فى المنطقة، وكانت تتعرض للأهالى بالأذية فى كثير من المناسبات، فأخذ جورج واشنطن يندد بالممارسات الاستعمارية التى قامت بها القوات الإنكليزية، وزاد الأمر سوءاً حين أقدم البريطانيون على إصدار قانون فرضوا بموجبه رسوماً على الشاى والورق والزجاج، فكان الرد من جانب التجار وكبار الشخصيات فى المجتمع الأمريكى مقاطعة السلع البريطانية، وفى هذا السياق حرم واشنطن شرب الشاى على جميع العاملين فى ممتلكاته، وجاهر بمعاداته الاستعمار الإنكليزى، وبدأت المصادمات الدموية تتسع لتشمل معظم المستعمرات الإنكليزية وعلى وجه الخصوص فى بوسطن Boston ، وفى عام ١٧٧٥م اختاره الكونغرس Congress الذى اجتمع فى فيلادلفيا Philadelphia قائداً عاماً لقوات المقاطعات الأمريكية الثلاث عشرة، فقام واشنطن بتشكيل جيش قوامه ١٦ ألف جندى تمكن بواسطته من طرد البريطانيين من بوسطن سنة ١٧٧٦م، ومع أنه منى ببعض الهزائم فإنه انتصر أخيراً على القوات البريطانية فى كل من ترنتون ويوركتاون Trenton and Yorktown.

وبعد الاستقلال تحول جورج واشنطن الجندى إلى السياسة حينما دعا المؤتمر الدستورى إلى الاجتماع، وبعد المداولات وضع المؤتمرون برئاسته دستور الولايات المتحدة الذى أصبح نافذاً فى جميع المستعمرات الأمريكية المحررة، وفى عام ١٧٨٩م انتخب جورج واشنطن ليكون أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية، وبدأ مهمته بتشكيل حكومة كانت تنتظرها مهام شاقة لا تقل عن تلك التى واجهتها قيادته فى

أثناء حرب الاستقلال، فاختار اثنين من كبار أعوانه الأقوياء، الأول هاملتون Hamilton ليكون وزيراً للمالية، والثانى جيفرسون Jefferson لوزارة الخارجية، وقد اعتمد على هذين الرجلين طوال أيام حكمه يستشيرهما فى جميع الأمور، ومع أن مصاعب جمة واجهت جورج واشنطن وحكومته كمسألة الديون والعجز المالى فقد تمكن من معالجتها، وعمل على تدعيم البنية الاقتصادية لبلاده، وشجع النهضة الصناعية والأنشطة التجارية، وعمل على إنشاء بنك الولايات المتحدة على غرار البنك المركزى البريطانى، وتولى إصدار عملة ورقية موحدة لكل الولايات وسط معارضة شديدة من خصومه السياسيين، ومنذ بداية عهده تصدى بحزم لبعض الناقمين على سياساته فقمع تمرد الفلاحين فى ولاية بنسلفانيا Pennsylvania سنة ١٧٩١ حينما امتنعوا عن دفع الضرائب المقررة، وقضى على ثورة قام بها الهنود (سكان أمريكا الأصليون) فى أوهايو ضد المستوطنين الجدد سنة ١٧٩٤، أما سياسته الخارجية فلم تكن علاقته حسنة مع بريطانيا لأن البريطانيين كانوا لا يزالون يحتفظون ببعض المواقع فى الشمال الغربى من البلاد، ويعمدون بين الحين والآخر إلى تحريض الهنود ضد المستوطنين الجدد، على عكس علاقته الودية مع فرنسا التى تزامن قيام ثورتها مع اعتلاء جورج واشنطن سدة الرئاسة، ويعود الفضل فى تعزيز العلاقة مع الفرنسيين إلى القائد لافاييت Lafayette أحد زعماء الثورة الفرنسية، وكان من قبل قائداً للقوات الفرنسية التى أسهمت فى الثورة الأمريكية ضد النفوذ البريطانى. استمر جورج واشنطن فى منصبه فترتين رئاسيتين، رفض بعدهما بإصرار إعادة انتخابه فترة ثالثة، وتوجه إلى ناخبيه بخطاب الوداع فى ١٧ سبتمبر ١٧٩٦، فوضع بذلك سابقة تقضى بعدم جواز بقاء الرئيس فى منصبه أكثر من ولايتين، واعتزل واشنطن العمل السياسى ليقيم فى مزرعته فى ماونت فرنون حتى وفاته.

جواهرلال نهرو

ولد جواهر لال نهرو Jawaharlal Nehru سنة ١٨٨٩ لأسرة ميسورة تنتمى إلى الطبقات الاجتماعية المتميزة عند الهندوس، والده المحامى موتيلال نهرو رئيس المؤتمر الوطنى الهندى، كانت إقامته مع عائلته فى مدينة الله آباد، حيث كان الأب يعمل محاميًا، وكان مكتبه مزدهرًا، مما مكن العائلة من التمتع بعيش رغيد ومرفه.

تلقى جواهر دروسه الأولى بين عامى ١٩٠٢ - ١٩٠٤ على يد مدرس خاص. ثم أرسله والده فى عام ١٩٠٥ إلى بريطانيا للالتحاق بمدرسة «هارو» Haro انتقل بعدها إلى كامبردج، ليحصل على إجازة فى العلوم الطبيعية وأخرى فى الحقوق من جامعتها.

شغف الشاب الهندى بالقراءة فى أثناء دراسته الجامعية، وعمل على تثقيف نفسه منكبًا على مطالعة الكتب الأدبية والتاريخية والعلمية والفلسفية والاقتصادية، مما مكنه من تحصيل زاد غنى من الأفكار والآراء العصرية المتقدمة، تأثر بالفكر الاشتراكى ومفاهيمه للتنمية الاقتصادية . راسل من بريطانيا صحيفة تايمز التى كانت تصدر فى الهند، وركز فى مقالاته على حزب المؤتمر الذى مثل الحركة الوطنية الهندية فى تلك الفترة. وفى الجامعة تعرف نهرو بعض قادة حركة «الجمهوريين الأيرلنديين» وأفاد من تجربتهم فى المطالبة باستقلال أيرلندا عن التاج البريطانى.

تخرج فى الجامعة عام ١٩١٢ ليصبح محاميًا لدى المحاكم العليا، ثم عاد إلى الهند وبدأ العمل فى الإدارات الحكومية وهو مفعم بالأفكار الوطنية، ثم ما لبث أن التحق بحزب المؤتمر الهندى الذى أسسه غاندى Gandhi.

وفى عـام ١٩٢٠ ترك نهـرو ووالده مـهنة المحامـاة ومـا تدره من أرباح، وباعـا ممتلكاتهما وآثرا العيش البسيط والمتقشـف على طريقة غاندى، وتفرغا للعمل بالحركة الوطنية، الأمر الذى زاد من إعجاب الهنود بهما. ثم ظهر نشاطهما جليًا بعد «مذبحة امريستار» Amrista Massacre التى ارتكبها جنود الاحتـلال البريطانى فى الهند عام ١٩١٩، وشاركا بفاعلية فى تأسيس «حركة اللاتعاون» وهى الحركة التى دعت الهنود إلى عدم التعاون مع المحتل البريطانى ومقاطعته.

ومنذ أن انضم المحامى الشـاب إلى الحملة الوطنية التى يقودها المهـاتما غاندى صار وثيق الصلة معه وشديد التأثر برسالته وآرائه ومـواقفه، وامتد تأثير غاندى داخل أسرة نهرو ليـشمل أخته فـيجايا لا كشـمى بانديت التى انخرطت معـه بالعمل الوطنى من أجل الهند.

وعلى الرغم من الاختلافـات العديدة التى حصلت بين الرجلين فقد بقـيا شديدى الإخلاص والوفاء لبعضهما منذ اللقاء الأول بينهما عام ١٩١٦.

ونتيـجة للعمل الحـماسى فى الوطن الهندى تعـرض نهرو للسجن من قـبل قوات الاحتلال البريطانى ثمانى مرات، مما أكسبه شهرة واسعة فى جميع أنحاء البلاد، وبدأ نجمه يسطع أحـد قادة التحرر فى مواجـهة الاحتلال البريطانى ومن أجل الاسـتقلال الوطنى للهند.

سافر نهرو عام ١٩٢٦ إلى أوروبا بصحبة زوجته وابنته أنديرا غاندى -Indira Gan dhi، وهناك اتصل بحركة (الاشتراكية الدولية) التى كان يرى فى أهدافها وسيلة لتحـقيق بعض رؤاه الإصلاحـية، وفى أحد مؤتمرات هذه الحـركة انتخب عـضواً فى هيئتها العليا.

وحينما عـاد إلى الهند مجدداً انخرط فى المعـارضة السلمية للاسـتعمار فاعـتقلته قوات الشرطة من جديد عام ١٩٢٨، وتعرض للضرب ولاعتقالات عديدة ومتكرره، لم تنته إلا مع حـصول الاستقلال، انتـخب نهرو عام ١٩٢٩ رئيسًـا لحزب المؤتمر فى عموم الهند، وقد تكرر ذلك فى الأعوام ١٩٣٦ - ١٩٣٨ - ١٩٤٦.

عشيـة نشوب الحرب العالميـة الثانية كان نهـرو قد تبوأ موقـعًا مهمًـا فى حركات الاحتجـاج السلمى الطويل من أجل الاستقـلال ، وحين غدا فى عام ١٩٣٩ رئـيسًا للمؤتمر الشعبـى لعموم الهند صار فى أفضل وضع للتفاوض مـع الاحتلال البريطانى من أجل الاستـقلال، وفى عام ١٩٤٦ وصل إلى مـوقع نائب رئيس الحكومة المؤقـتة التى تدير الهند باسم التاج البريطانى، واخـتير كبيرًا للمفـاوضين فى المفاوضات التى عرفت بمفـاوضات «انتقال السلطة» من الإنكليـز، وبعد نجاح تلك المفاوضـات أصبح نهرو رئيـسًا للحكومة الانتقـالية التى شكلت آنذاك، وفى عام ١٩٤٧ أعلن اسـتقلال الهند، وعندما قسمت شـبه القارة الهندية إلى دولتين (الهند والباكسـتان)، كان نهرو زعيمًا لحزب المؤتمر الهندى مما وفر له الفرصة لزعامة البلاد ودخول التاريخ أول رئيس وزراء للهند المستقلة فى ١٥ آب / أغسطس ١٩٤٧.

كانت جـهود نهرو بارزة فى وضع الدسـتور الديمقراطى لـلدولة الهندية الجديدة، فقد ظهر فيـه تأثره الكبير بالديمقراطية الإنكليزية التى درسهـا بعمق وعاش فى كنفها ردحًا طويلاً من الزمن.

تركزت هموم نهرو الهندية بعد الاستقلال على بناء أمة جديدة، تخرج من تخلفها التاريخى لتـدخل إلى رحاب العصـر الحديث بحـيث تتمكن من إعالة وإطعـام عدد السكان الكبيـر وإطعامه، وكـان يزيد على ٥٠٠ مليون، فـاهتم بإقامة التنمـية على

أسس إنسانية، واعـتمد التخطيط المركزى وفق خطط خـمسية متـتالية، بدأت بالخطة الخمسـية الأولى ١٩٥١ - ١٩٥٦ التى استـهدفت زيادة إنتاج الطعام والمواد الغـذائية بالتركيز على تنمـية الأساليب الجديدة فى الزراعة وتعميقـها، وقد أحرزت هذه الخطة نجاحًا ملحوظًا فى هذا المجـال، فى حين واجهت إجراءاتها صعوبات كـبيرة وتحديات حقيقـية، مثل الانتشار الواسع للأميـة، وتفجر الصراعات الدينية التى استعرت بعد الاستقلال.

ومع ذلك تابع نهرو برنامـجه التنموى الطموح ، فـحقق زيادة فى الدخل الوطنى للبلاد، وحينما تفجر النزاع بين الهند وباكسـتان على منطقة كشمير أعلن نهرو أنه لا حل لمشكلة كشمير إلا بتمكين سكانها من تقرير مصيرهم عبر استفتاء حر ونزيه، غير أن المشكلة تعـقدت بين الهند والبـاكسـتان، مما أدى إلى صـدام مسلح بين الدولتـين التوأمـين نجم عنه تقسيم هذه الولاية ذات الأغلـبية المسلمة، ومـع سيطرة الهند على أكثر من نصف مسـاحة الولاية فإن النزاع بينها وبين الباكسـتان لم يتوقف، وفى عام ١٩٥٧ اتهم نهرو الباكستان بدعم الجماعات الكشميرية المسلحة التى تتخذ من المناطق الخاضـعة للسـيطرة الباكسـتانيـة مقرًا لهـا، مما أدى إلى اندلاع حروب مـتتـالية بين الدولتين، وما زال النزاع قائمًا.

لـم يكن جواهرلال نهرو زعيـمًا للهند فقط، إنما كان فى الوقت نفسه زعيـمًا عالميًا ترك بصماته على السياسة الدولية، فإلى جانب تأكيد حضور الهند ومكانتها فى العالم ودورها فى معالجة الشئون السياسية والاجتـماعية والاقتصادية الـتى واجهت البشرية حينذاك برز نهـرو واحدًا من كبار قادة العـالم الثالث والفاعلين فى حـركته من أجل الاستقلال والحياد الإيجابى وعدم الانحياز.

ومع استمرار الهند بعضوية «رابطة الشعوب البريطانية» British Commonwealth، فقد استطاعت تحت قيادة نهرو أن تحافظ على نهجها فى الاستقلال الوطنى ودعم حركات التحرر فى العالم، واشتهر نهرو بخطابه السياسى الرافض للإمبريالية والداعى إلى محاربة الاستعمار، وهو الخطاب الذى لقى صدى طيبًا لدى الشعوب الساعية إلى الخلاص من الاستعمار والراغبة فى التحرر وإنجاز الاستقلال الوطنى، ودعا إلى عدم الانضمام إلى أى من المعسكرين الشرقى أو الغربى، الأمر الذى ولّد فكرة تكوين مجموعة دول عدم الانحياز التى ظهرت إلى الوجود، وعد نهرو أن هذه المجموعة الدولية يمكن أن تقيم التوازن الدولى وتسهم فى حفظ السلام العالمى، ومن أجل ذلك كان من أوائل الداعين إلى عقد مؤتمر باندونغ فى نيسان / أبريل عام ١٩٥٥ وهو أول مؤتمر دولى يعقد باقتراح الدول المستقلة حديثًا ومشاركتها، وتغيبت عنه الدول الغربية، وصدرت عنه المبادئ الخاصة بالعلاقات الدولية، والتى اعتمدت آنذاك من عدد كبير من الدول مبادئ جديدة لإقامة العلاقات الدولية، وسيبقى هذا المؤتمر خالدًا فى ذاكرة التاريخ بوصفه حدثًا سياسيًا دوليًا فتح صفحة جديدة فى التاريخ المعاصر.

كان المؤتمر منطلقًا لحركة عدم الانحياز بحضور عدد كبير من أبرز زعماء العالم الثالث، مثل الرئيس الأندونيسى أحمد سوكارنو A. Sukaron ورئيس الوزراء الهندى جواهرلال نهرو ، والرئيس المصرى جمال عبد الناصر، والملك الكمبودى نوردون سيهانوك Norodom Sihanouk، وأصبحت الدول الـ ٢٩ المشاركة فيه أعضاء رئيسيين فى حركة عدم الانحياز، وقد أثار هذا المؤتمر موجة جديدة من نضال الشعوب من أجل الاستقلال، وأجج حركات التحرر الوطنى، وعجل فى انهيار المنظومة الاستعمارية فى العالم.

ظهرت حركة عدم الانحياز نتيجة للحرب الباردة التى بدأت بين المعسكرين الشرقى والغربى أواخر الأربعينات. وكان ظهورها ردًا على هذه الحرب، إذ سعت الدول التى عملت فى إطار هذه الحركة إلى اعتماد مبدأ جديد فى السياسة الخارجية هو «عدم الانحياز»، ومناهضة الاستعمار وسياسة التميز العنصرى، ومساندة حركات التحرر فى العالم، والمحافظة على استقلاليتها عن الدول الكبرى وعن التكتلات السياسية والعسكرية على الساحة الدولية.

كان أول ظهور لمصطلح «عدم الانحياز» عندما أعلنه نهرو فى اجتماع كولومبو (عاصمة سريلانكا Srilanka حاليًا) الذى ضمه إلى جانب رئيس وزراء الصين شو إن لاى Chou En Lai عام ١٩٤٥. وتم تثبيته بمحتواه السياسى فى لقاء بريونى عام ١٩٥٦ وقد اشتملت بنوده على:

- الاحترام المتبادل لحق السيادة على كامل الأراضى الوطنية للدولة.
- عدم اللجوء إلى العنف والتعايش السلمى.
- عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى.
- التعاون المتبادل المفيد بين الدول والشعوب على أساس المساواة.

انعقد أول مؤتمر لدول حركة الانحياز بحضور خمس وعشرين دولة فى بلغراد سنة ١٩٦١ إثر مبادرة من الرئيس اليوغلاسلافى تيتو Tito فكان جواهر لال نهرو الهندى وتيتو اليوغلاسلافى وجمال عبد الناصر المصرى وأحمد سوكارنو الإندونيسى من جملة هؤلاء الرؤساء الذين كان لهم دور مهم فى بلورة سياسات عدم الانحياز، وانعقد المؤتمر الثانى بالقاهرة سنة ١٩٦٤ بحضور ٥٩ دولة، وقد أوجدت هذه الحركة رابطة قوية فى العلاقات الآسيوية الأفريقية من جهة والعربية من جهة أخرى، تبادل الجميع من خلالها الدعم والتأييد والمساندة من أجل المصالح والمنافع المشتركة.

كان نهرو صديقًا للعرب، ومتعاطفًا مع قضاياهم، أيد حقوق الشعب الفلسطينى، ودعا إلى تطبيق قرارات الأمم المتحدة بهذا الخصوص، وحل لقضية الفلسطنيية حلاً سلميًّا عادلاً، كما أبدى دعمه التام للنضال الفلسطينى من أجل التحرر من «الاستعمار والعنصرية» مؤكدًا شرعية النضال الفلسطينى بصفته جزءًا من حركة التحرر العالمية. وعد حصول الفلسطينيين على حقوقهم شرطًا أساسيًّا للسلام الدائم والعادل فى المنطقة.

ودعا كذلك إلى استقلال الجزائر وتحررها من نير الاستعمار الفرنسى فى الوقت الذى كان ينادى فيه برحيل البريطانيين عن الخليج العربى.

بعد حياة سياسية حافلة بالنضال والعمل ودع نهرو الحياة والمسرح السياسى الهندى والعالمى وسط حزن شديد من ملايين الهنود الذين شيعوه إلى مثواه الأخير.

* * * *

باتريس لومومبا

باتريس لومومبا Patrice Lumumba زعيم إفريقى ، ولد فى قرية أونالو Onalua **من إقليم كاراى** Kasai فى الكونغو البلجيكية لأسرة كاثوليكية متدينة، تنتمى إلى **قبيلة باتيتيلا** Batetela عام ١٩٢٥ ، كان أبوه معلمًا للديانة فى المدارس وأمه عاملة **زراعية، وبعد** تخرجه من الثانوية التى يشرف عليها مبشرون بلجيكيون بروتستنت **عمل فى شركة** كيندو بورت إمبين Kindu Oort Empain، ثم أصبح من نشطاء نادى **الإفريقيين** المثقفين، كتب عدة مقالات وقصائد شعرية نشرت فى الصحف والمجلات **الكونغولية**، وحصل على الجنسية البلجيكية الكاملة، فالتحق بمعهد البريد والهاتف **فى** ليوبولدفيل Léopoldville، وتعرف اليوم باسم كينشاسا Kinshasa ،عين بعد **التخرج** محاسبًا فى مكتب البريد فى ستانلى فيل Stanleyville، وهى كيسانغانى Ki-sangani حاليًا وعاصمة إقليم أوريانتال Orientale.

فى عام ١٩٥٥ أصبح رئيسًا لنقابة موظفى الحكومة ومستخدميها التى لم تكن قد التحقت كغيرها بأى من الاتحادين النقابيين البلجيكيين، وهما الاتحاد الاشتراكى، والاتحاد الكاثوليكى، وبدأ يظهر ناشطًا فى الحزب الليبرالى البلجيكى Belgian Liber-al Party فى الكونغو، وفى عام ١٩٥٦ دعى مع عدد آخر من الشباب إلى القيام بجولة دراسية فى بلجيكا برعاية وزير المستعمرات ، ولدى عودته قبض عليه بتهمة الاختلاس، لكن سرح فيما بعد.

فى أكتـوبر ١٩٥٨ أسس الحركة الوطنية الكونغـولية (M N C) فكانت أول حزب سياسى كونغولى على صعيد الشعب كله، وحضر أول مؤتمر شعبى إفريقى شامل فى أكرا Accra عاصمة غانا Ghana فى العام نفسه، حـيث التقى عددًا من النشطاء فى الحقل الوطنى من مخـتلف أنحاء القارة الإفريقيـة، واختير عضـوًا فى المنظمة الدائمة المنبثقة من ذلك المؤتمر.

فى أكتوبر ١٩٥٩ جرت مصادمات دمـوية مع السلطات البلجيكية فى ستانلى فيل أسفرت عن مقتل ٣٠ شـخصًا، اعتقل إثرها لومومبا بتهـمة إثارة الشعب والتحريض عليه، وقررت حركـته الوطنية M N C التى يتزعمهـا خوض الانتخابات عام ١٩٦٠ ففـازت بأكثرية كاسـحة (٩٠٪ من الأصوات) وكلف لومـومبا بتـشكيل أول حكومة كونغـولية، على الرغم من المناورات التى حيكت للحـيلولة دون ذلك، وبعد أيام من تشكيلها تمردت بعض الوحدات العسكرية على قائدها البلجيكى، فأعلن إقليم كاتانغا Katanga انفصـاله عن الكونغو بزعـامة مويس تشـومبى Moise Tshombé بمساعدة القوات البلجيكية التى دخلت الإقليم بذريعة حفظ النظام.

وجهت الحكومة الكونغولية نداء إلى الأمم المتـحدة للمساعدة على حفظ النظام فى البلاد واستعادة إقليم كـاتانغا فرفضت التدخل، فتوجه لومومبـا إلى الاتحاد السوفييتى طالبًـا المساعدة لنـقل قواته إلى كـاتانغا، فى الوقت الذى دعـا فيـه الدول الإفريقـية المستقـلة إلى عقد اجتـماع فى ليوبولدفيل للوقـوف بجانبه، مما أزعج القوى الغـربية والرئيس الكونغـولى كازافـوبو Kasavubu الذى كـان يميل إلى منـح إقليم كاتانغـا استقـلاله الذاتى على نقيض مشروع لومومـبا القاضى بتوحيـد المناطق الكونغولية فى دولة واحدة مناهضة للاستعمار، فأمر كازافوبو بإقالة لومومبا من منصبه، لكن الأخير رفض تنفـيذ القـرار بدعوى أنـه غيـر شرعى، فـاستـولى قـائد الجيش الكونغـولى

«الكولونيل» جوزيف موبوتو Joseph Mobutu على السلطة، وقبض على لومـومبا، لم مـا لبث كازافـوبو أن عاد من جـديد إلى منصبـه وكلف أدولا Adoula تشكيل الحكومة، وعادت الأوضاع إلى طبيعتهـا، وكان المقصود من هذه الحركة هو التخلص من لومومبا وحده فقط.

كان لومـومبا فـى البداية من أنصار اندمـاج الكونغوليـين بالبلجيكيـين، شرط أن تتحقق المساواة فـيما بينهم، ولكن منذ أن أسس الحركة الوطنية الكونغوليـة عاد فتبنى فكرة القومية الكونغولية مـتأثرًا بالزعيم الغانى «نكروما» Nkrumah ويعد لومومبا من أبرز دعاة الوحدة الإفريقيـة والمنادين بسياسة عدم الانحياز التى عـرفها أنها عودة إلى القيم الإفـريقية، رافضًـا أى قيم أو أيديولوجيـات مستـوردة، بما فيها الأيديولوجـية الشيوعية.

تمكن لومومـبا من السفر إلى سـتانلى فيل بعـد الانقلاب العسكرى بحمـاية دولية ولكن قوات كـازافوبو قبضت عليـه وسلمته إلى ألد أعدائه فى إقليم كـاتانغا، وتمت تصفيتـه جسديًا فى ١٩٦١ بإشراف مفوضـية الشرطة البلجيكية، وتحول لومـومبا بعد مقتله إلى رمز وطنى مناهض للاستعمار وداعـية إلى التحرر، ليس فى إفريقيا وحدها بل فى مختلف أنحاء العالم الثالث، وتكريمًا له أنشأ الاتحـاد السوفييتى السابق جامعة فى موسكو تحمل اسـمه، وهى خاصة بطلاب دول العـالم الثالث، وفى عام ١٩٦٦ أصدر «الجنرال» موبوتو مرسومًا ينص على أن لومومبا بطل قومى من أبطال الكونغو، وتحولت الدار التى قتل فيها لتصبح محجًا للشباب الإفريقى.

* * * *

بسمارك

أوتو فون بسمارك Otto Von Bismarck سليل أسرة من نبلاء بروسـية، ولد عام ١٨١٥م، كـان والده ضابطًـا فى الجيش، يعـود بأصـوله إلى أسـرة من كبـار الملاك المتعلمين المشتغلين بوظائف الدولة.

أتم بسمارك تعليمه الثانوى فى معـاهد برلين، ودرس القانون فى جامعتى غوتنغن وبرلين من عام ١٨٣٢ إلى عام ١٨٣٥، وبعد وفاة والدته فى عام ١٨٩٣٧ استقر فى ممتلكات الأسرة فى بوميرانى Pommern. بدأ حياته السياسية فى البرلمان عام ١٨٤٧، واستمر حتى عام ١٨٥١، وكان خطيبًا بارعًا. وفى أحداث ثورة ١٨٤٨ الدامية وقف إلى جانب الملك، وهذا ما عزز مركزه وساعده على المحافظة على مقعده فى البرلمان، ولـم تكن عـلاقاته جيـدة مع الليبـراليين ولا مع دعـاة الوحدة الألمانية، ثـم عين فى منصب دبلوماسى، وبـذلك تنقل بسمارك مـا بين عامى ١٨٥١ و ١٨٦٣ سفـيراً بين ثلاث عـواصم هى فـرانكفورت وبـطرسبـوغ وباريس، مـات فـريدريك وليم الرابع Friedrich Wilhelm IV فى عام ١٨٦١، وأصبـح الوصى ملكًا باسم وليم (غليوم) الأول Wilhelm I عـام ١٨٦١، ثم وقع الخلاف بـينه وبين مجلـس النواب، فقـرر التنازل عن العرش، وبناءً على نصـيحة وزير الحربيـة آنذاك استدعى بسـمارك، وكان وقتهـا سفيراً فـى باريس ليتولى رئاسة الوزارة فى ٨ تشـرين الأول من عام ١٨٦٢، فأنفذ هذه المهـمة إلى فبراير ١٨٩٠ بجرأة وحنكة كـبيرتين، فقد سـعى بسمارك إلى ترسـيخ الحكم الفردى لمولاه وليم الأول، وعـمد منذ عـام ١٨٦٣ إلى إحبـاط خطط النمسا المطروحة على الأمراء فى اجتماعاتهم فى فرانكفورت، وعندما توحدت إيطاليا

قويت رغبة الشعب البولندى فى قيام دولة بولندة، وثار البولنديون على روسيا عام ١٨٦٣، فتدخلت فرنسا وإنكلترا لحل المشكلة، ودعتا إلى عقد مؤتمر، لكن بسمارك رفض الاقتراح وأيد روسيا، التى أسرعت وأخمدت الثورة البولندية، وبذلك كسب بسمارك صداقة روسيا، ومن تلك اللحظة أمكنه أن يشعر بالاطمئنان، إذ أراد أن يعلن الحرب على النمسا وفرنسا فيما بعد. وفى عام ١٨٦٤ استغل بسمارك قضية دوقيتى شلزفيغ وهولشتاين ليَجُرّ النمسا إلى جانب بروسيا فى حرب على الدنمارك، فغزت جيوش النمسا وبروسيا الدوقيتين فى يناير ١٨٦٤، وأجبرت الدنمارك على طلب الصلح، والتنازل عن حقوقها فى الدوقيتين. واتفقت بروسية والنمسا فى البداية على الحكم الثنائى فى الدوقيتين، ولكن الخلافات بينهما ظهرت من جديد، ولذلك كان على بسمارك أن يهيئ نفسه لتحطيم النمسا عسكريًا بعد أن ضمن حياد كل من روسيا وفرنسا وإيطاليا، وكذلك إنكلترا التى لا تهتم بحرب برية لا تغير ميزان القوى فى أوروبا. وبدأت الحرب بين النمسا وبروسيا من دون إعلان للحرب، واحتلت القوات البروسيا هانوفر وسكسونية وكورهسن، وكانت المعركة الفاصلة فى بوهيمية، حيث هزم الجيش النمسوى عند كونيك غراتز (سادوفة) Koniggraz فى ٣ يوليو ١٨٦٦. وعقد السلام النهائى فى براغ بين النمسا وبروسيةا فى ٢٣ أغسطس ١٨٦٦. وهكذا أصبحت الطريق مفتوحة لإقامة ألمانيا الصغرى، وذلك بإعلان الاتحاد الألمانى الشمالى بزعامة بروسيا. وبذا نجح بسمارك مرة أخرى بعد انتصاره على الدنمارك فى بناء دولة اتحادية من الإمارات الألمانية شمال ماينز، وجعل لها دستورًا وأنشأ مجلس نواب للاتحاد، سمى بالرايخستاغ Reichstag. وبدأت الخلافات بين فرنسا وبروسيا منذ انتهاء الحرب مع النمسا، وجاءت الأزمة الديبلوماسية حول ولاية العهد فى إسبانيا، فاستغلها بسمارك من أجل دفع فرنسا إلى الحرب وإلقاء مسئولية إعلانها عليها.

أعلنت فـرنسـا الحرب عـلى بروسيـا فى ١٩ يوليـو ١٨٧٠، وبدأت الحـرب بين الطرفين، وأظهر البـروسيون تفوقًـا عسكريًا، أجبر الجيش الفـرنسى على التسليم فى سيدان Sedan فى أول سبـتمبر ١٨٧٠، وأعلـنت الجمهورية الفـرنسية فى كـومونة باريس، ووقعت الهـدنة التى انتهت بصلح فـرانكفورت يوم ١٠ مـايو ١٨٧١. وقام بسمارك فى أثناء الحرب الفـرنسيا البروسيا بمفاوضة الإمـارات الألمانية الجنوبية لتدخل اتحاد إمارات الشمال، ولكنها رفضت فى البداية، ثم وافقت. وفى ١٨ يناير ١٨٧١ وفى قاعة المرايا بقـصر فرساى أعلن قيـام الإمبراطورية الألمانية وتتويج القـيصر وليم الأول إمبراطورًا على ألمانيا، وبذلك سيطر المستشـار الحديدى بسمارك بوصفه الصانع الرئيسى للوحدة الألمانية وهو فى سـن الخامسة والستين من عمره على مـقاليد الأمور فى البلاد.

خاض بســمارك صراعًـا قاسيًـا مع الكنيســة والحزب الكاثوليكى حـين أصدر بين ١٨٧١ و ١٨٧٣ جـملة من القـرارات تتـعلق برجـال الدين. وبذلك بدأ صـراع بين بسمـارك والكنيســة الكاثوليكية عـرف باسم «الصراع الثقـافى»، ولكن ذلك لم يدم طويلاً، لأن بسمـارك بدأ منذ عام ١٨٨١ فى تخفيف قـبضته وتعـديل سياسـته تجاه رجال الدين، وخـشى بسمـارك من خطورة الحزب الاشتـراكى الديمقـراطى المعادى للملكية، ولا سيما بعد الـنجاحات التى حققتها حركة الاشتـراكيين الديمقراطيين فى انتخـابات ١٨٧٧ فقـام بخطوتين: أولاهما السـعى إلى تحطيم الاشتـراكيـن بقانون استـثنائى، والثانية إدخال بعض الإصـلاحات الاشتراكـية لمصلحة العمـال، وتعرض الإمبراطور وليم الأول عام ١٨٧٨ لمحاولتى اغتيال، فاغتنم بسمارك الفرصة وادعى أن مدبرى هاتين المحـاولتين من أنصار الحـزب الاشتراكى الديمـقراطى، واستـصدر من الرايخستـاغ قانونًا بحل جميع الاتحادات الاشـتراكية الديمقـراطية، ولكن القانون لم

يحقق غرضه، فقام ببعض الإصلاحات الاجتماعية لأحوال العمال، وأصدر قانون التأمين الصحى عام ١٨٨٣، وقانون التأمين من الحوادث ١٨٨٤، وقانونًا يلزم أصحاب العمل بدفع رواتب تقاعدية للعمال بعد عجزهم. ولكن ذلك لم يمنع الاشتراكيين الديمقراطيين من تأسيس تنظيمات سرية تروج أفكارهم عن طريق منشورات تأتيهم سرًا من سويسرا وبلجيكا.

كان لبسمارك الفضل فى التطور الاقتصادى الذى شهدته ألمانيا فى تلك المرحلة، إذ اعتمد سنة ١٨٧٣ وحدة نقدية هى المارك، وتم إنشاء مصرف للإمبراطورية سنة ١٨٧٥، ولم يكن لدى بسمارك عند إنشاء الرايخ الألمانى أى رغبة فى تكوين مستعمرات لألمانيا، ولكن هذا تغير بحجة حماية التجارة، وكانت سياسة بسمارك قائمة على عزل فرنسا، وصرف أنظارها عن الألزاس واللورين، وكسب صداقة روسيا من غير إغضاب إنكلترا وكسب ود النمسا من دون الابتعاد عن روسيا وفى عام ١٨٧٢ عقدت روسيا وألمانيا والنمسا «اتفاق القياصرة الثلاثة» لتدعيم السلام.

وفى الحرب الروسية التركية (١٨٧٥ - ١٨٧٨) عرض بسمارك وساطته، وعقد مؤتمر برلين الذى اختير بسمارك رئيسًا له. ونجح على الرغم من الصعوبات فى التوصل إلى اتفاق، ولكن روسيا خرجت ناقمة عليه، فازداد التقارب بين ألمانيا والنمسا وتوج باتفاق ثنائى عام ١٨٧٩. وواصل بسمارك جهوده ونجح فى تجديد معاهدة القياصرة الثلاثة عام ١٨٨٤ لمدة ثلاث سنوات، وبسبب الخلاف النمساوى الروسى فى البلقان لم تجدد المعاهدة مرة ثالثة. وعقد بسمارك معاهدة سرية مع روسيا، عرفت باسم معاهدة «تأمين الظهر» كما نجح فى ٢٠ مايو ١٨٨٢ فى عقد معاهدة دفاعية سرية بين ألمانيا والنمسا وإيطاليا، ثم انضمت صربيا ورومانيا إلى هذه

الاتفاقية، وحـاول أن يقيم علاقات طيبة مع إنكلترا بعـد التقارب الفرنسى الروسى، ولكن ذلك لم يتم.

مـات القيـصر وليم الأول فى فـبـراير ١٨٨٨ فخلفـه ابنه المريض باسم القـيصـر فريدريك الثالث، ثم مات فريدريك بعد ٩٩ يومًا فـخلفه القيصر وليم الثانى الحديث السن، ونشب الخلاف بينهما فى السياسة الخارجية، وأخيرًا أجبر القيصر بسمارك على تقديم استـقالته فى ٢٠ فبراير ١٨٩٠، وعـاد إلى ضيعة له قرب هامـبرو . بعد ٢٨ سنة من العمل السـياسى غادر بسمـارك الساحة الأوروبية والألمانية ، وظـل فى قريته يكتب مذكراته التى صاغها فى كتابه «أفكار وذكريات» حتى موته.

* * * *

الدالاى لاما

لقب الزعيم الروحى لشعب التيبت البوذى وهو يجسد «بوذا الحى» فيما يسمى بـ «التناسخ والحلول» حسب عقيدة البوذيين، والدالاى لاما الحالى هو الرابع عشر فى سلسلة «الدالاى لامات» والتى تعود إلى القرن الخامس عشر وكل «دالاى لاما» يعتبر تجسيدًا جديدًا لسلفه.

هو «كينزين جياتسو» ولد فى قرية صغيرة تسمى «ناكستر» فى شمال شرق إقليم التبت فى عائلة قروية غير معروفة، وحين بلغ عمره عامين جاءته لجنة من الزعماء الروحيين فى باقى إقليم التيبت بناء على «إلهامات إلهية» و «رؤى نبوية» شاهدوها جميعًا وأخضعوا الطفل الصغير لاختبارات تأكدوا معها أنه هو الدالاى لاما الجديد وهو «انبثاق الرحمة».

بدأ تعليمه وعمره ٦ سنوات واستقر على عرش الأسد فى قصر «بوتالا» الفخم العظيم فى «لهاسا» العاصمة وعمره ١٤ سنة، وكان القصر مظلمًا وباردًا برغم أبهته وجماله، وكرس نفسه فيه لدراسة «الإلهيات البوذية» و «الفلسفة البوذية».

ورغم أنه كان تحت تصرفه آلاف الغرف فى القصر، فلم يكن يغادر جناحه، وفى الصيف كان يقيم فى دير منعزل فى قصر «نوربولنجا» خارج المدينة .

وفى سن ٢٤ سنة كان الفصل فى تاريخه حين كان عليه اجتياز ثلاثة امتحانات فى ثلاث جامعات دينية وقد أدى الامتحان بطريقة شديدة الصعوبة، ففى الصباح أدى الامتحان أمام لجنة مكونة من ثلاثين «معلمًا» فى المنطق، وبعد الظهر أدار حوارًا

فلسفيًا صعبًا مع «١٥» من كبار الفلاسفة «المعلمين» من رجال الدين حول ما يسمى بـ الطريق الوسط وفى المساء امتحن «٣٥» أستاذًا «معلمًا» معلوماته فى سر الرهبنة البوذية، وفى النسك وفى تعاليم ومفاهيم فلسفة الميتافيزيقيا «أو ما وراء الطبيعة» وحصل على الدكتوراه وعمره «٢٥» سنة.

لكن حياته لم تكن بهذه السهولة والبساطة مثل سابقيه من «الدالاى لامات»، ففى عام ١٩٥١م وكان عمره ١٦ سنة وقبل بلوغ السن القانونية بعامين استدعى من قبل كبار القادة فى البلاد لاستلام كامل للسلطة السياسية كرئيس للدولة والحكومة حين كانت البلاد مهددة بالاجتياح الصينى، حاول «الدالاى لاما» جاهدًا التفاهم مع الصينيين للحفاظ على خصوصية التيبت لكنهم دخلوها وقتلوا الرهبان ونشروا الدبابات التى لم يكن أهل التيبت يعرفونها، كسر «الدالاى لاما» العزلة التقليدية المفروضة على منصبه فالتقى بالزعيم الصينى «ماوتسى تونج»، وبرئيس وزراء الهند «نهرو»، وحين زار الهند وقف أمام مكان «محرقة جسد غاندى» واستلهم هناك الطريقة التى عليه اتباعها لتحرير التيبت فاختار السلام.

وبرغم ما كان يرى من معاناة شعبه من نقص فى المواد الغذائية والاضطهاد الدينى وإخضاعهم للعمل الإجبارى حتى الأطفال والعجائز منهم، والسجن والتعذيب والتعقيم القسرى للنساء، وإعدام آلاف الرجال بعد أن كان الإقليم منعزلاً سياسيًا واجتماعيًا بسكانه البالغ عددهم «٦» ملايين إنسان وكانوا يفضلون تجنب الغرباء، وهو ما يفسر عدم وجود حلفاء لهم فى مواجهة الصين فى البداية لكن جهود «الدالاى لاما» جعلت البرلمان الأوروبى يقرر الاعتراف بالحكومة التيبتية فى المنفى والاعتراف به كممثل شرعى لشعب التيبت وزعيمه، فى عام ١٩٨٧ قدم «الدالاى لاما» خطة سلام

من «٥١» نقاط، وتعد من أكثر الوثائق «رقيًا» فى التاريخ، ومنها تحويل التيبت إلى منطقة سلام آمن فى «الهيمالايا» وحماية الطبيعة والإنسان فيها، لكن الصين رفضت حتى مجرد قراءتها.

حياة «الدالاى لاما» فى منفاه الهندى صعبة، والوصول إلى مقره شاق وهو يستيقظ فى الرابعة فجرًا ليصلى وينذر نفسه للحياة من أجل الآخرين، ثوبه بنى اللون وفيه رقع دائمًا . يفطر بعد الصلاة والنزهة ثم يتابع الأخبار وبعدها يتفرغ للتأمل وممارسة الحكم واستقبال الزوار، وينسحب إلى عزلته فى التاسعة مساءًا. «الدالاى لاما» مثقف مبتسم دائمًا، مقبل على الحياة مبتهج الأسارير، يقول: «دينى الحقيقى هو الرحمة» حاز على جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٨٩م حاول الصينيون اغتياله بدعوته لعرض عسكرى لكن أنصاره منعوه من الذهاب بالقوة . وحين غادر التيبت متنكرًا رافقته أمه وأخته، ولدى وصوله إلى الهند بعد رحلة شاقة وسط ثلوج فى الجبال استقبله «١٠٠» صحفى أجنبى وأرسل إليه «نهرو» يستضيفه فى بلاده، وسميت المدينة التى نزل بها «دهارمسلا» باسم «لهاسا الصغيرة»، وأسس فيها عام ١٩٦٠ قرية للأطفال وجمعية للرقص والمسرح ومكتبة ومركزًا للطب والتنجيم ومعبدًا لدراسة الفلسفة البوذية ومقر حكمه، وأصدر دستورًا جديدًا لبلاده التبيت يتعلق بالتعليم بشكل خاص «للدالاى لاما» مؤلفات بينها : «الحرية فى المنفى» و «أرضى وشعبى» و«محيط الحكمة» و «سياسة الرحمة» و «حياة طيبة .. موت طيب».

* * * *

جان دارك

جان دارك Jeanne darc بطلة شعبية فرنسية ولدت فى ٦ يناير عام ١٤١٢م فى مدينة دومرمى Domrémy الواقعة فى مقاطعة اللورين من عائلة ريفية، كانت شديدة التدين منذ صغرها، وادعت أنها تسمع أصواتًا مجهولة تحثها على التطوع من أجل إنقاذ فرنسا من الاحتلال الإنكليزى، وكانت فرنسا آنذاك مقسمة إلى ثلاث مناطق:

١ - منطقة يحتلها الإنكليز هى: النورماندى Normandie، والشمال Le nord وباريس Paris.

٢ - فرنسا البرغونية France Bourguignon .

٣ - فرنسا المخلصة لشارل السابع Charles VII الوريث الشرعى، المتلجئ إلى مدينة بورج Bourges وهى: الجنوب Le Midi، ومنطقة الأنجو L' Anjou .

حاولت جان دارك مقابلة شارل السابع عدة مرات، وأخيرًا سمح لها بمقابلته فى مدينة شينون Chinon، وذلك فى أثناء حصار مدينة أورليان Orléans التى تقع جنوبى مدينة باريس على نهر اللوار Loire ،وتم اللقاء فى عام ١٤٢٩، واستطاعت جان دارك الحصول على ثقة شارل السابع وإقناعه بالمهمة المقدسة التى أوكلتها إليها «القدرة الإلهية»، فوضعت على رأس قوة عسكرية صغيرة أجبرت الإنكليز على رفع الحصار عن مدينة أورليان، وهزمتهم فى باتى Patay ، وعملت على تتويج شارل السابع ملكًا على فرنسا فى مدينة ريمس Reims فى ١٧ يوليو ١٤٢٩، لكن جان دارك أخفقت أمام مدينة باريس، ووقعت أسيرة فى أيدى البرغونيين فى ٢٣ مايو ١٤٣٠ فى بلدة كومبيين Compiégne، وقد سلمها قائدهم جان دو لوكسمبورغ

Jean de Luxembourg مقابل مبلغ من المال إلى الإنكليز الذين اتهموها بأنها ساحرة وحاكموها أمام محكمة دينية ترأسها أسقف مدينة بوفى المدعو بيير كوشون Piérre Cauchon.

دافعت جان دارك عن نفسها أمام المحكمة الدينية بكل ما أوتيت من براعة وتواضع وشجاعة، لكن المحكمة اتهمتها بالهرطقة وعدم الإخلاص للديانة المسيحية، وكانت عقوبة هذه التهمة الحرق حية، ونفذ فيها الحكم فى ٣٠ مايو عام ١٤٣١، وأحرقت حية فى مدينة روان Rouen عاصمة منطقة النورماندى التى تقع إلى الشمال الغربى من مدينة باريس.

وفى عام ١٤٥٠ أعيدت محاكمتها لإعادة الاعتبار إليها، وصدر حكم إعادة الاعتبار إليها رسميًا فى عام ١٤٥٦، وفى عام ١٩٠٩ أصدر البابا قرارًا يعدّها «من السعداء» beatifiée ومنحتها الكنيسة الكاثوليكية عام ١٩٢٠ مرتبة «القديسة» Ella été canouisée وخصص لها يوم عيد دينى فى ٣٠ مايو، يعرف بيوم القديسة جان دارك La Fete de Ste Jeanne d'Arc من كل عام، كما خصص لها يوم عيد وطنى، يصادف الأحد الثانى من شهر مايو فى كل عام.

كانت القديسة جان دارك مصدر إلهام عدد كبير من الأدباء والفنانين الذين أصدروا عنها عدة مؤلفات أدبية مأساوية، منها المجموعة الشعرية للشاعرة كريستين دو بيزان Christine de pisan التى تحمل عنوان Dictié de Jeanne darc ومأساة فتاة أورليان Le pucelle d'orléans ١٨٩١ للشعر الألمانى شيلر، «والقديسة جان» Saint Jeane للكاتب الأيرلندى جورج برنارد شو G . B . Shaw عام ١٩٢٣ و «جان فى المحرقة» Jeanne au bucher غناء دينى لـ ب. كلوديل Oratorio de P. Claudel، كما رسمها عدد من الفنانين فى لوحات شهيرة، وكانت حياتها وأعمالها موضوع عدد من الأفلام السينمائية المتميزة.

جميلة بوحريد

المناضلة الجزائرية جميلة بوحريد ليست رمـزًا من رموز النضال الجزائرى فحسب، بل علامة بارزة أيضًا فى حركـات التحرر التى عرفها العالم لكسر شوكـة الاستعمار، فلا تكاد تذكر هذه الحركات إلا ويذكر معها جميلة بوحريد.

هذه المرأة التى كانت شـوكة فى خاصرة الاسـتعمار الفـرنسى ولدت عام ١٩٣٥م بحى القصـبة العتيق بالجـزائر العاصمـة، وترعرعت فى أسرة متـوسطة الحال بين أم تونسية الأصل وأب جزائرى مـثقف، وسبعة إخوة هى الفتـاة الوحيدة بينهم، تشربت مبادئ النضال من أبيها الثـائر، وأمها التى انتفضت غاضبة حينما سمـعتها تردد عبارة من كـتاب التـاريخ تقـول: أسلافنا هم الـغال، أى شـعب الغال الـذى ينتمى إليـه الفرنسـيون»، وزرعت فيهـا أولى بذور الوطنية والانتمـاء حينما قالت لهـا: «الجزائر وطنك، والعروبة هويتك، والإسلام دينك، وإفريقيا جنتك التى يجب أن تعود كاملة لأصحـابها الإفـريقيـين»، وهو الكلام الذى انعكس بشكل جلى على حـياتهـا التى أخذت منعطفًا ثوريًا بدا واضحًا فى مخـالفتها للطلاب الجزائريين الذين كانوا يرددون فى طابور الصبـاح «أمنا» أى فرنسا، ولكنهـا وحدها التى كانت تغرد خـارج السرب وهى تردد «الجزائر»، فـأخرجـها ناظر المدرسة الـفرنسى وعاقـبها بـشدة، ولكن هذا العقاب لم يؤت أكله، بل زادها إصرارًا وتشبثًا بموقفهـا الذى قويت شوكته بانضمامها إلى صفوف الثورة الجزائرية عام ١٩٥٦م وهى لا تزال تلميذة.

اضطلعت بالمهام الصعبة التى لايقوى عليها إلا الرجال الأشداء، حيث كانت تقوم بنقل الأسلحة وزرع القنابل والعبـوات الناسفة فى الأماكن التى يرتادها المستـعمرون،

كما عملت مسئولة ارتباط مع القائد سعدى ياسف، لذلك أصبحت من أكثر المطلوبين من طرف الاستعمار الفرنسى الذى تمكن من إصابتها برصاصة فى الكتف عام ١٩٥٧م والقبض عليها.

وخلف أسوار المستشفى تعرضت لأشد أنواع التعذيب الذى تمثل فى الصعق الكهربائى ولمدة ثلاثة أيام لحملها على الاعتراف على زملائها، ولكنها ظلت مستعصمة بالصبر لئلا ينطق لسانها بكلمة تفشى أسرار إخوانها الثوار، غير أنها كلما ازدادت إصرارًا على موقفها ازداد زبانية الاستعمار غلاً، ونزلوا على جسدها المكدود بصعقات كهربائية متتالية حتى تفقد وعيها، ولكن عندما تفيق تصعقهم بصعقة أكبر حينما تقول: «الجزائر أمنا»، لذلك أيقن الاستعمار الفرنسى أن انتزاع أى اعتراف منها بات أمرًا مستحيلاً، فتقرر محاكمتها صوريا، وحكم عليها بالإعدام الذى تحدد له يوم ٧ آذار / مارس ١٩٥٨م، إلا أنها لم تقدم قضيتها قربانًا للاستعمار الفرنسى حتى يصفح عنها، وما ضعفت وما استكانت بل قالت لقادته: «أعرف أنكم سوف تحكمون علىّ بالإعدام، ولكن لا تنسوا أنكم بقتلى تغتالون الحرية فى بلدكم، ولكنكم لن تمنعوا الجزائر من أن تصبح حرة مستقلة».

وتذكر بعض المصادر أنها كتبت فى مذكراتها بعد أن تقرر إعدامها هذه العبارة: «كان ذلك اليوم من أجمل أيام حياتى، لأنى سأموت من أجل استقلال بلادى الجزائر».

وتضيف أنه بعد عودتها من المحكمة إلى غياهب السجن استقبلها زملاؤها السجناء من المناضلين بأغنية: «الله أكبر تضحيتنا للوطن». كانت لحظة مؤثرة تعجز الكلمات عن وصفها، ومع وحشية تلك الأيام التى قضتها فى السجن إلا أنها تصفها بأنها من الأيام الخالدة التى لا تمحى من الذاكرة.

وتضيف هذه المصادر أنها كانت تقول لأمها عندما تزورها فى السجن: «لعلك لا تجدينى هنا فى المرة القادمة»، فتضمها أمها وهى تبكى وتقول لها: «ما أسعدك يا جميلة أن تموتى شهيدة، وما أسعدنى أنا الأخرى أن يشار إلى بالبنان: تلك هى أم الشهيدة.

ولكن محاميها الفرنسى «جاك فيرجيس» الذى تزوجت منه بعد خروجها من السجن وبعد اعتناقه الإسلام، كان مؤمنًا أشد الإيمان بقضيتها، وحق الشعوب فى تقرير مصيرها، فكان عقبة كأداء فى وجه الاستعمار الفرنسى الذى تراجع عن حكم الإعدام تحت ضغط الرأى العام العالمى الذى حركه المحامى الفرنسى كالإعصار فى وجه «الاستعمار» الفرنسى.

وبعد أن قضت ثلاث سنوات فى السجن نقلت إلى فرنسا لتقضى ثلاث سنوات أخرى خلف جدران الزنزانة إلى أن أطلق سراحها مع الأسرى الجزائريين فى أعقاب «اتفاقية إيفيان» التى كسرت الطوق الحديدى الذى ضربته فرنسا على الجزائر منذ ١٨٣٠م، وبعد الاستقلال تولت جميلة بوحريد رئاسة اتحاد المرأة الجزائرية، وخاضت فى سبيل هذا الاتحاد نضالاً من نوع آخر لتثبيت القرارات واتخاذ الإجراءات، لأنها لم تكن على وفاق مع الرئيس الأسبق «أحمد بن بلة».

هذه هى جميلة بوحريد التى أعطت الكثير للجزائر.

* * * *

جيوسبى غاريبالدى

جيوسبى غاريبالدى Garibaldi Giuseppe سياسى إيطالى ومناضل من أجل الحرية، بطل الوحدة الإيطالية ١٨٧٠ ، ولد فى مدينة نيس الفرنسية فى الرابع من يوليو عام ١٨٠٧م وتوفى فى جزيرة كابريرا (إحدى جزر البليار الإسبانية) فى يونيو عام ١٨٨٢م.

نشأ غاريبالدى فى مملكة البيدمونت فى أقصى الشمال الإيطالى، وعاصمتها تورينو، وملكها فيكتور عمانوئيل، وكانت إيطاليا مقسمة إلى إمارات وممالك، ففى الجنوب كانت مملكة نابولى وصقلية يحكمها آل بوربون الفرنسيون، وفى الوسط المقاطعة البابوية، أما البندقية ولومبارديا فكانتا تحت حكم النمسا المباشر، وكان الإيطاليون يتطلعون إلى الوحدة السياسية، وفى مقدمتهم ما تزينى زعيم جمعية «إيطاليا الفتاة» عمل غاريبالدى ضابطًا فى سلاح البحرية الملكى التابع لسردينيا، وانضم إلى جمعية «إيطاليا الفتاة» عام ١٨٣٣م. شارك مع ماتزينى بثورة فى البيدمونت عام ١٨٣٤م، لكن الثورة فشلت فهرب ماتزينى إلى لندن، وفر غاريبالدى إلى البرازيل، حيث عمل بالتجارة مدة، ثم اشترك فى الدفاع عن الأورغواى ضد الأرجنتين، وشكل هناك جيشًا من المهاجرين الإيطاليين أطلق عليه اسم فرقة القمصان الحمراء تحولت فيما بعد إلى ما يشبه الأسطورة ولا سيما بعد انتصارها فى معركة سان انطونيو ١٨٤٦ ، وقد وضع غاريبالدى لجيشه فى الأورغواى علمًا أسود فى وسطه بركان، وهو يرمز بذلك لإيطاليا الحزينة التى تضطرم فى جوفها نار الثورة. بعد عودة غاريبالدى من أمريكا اللاتينية شارك بالحرب ضد النمسا، وتولى الدفاع عن إيطاليا

ضد الفرنسيين، وما لبث هذا القائد أن جمع حوله جيشًا شعبيًا مكونًا من ٥٠٠٠ خيال متمرسين فى حرب الجبال، وحقق أول انتصار له فى تحرير لومبارديا فى شمالى ميلانو من أيدى النمساويين والفرنسيين، وضمها للملكة البيدمونت فى سنة ١٨٥٩، كما قاد غاريبالدى الزحف التاريخى (مسيرة الألف رجل) ممن يلبسون القمصان الحمراء إلى صقلية فى ربيع ١٨٦٠م، واستطاع الاستيلاء على بالرمو عاصمة صقلية، وانتصر على آل البوربون، وأقام فى الجزيرة حكومة مؤقتة تحت شعار (فيكتور عمانوئيل هو إيطاليا) واستعد للزحف إلى نابولى، وتمكن الجيش الشعبى الذى يقوده غاريبالدى من عبور مضيق مسينا، وسار فى الجنوب الإيطالى حتى احتل نابلى، وقضى على عرش آل بوربون، ونادى غاريبالدى بالملك فكتور عمانوئيل ليكون أول ملك على إيطاليا الموحدة عام ١٨٦١ بعد ضم نابولى وصقلية رسميًا إلى مملكة إيطاليا.

خشى الملك أن يبادر الزعيم المنتصر غاريبالدى بتأثير المتطرفين من أتباع مازينى إلى إعلان جمهورية مستقلة فى جنوبى إيطاليا فعزله وحل جيشه ، فغادر غاريبالدى نابولى إلى جزيرة كابريرا من دون أن ينتظر أى مكافأة، ولكنه كان مصممًا على تحقيق هدفه، وهو تحرير روما وفينيسيا، وجرت الأحداث لمصلحة إيطاليا حينما هزمت النمسا أمام بروسيا فى حرب ١٨٦٦ ، فتخلت هذه عن البندقية وأعادتها لإيطاليا، وفى سنة ١٨٧٠ تغلبت بروسيا على فرنسا ونابليون الثالث، واستسلمت روما، وعادت عاصمة تاريخية لإيطاليا، وأصبحت إيطاليا موحدة.

حارب غاريبالدى من أجل إيطاليا طويلاً الأمر الذى أكسبه محبة الإيطاليين، فأطلقوا اسمه على معالم كل مدينة وقرية، ونصبوا تماثيله فى معظم المدن الإيطالية، واستحق غاريبالدى لقب (أبو إيطاليا الحديثة).

تيتو

كانت تيتو زعيمًا سياسـيًا لدولة كانت إلى ذهن قريب ملء السمع والبصر، لكنها الدنيا، فكم من إمـبراطوريات زالت، وكم من دول ضعـيفة أصـبحت دولاً عظمى، وكم من دول تفككت ولم يعـد لها وجـود، تلك هى الدولة التى حكمـها جـوزيف بروز تيتو، (يوغسلافيا) التى تحللت لتـضع العالم أجمع أمام مسئوليات هو أجبن من أن يتحملها، تفككت تلك الدولة التى كان يحسب لها ألف حساب إلى دولة الصرب وكرواتيا وسلوفينيـا ومقدونيا وكوسوفو والجبل الأسـود ودولة البوسنة والهرسك بعد حرب طاحنة سقط فيها مئـات الآلاف من مسلمى البوسنة والهرسك أمام أعين العالم ولا منقذ!!

إن اسم «تيتو» ليس اسمه الحقيقى، ولكنه الاسم الذى كان يتخفى به للهروب من رجال السلطة، سجن لعدة مرات بسبب نشاطاته السـياسية، شارك فى الحرب الأهلية الإسبانية، بدأ فى قيادة قوات المقـاومة للاحتلال الألمانى عام ١٩٣٨ ليدخل فى حرب عصابات مع مؤخرة الجيش الألمانى وهو فى طريقـه إلى روسيا، وقد حقق نجاحًا فى كثير من تلك الهـجمات رغم الفارق الكبير فى التسليح، فـهو لا يملك سوى الأفراد المسلحين بالبنادق والأسلحة الأرضية، فى حينِ يتميز الألمان بسلاح الطيران الرهيب، لكنه تمكن من تأخير الهـجوم الألمانى على روسيا عدة أسـابيع أعطت الفرصة للروس للاستـعداد، وقد سقط فى مـعارك التحريـر ضد الألمان قرابة ٢ مليون يوغـسلافى. وباعتبار تيتو رئيسًا للجبة التحرير ، وقائدًا عسكريًا للجيوش اليوغسلافية المحاربة فقد

شكل حكومة مؤقتة عام ١٩٤٣ ثم انتخب رئيسًا لجمهورية يوغسلافيا بعد التحرير ١٩٥٣.

واجه تيتو مثله مثل كل زعماء الدول الصغيرة تحديًا كبيرًا بعد الحرب العالمية الثانية، كان ذلك التحدى يتلخص فى محاولة دول التحالف المنتصرة فرض إرادتها على الدول الصغيرة سواء بالدخول فى تحالفات سياسية أو اقتصادية أو منهجية بحيث تتلقى أوامرها من العواصم الكبرى ، لكن تيتو ورغم اعتناقه للاشتراكية فقد رفض أن يتلقى أوامره من موسكو، كما حافظ على علاقته بالحزب الشيوعى الصينى، والذى كان على خلاف مع موسكو، وقد رسم خطًا مستقلاً ليوغسلافيا تبعته فيه دول أوروبية كثيرة تنتهج الاشتراكية، كما ساهم تيتو إلى جوار نهرو، وناصر فى تأسيس وتعزيز مبدأ الحياد الإيجابى وعدم الانحياز لأى من المعسكرين الشيوعى أو الرأسمالى، كما وقف ضد غزو السوفييت لتشيكوسلوفاكيا ١٩٦٧ ، ولعل أشد ما استطاع تيتو تحقيقه على الصعيد الداخلى ورغم اللحاق بركب التقدم والحضارة هو أن يحافظ على وحدة يوغسلافيا حتى وفاته فى مايو ١٩٨٠ ، تلك الوحدة التى دمرتها الطائفية ، وأصابع المخابرات الغربية نكاية فى الرجل الذى استطاع أن يقف فى وجههم طوال حياته.

* * * *

سوكارنو

إن القيادة السياسية كثيراً ما تهتز فى نظر شعـبها، أو أعين معجبيها إذا ما لامست تصرفات شخصية مشينة، ورغم الدفاع الدائم بأن الممارسات الشخصية والحياة الخاصة هى ملك خاص جـداً للمشاهير أو القـادة ، إلا أن ذلك الدفاع يتحطم على صـخر الواقع التى تحب أن ترى القـيادة السـياسيـة فى أفضل صـورة، ولا تقبل منهـا عيـباً يشينها.

أحمد سوكارنو هو زعيم إندونيسيا وأول رئيس لجـمهوريتها بعد الاستقلال، وبطل قومى ورائد من رواد حركـة عـدم الانحيـاز، قاد الحـركة الـوطنية من أجل الحـرية والاستقـلال، سجن لعدة مرات، وعندها لم يجد الهـولنديون طريقة لتقييـد تحركاته السياسية فقاموا بنفيه إلى جـزيرة سومطرة ١٩٤٢، ومع الحرب العالمية الثانية واجتياح اليابان للهولنديين وطردهم من سومطرة وإندونيسيـا قام اليابانيون بإطلاق سراح أحمد سوكـارنو، لكن الحرب دارت على دول المحور واستـسلم اليابانيون بعـد إلقاء قنبلتى هيروشـيما ونجازاكى دون قـيد أو شرط، وانسـحبوا من إندونيـسيا فأعلن سـوكارنو الاسـتقلال وشكل حكومة وطنية برئاسـته، لكن الهولنديين اجـتاحوا إندونيسـيا فى محاولة الاحـتلال مرة أخرى، فقاد النضـال لتحرير بلاده واعترفت هولندا باسـتقلال إندونيسيا.

كان لسوكارنو دور واضح فى السـياسة الخارجية، فقـد برز كبطل من أبطال حركة التحرر الوطنى فى العالم، داعماً لنضال الوطن العربى، وواقـفاً ضد التمييز العنصرى فى أفريقيـا، وقائداً من قادة دول عدم الانحيـاز رافضاً للتبعـية الغربية أو الشيـوعية.

استطاعت المخابرات المركزية الأمريكية النجاح فى صنع انقلاب عسكرى ضده مستخدمة قيادات عسكرية محلية بزعامة الجنرال سوهارتو الذى أعدم كل المعارضين للسياسة الأمريكية بدون تمييز، ووصل عدد القتلى إلى ما يزيد عن نصف مليون قتيل بعدها أزاح سوهارتو الزعيم سوكارنو دافعًا إياه للاستقالة الجبرية ليرشح نفسه رئيسًا، ويتولى الحكم فى فبراير ١٩٦٧، وسيظل سوكارنو زعيمًا مناضلاً فى قلوب الصينيين والعرب وفيتنام، وكل قوى التحرر فى العالم، وقبل أى شىء فى قلوب شعبه فهو بطل الاستقلال.

* * * *

سيمون بوليفار

أطلقوا عليه اسم «جورج واشنطون أمريكا اللاتينية»، وذلك بسبب الدور الذى قام به فى تحرير كثير من دول أمريكا اللاتينية: كولومبيا وفنزويلا وأكوادور وبيرو، وبوليفيا حررها جميعًا من الاحتلال الإسبانى، ولم يحدث إلا نادراً فى التاريخ أن استطاع إنسان أن يقوم بمثل هذا فى تحرير قارة بأكملها.

ولد سيمون بوليفار فى كراكاس بفنزويلا سنة ١٧٨٣ من عائلة أرستقراطية إسبانية الأصل، وقد تأثر فى سياسته بأفكار حركة التنوير فى فرنسا، ومن بين الكتب التى قرأها مؤلفات الفيلسوف الإنجليزى جون لوم، والفلاسفة الفرنسيين روسو وفولتير ومونتسكيو، وفى شبابه زار أوروبا وفى روما سنة ١٨٠٥ وقف على تلال أفنتينا وأقسم أن يحرر بلاده من الاستعمار الإسبانى. وفى سنة ١٨٠٨ غزا نابليون إسبانيا وعين أخاه ملكًا عليها، وعندما أطاح نابليون بالحكومة الإسبانية كان ذلك تصريحًا وتشجيعًا على أن يفعل غيره نفس الشىء مع الإسبان فى أى مكان. وبدأت الثورة ضد إسبانيا فى فنزويلا سنة ١٨١٠. وأعلنت استقلالها رسميًا سنة ١٨١١، وفى نفس السنة أصبح بوليفار ضابطًا فى جيش الثورة ، وفى السنة التالية استعادت إسبانيا سيطرتها على فنزويلا وألقت فى السجن بزعيم الثورة فرانشيسكو ميراندا، وهرب بوليفار وشهدت السنوات التالية سلسلة من الحروب تحققت فيها انتصارات ساحقة، ووقعت هزائم مروعة، وجاءت نقطة التحول فى سنة ١٨١٩ عندما قاد بوليفار جيشه الصغير عبر الأنهار والأحراش والمستنقعات وممرات جبال الأنديز وهاجم القوات الإسبانية فى كولومبيا، وانتصر على الإسبان فى معركة بايوكا الشهيرة يوم ٧ أغسطس

سنة ١٨١٩ وهى نقطة تحول حقيقية فى الثورة على الإسبان. وتحررت فنزويلا سنة ١٨٢١، وتحررت أكوادور سنة ١٨٢٢. ونجح الثائر الأرجنتينى خوسيه دى سان مارتن فى أن يحرر الأرجنتين وشيلى من حكم الإسبان، وتعهد بأن يحرر بيرو أيضًا. والتقى الزعميان دى مارتن وبوليفار فى جايا لكيل بأكوادور فى صيف سنة ١٨٢٢ ولم يتفق الأثنان على أسلوب منسق للتعاون بينهما، وآثر دى مارتن أن ينسحب من القتال نهائيًا. مكتفيًا بما حققه من انتصارات عظيمة. وفى سنة ١٨٢٤ أكملت جيوش بوليفار تحرير بيرو وحوصرت قوات إسبانيا فى بيرو العليا (بوليفيا الآن) فى سنة ١٨٢٥.

* * * *

شارل ديجول

لا يمكن أن تذكر فرنسا دون أن تذكر ذلك البطل الأسطورى شارل ديجول، ذلك القائد الشجاع الذى قاد فرنسا إلى التحرير والنصر، كانت خبرته العسكرية اللامحدودة وأفكاره الجديدة فى الحرب من وراء نصر فرنسا وتحررها، فلقد رفض استسلام فرنسا وسافر إلى لندن عام ١٩٤٠م كزعيم لفرنسا الحرة، وقد حاول كل من روزفلت وتشرشل إبعاده لكنه انتصر فى النهاية ، ولم يبعده سوى زعماء فرنسا المحررة، وذلك بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ١٩٤٦،وظل بعيدًا عن الحكم حتى عام ١٩٥٨ عندما أعاده الشعب الفرنسى إلى قيادة فرنسا قبل أن تغرق البلاد فى حرب أهلية طاحنة، فأنقذ البلاد، ووضع دستور فرنسا الذى استمرت عليه قرابة الثلاثين عامًا، وقد اهتم ديجول بعظمة فرنسا، فقد كان يؤمن بأن وحدة الفرنسيين لن تكون إلا إذا احتلت فرنسا مكانتها العالمية، ولن يكون ذلك إلا بإقامة مشروعات وطنية عملاقة تنقل فرنسا إلى الصف الأول للدول المتحضرة، فنجح فى إعطاء الاستقلال لعدد كبير من دول المستعمرات الفرنسية، وإن احتفظ بأن تقيم تلك الدول علاقات خاصة مع فرنسا ، لكنه ووجه بمشكلة كبيرة فى الجزائر وكونوا منظمة الجيش السرية، لكنه وباعتباره رجلاً عسكريًا محنكًا استطاع أن يقضى على ذلك التمرد خاصة بعد قيام تلك المنظمة بمحاولتين لاغتياله، لكنه مضى فى استكمال مفاوضات الاستقلال. كما خاض ديجول معركة سياسية واقتصادية عندما أصر على رفض فرنسا لدخول بريطانيا عضواً فى السوق الأوروبية المشتركة، وأدان تورط أمريكا فى فيتنام، وبدأ بناء القوة النووية الفرنسية منسحبًا عسكريًا من حلف شمال الأطلسى، وقد غير

ديجول من صورة فـرنسا المستعمرة فى الـوطن العربى فأقام علاقات صـداقة قوية مع الدول العربية، وأضحت فرنسا داعمة للقضـية العربية مما أكسب ديجول عداوة اليهود الفـرنسيـين والأمريكيـين، وقد كـان ذلك واضحًـا فى مظاهرات الطلاب والعـمال ١٩٦٨، فأجرى الاستفتاء الشعبى فى ٦٩ ولـم يكن لصالحه فاستقال.

وتوفى ديجول عـام ١٩٧١ تاركًا للفرنسـيين والعالم رمزًا وطـنيًا ونظرية سياسـية يتعلم منها قادة فرنسا حتى الآن هى «الديجولية».

* * * *

فيدل كاسترو

فيدل كاسترو روز Fidel Castro Ruz قائد الثورة الكوبية، ورئيس مجلس الدولة فى جمهورية كوبا الاشتراكية الشعبية، والأمين العام للحزب الشيوعى الكوبى.

ولد فيـدل كاسـترو فى بلدة مايارى Mayari بمقاطعـة أورينتا Orinte بكوبا عام ١٩٢٧م كان والده أنجـيل كاسترو أرغـيز Angel Castro Y Arguiz مهـاجراً إسبـانيًا يملك مزرعة لقصب السكر فى منطقة تسيطر عليها شركة الفواكه الأمريكية.

بدأ كاسترو دراسته الأولية فى مـدرسة داخلية تابعة لكنيسة الروم الكاثوليك بمدينة سانتياغو، وتابع تعليمه فى مدرسة بيليـن الثانوية، حيث اشتهر بتفوقه الرياضى. فى عام ١٩٤٥ التحق بكلية الحقوق فى جامعة هافانا، وبعد تخرجه افتتح - مع عدد من زملائه - مكتبًا للمحـاماة والاستشارات القانونية، وكان فى أثناء دراستـه الجامعية قد أبدى اهتمامًا كـبيراً بالسياسة وبالعمل الثـورى. انضم إلى حزب الشعب الكوبى ذى الميول اليسارية، وأصبح مرشح الحزب فى ولاية هافانا فى الانتخابات التى كان مقرراً إجراؤها فـى حزيران / يونيـو ١٩٥٢، إلا أنه فى آذار / مارس من العـام نفســه قام الجنرال فولخينسيو باتيستا Fulgencio Batista بانقلاب عسكرى أطاح بحكومة الرئيس كارلوس، وألغى الانتخابات ، وفرض على البلاد نظامًا عسكريًا «دكتاتوريًا».

عارض كاسترو نظام باتـيستا الدكتاتورى المدعوم أمريكيًا منـذ البداية، ولهذا عمد منذ عام ١٩٥٣ إلى تأليف منظمة سرية مسلحة لإسقاطه. وفى ٢٦ يوليو عام ١٩٥٣ هاجم كاسترو مع ١٦٠ رجلاً من أنصاره ثكنة مونكـادا العسكرية فى مدينة سانتياغو

أملاً فى أن يفجر الهجـوم انتفاضة شعبية ضد حكم باتيستا، إلا أن الهجوم أخفق، وقتل معظم المهاجـمين، واعتقل كاسترو وشـقيقه راؤول Raoul وعدد من رفاقهما، وحكم على فيدل بالسجن مدة خمسة عشر عامًا.

بعد عـامين من السجن أطـلق سراح كاسـترو ورفاقـه بعفو خـاص، فذهب إلى المكسيك حيث عمل علـى تنظيم الكوبيين المنفيين فى جمعيـة ثورية أطلق عليها اسم «حركة ٢٦ يوليو» للإطاحة بالنظام «الدكتاتورى».

وفى أثناء وجوده فى المكسـيك التقى كاسـترو الطبيب الأرجنتينى الأصل أرنسـتو تشى غفـيارا المعروف بميولـه الثورية اليسارية والذى انـضم إلى كاسترو ولازمـه حتى انتصار الثورة.

فى ديسمبر من عـام ١٩٥٦ عاد كاسترو إلى كوبا مع واحد وثمـانين رجلاً مسلحًا نزلوا على سـاحل ولاية أورينتا، وبعد مـقتل أغلبـية رجاله فى مـواجهـة مع حرس السواحل انسحب مع من بقى منهم إلى جبال سـييرا مايسترا Maestra ليبدأ من هناك حرب العصابات ضـد قوات باتيستا، واستطاع كاسـترو بعد ثلاث سنوات من الكفاح أن يدحر النظام «الدكتاتورى» وأن يرغم ياتيستا على الهروب من البلاد.

فى الأول من يناير ١٩٥٩ دخل كـاسـترو إلى العاصـمة هافـانا Havana وأعلن انتصـار الثورة فى كوبا، ثـم باشر بتنفيـذ برنامجه الوطنى الـذى اشتمل على تحـقيق إصلاح زراعى جـذرى، وتأميم الفـروع الأساسيـة للصناعة والمصـارف، كمـا شمل التأمـيم الشركات الأمـريكية بما فـيها مـصفاة النفط. كـذلك تضمن البـرنامج إجراء إصلاح شـامل فى نظام التعليم وجعله مـجانيًا فى جـميع مراحله، إلى جـانب البدء بعملية تصفية الأمية فى البلاد.

اتخذت الولايات المتحدة منذ البداية موقفًا سلبيًا من الثورة الكوبية، وتحول هذا الموقف إلى عداء واضح بعد تأميم الممتلكات الأمريكية الذى ردت عليه أمريكا بوقف شراء السكر الكوبى الذى كان المصدر الأساسى للدخل الوطنى، وبعد توقيع معاهدة التعاون الشاملة مع الاتحاد السوفييتى (عام ١٩٦٠) أعلنت الولايات المتحدة قطع علاقاتها الدبلوماسية مع كوبا، ومحاصرتها اقتصاديًا. وفى ١٧ أبريل ١٩٦١ قام نحو ١٥٠٠ مسلح من الكوبيين اللاجئين فى أمريكا بمحاولة لغزو كوبا فى منطقة خليج الخنازير The Bay of Pigs بإعداد وتمويل من الولايات المتحدة فى عهد الرئيس جون كينيدى، ولكن الهجوم فشل، وألقى القبض على كثيرين من المهاجمين الذين اعترفوا بدور المخابرات المركزية الأمريكية فى تلك العملية.

أدرك كاسترو بعد معركة خليج الخنازير أن معركته مع الإمبريالية الأمريكية هى معركة حياة أو موت، وأن عليه اتخاذ جميع التدابير لحماية بلاده، لذلك وقع مع الاتحاد السوفييتى معاهدة دفاع مشترك أقيمت بموجبها قاعدة للصواريخ السوفييتية فى كوبا، وعندما اكتشفت الولايات المتحدة وجود القاعدة قامت بحصار كوبا فى ١٩٦٣، وطلبت من خروشوف - رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى آنذاك - سحب الصواريخ أو أنها ستقوم بغزو كوبا. توتر الوضع الدولى نتيجة هذه الحادثة التى كانت تهدد بتحويل الحرب الباردة بين المعسكرين إلى حرب ساخنة، ولكن الحكمة تغلبت، وتم تجاوز الأزمة بالتوصل إلى اتفاق نص على سحب الاتحاد السوفييتى لصواريخه من كوبا مقابل تعهد أمريكى رسمى باحترام سيادة كوبا واستقلالها والتعهد بعدم غزوها، إضافة إلى سحب الصواريخ الأمريكية الموجهة إلى الاتحاد السوفييتى من تركيا.

فى عام ١٩٧٦ صدر دستور جديد للبلاد أعلنت كوبا بموجبه جمهورية اشتراكية شعبية، ونص الدستور على تشكيل جمعية وطنية، وإنشاء مجلس الدولة الذى أصبح كاسترو رئيسًا له. وفى هذه الفترة نفسها أعلن عن تأسيس الحزب الشيوعى الكوبى، وانتخب كاسترو أيضًا أمينًا عامًا له.

على الصعيد العالمى دعم كاسترو حركات التحرير الوطنى فى آسيا وإفريقيا (الانتفاضة الشعبية فى بوليفيا ١٩٧٦- حركة الجبهة الساندينية للتحرير الوطنى فى نيكاراغو - إرسال قوات كوبية إلى أنغولا وأثيوبيا لمساعدة النظامين اليساريين فيها). كما أرسل أعدادًا كبيرة من الأطباء والمهندسين لمساعدة عدد من بلدان العالم الثالث، وكان أول من طالب بإلغاء ديون البلدان المتقدمة على البلدان النامية.

كذلك جعل كاسترو من كوبا دولة صديقة للبلدان العربية، كما أيد دائمًا جميع القضايا العربية، وفى مقدمتها قضية الشعب الفلسطينى وحقوقه المشروعة، وقدم المنح الدراسية لتعليم مئات الكوادر الفلسطينية والعربية فى شتى الاختصاصات، كما أدان كاسترو الصهيونية حركة عنصرية إرهابية، وحمل إسرائيل مسئولية التوتر فى الشرق الأوسط، وما يزال يرفض إقامة علاقات معها.

منذ الثمانينيات بدأت فى دول المعسكر الاشتراكى تطورات مهمة تحت شعارات إعادة البناء والشفافية، انعكست فى تحقيق نوع من الانفراج الداخلى وتوسيع هامش الحريات. ولكن كاسترو رفض تطبيق هذه الإجراءات اقتناعًا منه بأنها جرت تحت الضغط الخارجى . . وقد أدى رفضه إلى تحركات معادية للثورة وإلى اشتداد الهجوم الإعلامى الغربى والأمريكى ضده بوجه خاص.

وكان لانهيار الاتحاد السوفييتى عام ١٩٩١ تأثير سلبى كبير على كوبا، لأنه أدى إلى وقف المساعدات السوفييتية السخية، مما أدى إلى صعوبات كبيرة شهدها الاقتصاد

الكوبى. واضطرت كوبا فى السنوات الأخيرة إلى تطبيق بعض الإجراءات الليبرالية فى الاقتصاد لتستطيع تأمين السلع الضرورية للاستهلاك الداخلى.

تأثر كاسترو فى شبابه بأفكار خوان مارتى J. Marti وسيمون بوليفار S. Bolivar الثوريين اللاتينيين اللذين وهبا حياتهما لتحرير كوبا وأمريكا اللاتينية من الاستعمار الإسبانى، وفى أثناء دراسته الجامعية اطلع على كتاب «رأس المال» لكارل ماركس، وأعجب بالتحليل العلمى لبنية النظام الرأسمالى؛ إلا أن انتقاله النهائى إلى مواقع الماركسية كان مرتبطًا بالتطورات والمشكلات الملموسة التى واجهت الثورة، والتى كان على قيادتها وضع حلول لها لم تجدها إلا لدى ماركس ولينين.

تزوج كاسترو فى عام ١٩٤٨ من زميلته دياز بالارت، وله منها ولد واحد هو فيدليتو يعمل حاليًا فى اللجنة الكوبية للطاقة الذرية، وله ابنة من زواج آخر تدعى إليانا سببت له إشكالات عندما تزوجت سرًا من دبلوماسى مكسيكى، ثم هربت إلى الولايات المتحدة، حيث تشارك فى الحملات الإعلامية المعادية لكوبا.

عرف كاسترو بقدرته الكبيرة على الخطابة، وبشخصيته الثورية الجذابة، وبصلاته الحية مع الجماهير وهب حياته للنضال بصلابة ضد الإمبريالية الأمريكية ومؤامراتها، وتعرض لأكثر من عشرين محاولة اغتيال نجا منها جميعًا. وما تزال الثورة التى قادها على الرغم من الصعوبات التى تواجهها - تتخذ مثلاً لشعوب أمريكا اللاتينية، خصوصًا بعد التحولات الأخيرة التى أوصلت إلى السلطة - عن طريق الانتخابات الديمقراطية - قوى وطنية يسارية معادية للهيمنة الأمريكية فى كل من فنزويلا، والبرازيل والأرجنتين، وتتعاون هذه البلدان مع كوبا لإحياء ما أسمته «الخيار البوليفارى»، أى النضال من أجل الاستقلال والتنمية من دون أى تدخل خارجى.

قورش العظيم

هو مؤسس الإمـبراطورية الفارسيـة، وقد بدأ حياته حـاكمًا صغيـرًا جنوب غرب «إيران» ولكنه استـطاع بغزوات بارعـة أن يسقط ثلاث إمـبراطوريات: الإمبـراطورية الميدية، الإمبراطورية الليدية، الإمبراطورية البابلية.

واستـطاع أن يوحد مـعظم دول العالم القـديم فى دولة واحدة تمتـد من الهند إلى البحر المتوسط.

ولد قورش سنة ٥٩٠ ق.م فى ولاية فرسيس «فارس» جنوب غرب إيران، وكانت جزءًا من إمبراطورية ميديا، وهو سليل أسرة من النبلاء، ثم جاءت الأساطير وتناولت حياة «قورش» هـذا تمامًا مثل حياة الملك الإغريقى «أوديب»، فـقد رأى جده فى المنام أن أحد أحفاده سوف يقتله، فلما ولد «قورش» قرر الجد أن يقتل الطفل وأعطاه لأحد الموظفين ليـقتله، ولكن هذا الموظف لم يسـتطع ذلك، فسلم الطفل إلى أحـد الرعاة ليقتله، ولكن الراعى لم تطاوعه نفسه وكبر الطفل واغتال جده.

وهذه القصة موجودة فيما كتبه المؤرخ الإغريقى «هيرودوت» لكنها من صنع الخيال فنحن لا نعرف شيئًا عن طفولة «قورش»، وكل ما نعرفه هو أنه ولى العرش بعد وفاة أبيه الملك «قمبيز الأول» ملك الفرس. وبدأت حروب «قورش» إلى أن أسقطت الملوك واحدًا بعد واحد، واتجه «قورش» إلى الملك «قارون » إمبراطور «ليديا» تركيا وغيرها، واستولى على مجوهرات هذا الملك وكنوزه وجعله أسيرًا له.

ولـم تقاومه إمبـراطورية «بابل» فدخلها «قورش» بلا مقاومـة، **وكانت تضم** سوريا وفلسطين.

واتجه بعد ذلك إلى المناطق شرقى بحر «قزوين» وقاومته هذه المناطق ولم يستطع غزوها، بل إنه انهزم - أى أن أعظم إمبراطور فى ذلك الوقت قد انهزم ثم أسروه وذبحوه.

وخلفه ابنه «قمبيز الثانى» الذى هزم القبائل بالقرب من«قزوين» واسترد رفات أبيه ودفنها فى مدينة «باسارجادى»، ثم تحولت قوات «قمبيز الثانى» إلى الاستيلاء على «مصر»، وبذلك أصبح الشرق الأوسط كله جزءًا واحدًا من الإمبراطورية الفارسية.

وكان «قورش» قائدًا عسكريًا بارعًا ولم تكن براعته العسكرية إلا جانبًا واحدًا من عظمته، أما العظمة الحقيقية فهى تسامحه الدينى ، فلم يكن متعصبًا إنما كان رجلاً رحيمًا، فالبابليون طردوا اليهود بالألوف فأعادهم «قورش» إلى أرض فلسطين وأعطاهم حق الحياة والعبادة، ولولا قرار «قورش» هذا لانقرض اليهود تمامًا فى القرن الخامس قبل الميلاد.

ومن مآثره أيضًا أن الإمبراطورية قد عاشت بعده أكثر من مائتى سنة حتى جاء «الإسكندر الأكبر» فغزاها ومزقها ، ولكن البلاد التى حكمها الفرس استمتعت بالهدوء والسلام.

وعظمة «قورش» لا ترجع فقط إلى معاركه الضخمة ولا إلى توحيد هذه الدول المتنافرة، إنما ترجع أهميته إلى أن إنجازاته كانت نقطة تحول فى التاريخ السياسى للعالم القديم، ولم يكن للإمبراطورية الفارسية أثر عميق كالذى تركته الإمبراطورية الرومانية أو البريطانية أو الصينية، لكن الأثر الذى تركه «قورش» نفسه كان عميقًا وكان من المستحيل أن يحدث لولاه شخصيًا ولذلك فهو واحد من الذين غيروا مجرى التاريخ.

* * * *

كارل ماركس

كارل مـاركس هو مؤسس «الاشـتراكيـة العلمية» ولد فى مـدينة ترير سنة ١٨١٨ بألمانيا، أبوه محـام، وفى السابعة عشرة مـن عمره دخل جامعـة بون يوم الكريسمان وانتقل بعد ذلك إلـى جامعة برلين، ثم حصل على دكـتوراه فى الفلسفة من جـامعة فيينا.

ثم اشتغل بالصـحافة، وعمل رئيسًا لتـحرير «صحيفة الراين» فى مـدينة كولونيا. وبسرعة أوقـعته أفكاره السياسـية فى مشاكل كثيـرة، ولذلك انتقل إلى باريس وهناك التقـى بصديق عمـره فريد ريش إنجلز، وطرد مـن فرنسا فـانتقل إلى بلجـيكا، وفى بلجيكا سنة ١٨٤٧م أصدر أول مـؤلفاته «إفلاس الفلسفة»، وفى السنة التـالية أصدر هو وفردريش انجلز «البيـان الشيوعى»، ثم انتقل إلى كولونيا وطرد منهـا، فسافر إلى لندن حيث عاش فيها حتى نهاية حياته.

وأمضى ماركس معظم الوقت يدرس ويكتب، وكـان صديقه إنجلز هو الذى يعوله ماديًا وفى سنة ١٨٦٧م أصدر كارل ماركس الجزء الأول من كتابه الشهير «رأس المال» وصدر الجزأن الأخيران بعد وفاته.

ولا شك أن مؤلفات كـارل ماركس والأسس التى وضعهـا للشيوعيـة تعطيه مكانًا بارزًا فى قائمة المشاهير، ولكن ما هو المكان الذى يستحقه بالضبط؟ إن جانبًا كبيرًا من قيمة كارل مـاركس يعتمد على رأيه الخاص فى الشيوعيـة من المؤكد أنها أحدثت أثرًا بالغًا فى الفكر الإنسانى وفى تفسير مسار التاريخ والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية.

وفى سنة ١٩٠٠م أعلنوا أن الديمقراطية البرلمانية هى الصورة المثالية العتيقة التى كتبها كارل ماركس للعلاقات بين الحاكم والمحكوم ، ولكن سرعان ما تغيرت هذه الصورة، وظهرت أشكال وعلاقات شعبية أخرى متنوعة، وحتى عندما نعترف بخطورة الشيوعية فى العالم فإننا يجب أن نتساءل عن أهمية كارل ماركس نفسه داخل هذا المذهب، إن الاتحاد السوفييتى قد طور الشيوعية بما جعلها تختلف تمامًا عن الصورة المثالية العتيقة التى كتبها كارل ماركس. بل إنها تبعد كثيرًا عن الإطارات والقواعد التى وضعها ماركس، فلا أثر لما كان يسميه ماركس: المادية الجدلية، ولا فائض القيمة، ويمكن أن نقول أن الشيوعية السوفيتية تدين بكثير من الفضل لستالين ولينين أكثر مما تدين به لكارل ماركس. كما أن الكثير من تعاليم ماركس قد سبقه إليها فلاسفة أوربيون كثيرون ولكن عبقرية كارل ماركس ظهرت فى أنه ربطها ربطًا حديديًا، وراح ينقب فى التاريخ القديم والحديث عما يدلل به على صحة نظريته فى الماضى، وفى المستقبل أيضًا.

وقد أثبت التاريخ بعد وفاته خطأ كثير مما استنتجه ولكن زعماء الشيوعية قد أعلنوا جميعًا أنهم قرأوا ماركس وساروا وراءه وأضافوا إليه.. أعلن ذلك لينين وماوتسى تونج، تمامًا كما أعلن أتباع الديانات الكبرى الإسلام والمسيحية والبوذية.

ولا شك أن فريدريش إنجلز قد شارك فى تطويع أفكار كارل ماركس وخصوصًا كتاب «رأس المال»، صحيح أن إنجلز كانت له كتب خاصة به، ولكن من المؤكد أن كارل ماركس هو الأعمق والأعظم، ولكن ليس من العدل استبعاد إنجلز عن الحديث عن كارل ماركس وأثره فى الفكر السياسى العالمى.

صحيح أن الكثير من تنبؤات ماركس قد جاءت خاطئة، فهو قد تنبأ بأن الطبقة العاملة فى المجتمعات الصناعية الرأسمالية سوف تزداد فقرًا. فقد تأكد أن هذا خطأ، وتنبأ أيضًا أن الطبقة العاملة المتوسطة سوف تزول وتنهار فى أحضان الطبقة العاملة إلى الأبد، ولم يحدث ذلك، وتنبأ أن استخدام الآلة الحديثة سوف يؤدى إلى إفلاس أصحاب رءوس الأموال والعكس صحيح، وأهمية الفلاسفة لا تقاس بما وقعوا فيه من أخطاء ولكن بما تركوه من أثر فى الناس، وهنا يصبح ماركس من أعظم الفلاسفة.

* * * *

كرومويل

إنه الزعيم العسكرى «أوليفر كرومويل» الذى قاد القوى البرلمانية إلى النصر فى الحرب الأهلية فى إنجلترا، وهو الرجل المسئول عن إرساء الديمقراطية البرلمانية على أنها شكل الحكم فى إنجلترا - ولد كرومويل سنة ١٥٩٩ فى هنتجون، وعندما كان شابًا كانت إنجلترا ممزقة بالخلافات الدينية ويحكمها ملك أراد أن يكون حاكمًا مطلقًا وكان كرومويل من أبناء الريف وكان شديد التدين، وفى سنة ١٦٢٨ انتخب عضوًا بالبرلمان وبقى فترة قصيرة لأن الملك «تشارلز الأول» قرر حل البرلمان وأن يحكم البلاد حكمًا مطلقًا، ولم يشأ الملك أن يعيد البرلمان إلا فى سنة ١٦٤٠م عندما احتاج إلى مال لكى يشن حربًا ضد أسكتلندا، ولكن هذا البرلمان الجديد الذى كان كرومويل عضوًا فيه طالب الملك بألا يحكم البلاد حكمًا دكتاتوريًا، ولكن الملك يريد أن ينفرد بالسلطة فنشبت الحرب بين القوى المؤيدة للملك والقوى التى تساند البرلمان والشرعية الدستورية.

واختار «كرومويل» أن يقف إلى جوار البرلمان ضد الملك، وعاد إلى قريته وشكل فيلقًا من الفرسان ليحارب الملك، وخلال أربع سنوات من القتال ظهرت براعته فى القيادة العسكرية والسياسية، ولعب كرومويل الدور الرئيسى فى موقعتين شهيرتين إحداهما فى مارستون (٤/٧/١٦٤٤م) والثانية موقعة ناسبى (١٤/٦/١٦٤٥م) وانتهت الحرب فى سنة ١٦٤٦م ووقع الملك «تشارلز الأول» أسيرًا وأصبح كرومويل ألجح زعيم برلمانى فى إنجلترا.

ولكن السلام لم يتحقق، فسرعان ما تمزق البرلمان نفسه معسكرات وأحزابًا متصارعة ولذلك رفض الملك أن يوافق على أية تسوية أو يذعن لما تقدم به كرومويل، وفى مدى سنة عادت الحرب من جديد وهرب الملك تشارلز الأول وحاول أن يجمع قواه، وقد أسفرت هذه الحرب عن إعدام الملك سنة ١٦٤٩م واستبعاد العناصر المعتدلة من البرلمان، وأصبحت بريطانيا جمهورية يحكمها مجلس دولة على رأسه «كرومويل»، ولكن سرعان ما تجمعت القوى المساندة للملكية فى أيرلندا وأسكتلندا ووقفوا وراء ابن الملك تشارلز الأول، وكان من نتيجة ذلك أن قامت جيوش كرومويل بهزيمة كل هذه الجيوش فى أيرلندا وأسكتلندا، وهزم الملكيون هزيمة كاملة، وانتهت هذه الحروب المتوالية فى سنة ١٦٥٢.

وبنهاية الحروب أتيحت الفرصة أمام كرومويل لإقامة الحكومة، ولكن بقيت أمامه مشكلة هى مشكلة الشكل الدستورى للحكومة التى يتخيلها، ولم تحل هذه المشكلة فى حياة كرومويل، وعلى الرغم من النصر الذى حققه كرومويل فإنه لم يستطع أن يحل النزاعات التى قامت بين مؤيديه على شكل الحكومة أو على الدستور. لأن هذه النزاعات قد اصطدمت بالمذاهب الدينية التى باعدت بين البروتستانت وبين الكاثوليك، وقد تشكل البرلمان بسبب الخلافات العنيفة ثلاث مرات، وقام كرومويل بحل البرلمان فى كل مرة، واتخذ البرلمان دستورين، ولكن لم يفلح فى تطبيق واحد منهما، وحكم كرومويل بمساندة من الجيش وكان دكتاتورًا عسكريًا وكان حرصه المستمر على بناء الديمقراطية ورفضه أن يكون ملكًا دليلاً على أنه لا يريد أن يكون حاكمًا منفردًا، إنما هو يريد حكمًا دستوريًا، ومن ١٦٥٣ م حتى ١٦٥٨م كان كرومويل يحمل لقب اللورد حامى الدولة وحكم إنجلترا وأيرلندا وأسكتندا، واستطاع كرومويل خلال هذه السنوات الخمس أن يقيم نوعًا من الحكم والإدارة المعتدلة ، وقام

بتعديل كثير من القوانين، كما كان مسئولاً عن نشر التعليم بعد تعديل برامجه، وكان يؤمن بالتسامح الدينى، وقد سمح لليهود أن يعودوا إلى إنجلترا وأن يمارسوا طقوسهم الدينيه فقد طردهم الملك إدوار الأول قبل ذلك بثلاثة قرون، وكانت له سياسة خارجية ناجحة، وتوفى فى لندن سنة ١٦٥٨م بعد إصابته بالملاريا. وقد خلفه فى الحكم ابنه الأكبر ريتشارد كرومويل، ولكن لفترة قصيرة، وفى سنة ١٦٦٠م أعيد الملك تشارلز الثانى إلى العرش وأخرج الملك رفات كرومويل وألقى بها فى القمامة، ولكن معركة الحكم المطلق للملك قد انتهت إلى غير عودة، وقد أدرك تشارلز الثانى ذلك بوضوح فلم يحاول أن يتحدى البرلمان أو يتخطاه.

وعندما حاول من بعده الملك جيمس الثانى أن يكون حاكمًا مطلقًا أسقطه البرلمان فى انقلاب هادئ سنة ١٦٨٨م، والنتيجة هى بالضبط ما كان يريده كرومويل ملكية دستورية يلتزم فيها الملك بالبرلمان والتسامح الدينى.

وفى القرون الثلاثة الماضية لم يكف الباحثون عن إعادة الحكم فى قضية الزعيم كرومويل، فاختلف النقاد فى تقدير أهميته التاريخية، بعضهم قالوا منافق وكذاب، فبينما كان يريد أن يجعل البرلمان هو الحاكم الفعلى للبلاد جاء هو استخدم الجيش لحكم البلاد وحل البرلمان. وآخرون يؤكدون أنه كان مخلصًا فى احترام للبرلمان ولكن هى الظروف التى أرغمته كثيرًا على العدول عن ذلك، ثم إنه رفض العرش وقد ظل معتدلاً متوازنًا.

كيف نزن هذا الرجل؟ من المؤكد أنه كان قائدًا عسكريًا لامعًا استطاع هزيمة الجيوش الملكية فى الحرب الأهلية الإنجليزية، وكانت انتصارات كرومويل هى انتصارات للحكم الدستورى فى إنجلترا.

ويجب أن ننظر إلى هذا الحدث الجليل على أنه ما كان يمكن أن يحدث فى أوروبا لأى سبب، فقد كانت أوروبا فى القرن السابع عشر متجهة إلى الحكم المطلق، ولذلك كان انتصار الديمقراطية فى بريطانيا ضد التيار الأوروبى كله، وأصبح هذا الذى حدث فى إنجلترا نموذجًا ومثلاً يقتدى به فى حركة التنوير فى فرنسا وفى الثورة الفرنسية أيضًا، وقاعدة لقيام الحكومات الديمقراطية فى أوروبا الغربية، ومن المؤكد أن الذى حدث فى إنجلترا كان له أثره الهائل فى ديمقراطية الولايات المتحدة الأمريكية وفى المستعمرات الإنجليزية مثل كندا وأستراليا، وعلى الرغم من أن إنجلترا تمثل جزءًا ضئيلاً من العالم فإن موجة الديمقراطية قد اتجهت إلى مساحات أوسع.

وكان من نتيجة الجو الفكرى الذى أشاعه جون لوك أن تظهر مواقف جريئة كالتى اتخذها كرومويل وإذا لم يعش كرومويل فى إنجلترا فإن المعارك البرلمانية فى بريطانيا كانت ستفتقد مقاتلاً شجاعًا وقائدًا مخلصًا.

* * * *

كونفوشيوس

هو أول فيلسوف صينى يفلح فى إقامة مذهب يضمنه كل الأفكار الصينية عن السلوك الاجتماعى والأخلاق، ففلسفته قائمة على القيم الأخلاقية الشخصية، وعلى أن تكون هناك حكومة تخدم الشعب تطبيقًا لمثل أخلاقى أعلى، وقد ظلت هذه الأفكار تتحكم فى سلوك الناس أكثر من ألف سنة.

ولد كونفوشيوس سنة ٥٥١ ق.م فى ولاية (لو) فى شمال الصين، مات أبوه وهو طفل، فعاش مع أمه فى فقر شديد. وعندما كبر عمل موظفًا فى الحكومة، ثم اعتزل العمل الحكومى وبعدها أمضى ستة عشر عامًا من عمره يعظ الناس متنقلا من مدينة إلى مدينة، وقد التف حوله عدد كبير من الناس، ولما بلغ الخمسين عاد إلى العمل فى الحكومة، ولكن استطاع بعض الحاقدين عليه أن يطردوه من الحكومة ، فترك لهم البلاد كلها، وأمضى بعد ذلك ثلاثة عشر عامًا مبشراً متجولاً، ثم عاد ليقيم فى بلدته خمس سنوات هى التى بقيت له من العمر، وقد توفى سنة ٤٧٩ ق.م، وكثيراً ما وصف كونفوشيوس بأنه أحد مؤسسى الديانات الكبرى، وهذا تعبير غير دقيق، فمذهبه ليس دينًا. فهو لا يتحدث عن الله أو السماوات، وإنما مذهبه: هو طريقة فى الحياة الخاصة والسلوك الاجتماعى والسياسى، ومذهبه يقوم على الحب حب الناس وحسن معاملتهم والرقة فى الحديث والأدب فى الخطاب، ونظافة اليد واللسان، ويقوم مذهبه على احترام الأكبر سنًا والأكبر مقامًا، وعلى تقديس الأسرة، وعلى طاعة الصغير الكبير وطاعة المرأة لزوجها، ولكنه فى نفس الوقت يكره الطغيان

والاستبـداد، وهو يؤمن بأن الحكومة إنما أنشئت لخدمـة الشعب وليس العكس، وأن الحـاكم يجب أن تكون عنده قـيم أخـلاقيـة ومـثل عليـا، ومن الحكم التى اتخـذها كونفوشـيوس قاعدة لسلوكه تلك الحكمـة القديمة التى تقول: «أحب لغيرك مـا تحبه لنفسك». وكـان كونفوشـيوس محـافظًا فى نظرته إلى الحيـاة، فهو يرى أن العـصر الذهبى للإنسانية كـان وراءها، أى كان فى الماضى، وهو لذلك كان يحن إلى الماضى ويدعو الناس إلى الحياة فيه.

ولكن الحكام على زمـانه لم يكونوا من رأيه، ولذلك لقى بعض المعـارضة، وقـد اشتدت هذه المـعارضة بعد وفاته بـبضع مئات من السنين، عندمـا ولى الصين ملوك أحرقوا كتبه، وحرّموا تعاليمه، ورأوا فيها نكسة مستمرة، لأن الشعوب يجب أن تنظر أمـامـها، بيـنما هـو يدعو النـاس إلى النظر إلى الوراء.. ولكن مـا لبـثت تعـاليم كونفوشيوس أن عادت أقوى مما كانت وانتشر تلاميذه وكهنته فى كل مكان..

واستمرت فلسفـة كونفوشيوس تتحكم فى الحياة الصينيـة قرابة عشرين قرنًا، أى من القرن الأول قبل الميلاد حـتى نهاية القرن التاسع عشر بعـد الميلاد، أما إيمان أهل الصين بفلسفة كونفوشيوس فيعود إلى سببين:

أولاً: أنه كان صادقًا مخلصًا، لا شك فى ذلك.

ثانيًا: أنه شخص معقول ومعتدل وعملى.

وهذا يتفق تمامًا مع المزاج الصينى، بل هذا هو السبب الأكبر فى انتشار فلسفته فى الصين، وهو بذلك كـان قريبًا منهم، فلم يطلب اليـهم أن يغيروا حيـاتهم أو يثوروا عليها، وإنما هو أكد لهم كل ما يؤمنون به فوجدوا أنفسهم فى تعاليمه، ولذلك ظلت فلسفة كونفوشيوس صينيـة، ولم تتجاوزها إلا اليابان وكوريا، ولكن هذه الفلسفة قد

انحسرت تمامًا عن الصين بعد أن تحولت إلى الشيوعية واتجهت الصين إلى المستقبل وانتزعت نفسها من هذه الديانة، وذلك بالبعد عن الماضى ومسالمة الناس فى الداخل والخارج، صحيح أن فلسفة كونفوشيوس للصين هى التى حققت سلامًا وأمنًا داخليًا أكثر من عشرين قرنًا.

ولكن نحن لا نستبعد بعد خمسين أو مائة سنة أن يظهر فيلسوف صينى جديد يقوم بالتوفيق التام بين تعاليم كونفوشيوس وماوتسى تونج وكلاهما صينى مائة فى المائة!

* * * *

كير هاردى

لم يكن يدرك أنه سيأتى يوم ليس بالبعيد تصبح فيه محاولاته لتكوين حركة عمالية قوية حقيقية أو أكثر من حقيقية، فلقد أصبحت تلك المحاولة (الحركة) حزبًا ضخمًا منافسًا لحكم بريطانيا فى فترات مختلفة، ولا يزال هو أقوى حزب منافس للمحافظين، ذلك هو حزب العمال البريطانى، أما بطل هذا الحزب فهو كير هاردى، من مواليد لانكشير ١٨٥٦ ، تلك المنطقة التى تعج بالمصانع والمناجم ، والمدرسة التى كانت ولا تزال أم الحركة العمالية فى العالم، كان هاردى يعمل فى أحد المناجم وهو لا يزال صبيًا فى سن العاشرة يشترك فى تمرد العمال من أجل قضايا العمل مثل تحديد ساعات العمل، والعمل على الماكينات بصورة آمنة، ومع بداية عشريناته كان قد أصبح زعيمًا للإضرابات وممثلاً للاتحاد العمالى، تم انتخابه لأول مرة فى البرلمان عام ١٩٨٢ ، فأخذ يسعى لتأسيس حزب العمل المستقل، لكنه فقد موقعه فى البرلمان مجلس العموم سنة ١٨٩٥ ليبدأ هو وزملاؤه فى التخطيط لإنشاء حزب العمل حتى تمكنوا فى عام ١٩٠٠ ولأول مرة من تشكيل اللجنة التمثيلية للعمال، ومنها عاد هاردى لمجلس العموم ومعه ثمانية وعشرون عضوًا من زملائه العمال، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت «اللجنة التمثيلية لـلعمال» تعرف باسم «حزب العمال» البريطانى، ورغم أن هاردى هو أول قائد ملهم للإضرابات العمالية ومناضل داخل مجلس العموم، وهو القائد الطبيعى الذى سعى داخل الحركة العمالية لتأسيس اللجنة التمثيلية للعمال، وهو القائد الملهم المؤسس لحزب العمال، لكنه وبمقاييس الإنجليز لم يكن هو

المؤهل لقيادة الحزب! ولكن هاردى ظل محفوراً فى عقل وقلب العمال البريطانيين، لقد كان خطابه السياسى الشهير الذى وبخ فيه تشرشل لإرساله الجيش إلى وادى روندا سنة ١٩١٠ كى يقمع تمرد العمال هناك من أشهر الخطابات العمالية قوة فى تاريخ حزب العمال البريطانى، ولعل هاردى لو ولد فى دولة مثل روسيا مثلاً لكان له شأن آخر!

لكن يبقى أن بريطانيا تعتبره رمز المعارض العمالى السلمى المخلص للطبقة العاملة، وتبقى الطبقة العاملة شاهدة له بأنه أول بطل برلمانى للعمال.

* * * *

لينين

فلاديميـر إيليتش أوليانوف (لينين) Vladimir Ilich Ulyanov (Lenin) قائد ثورى ومفكر روسى ماركسى، مؤسس الحزب الشيوعى الروسـى (البلشفى) ومهندس أول ثورة بروليتـارية، وبانى أول دولة اشتراكيـة فى العالم، ومطور النظرية الماركسـية فى عصر الإمبريالية.

ولد فلاديميـر إيليتش أوليانوف - الذى عرف اسـمه الحركى (لينين Lenin) - فى ٢٢ عـام ١٨٧٠م مدينة سيـمبـرسك simbirsk ، كـان جده فـلاحًا ووالده إيليـا نيـقولايفـيتش أولـيانوف ناظر مـدرسة، ثم مـفـتشًـا للمدارس الـثانوية فى منطقـة سيمـبرسك، أما والدته ماريا فـكانت ابنة طبيب، وامرأة مثـقفة. وكان أخـوه الأكبر ألكسندر عضـوًا فى جمعيـة إرادة الشعب السرية، وقد اشـترك فى محاولة لاغـتيال القيصر ألكسندر الثالث، فاعتقل وأعدم فى عام ١٨٨٧.

أظهر لينين منذ دراسته الثانوية شغـفًا بالقراءة والتعرف على آثار الكتاب والمفكرين العظام، فى عام ١٨٨٧ التحق بجـامعة لدراسة القانون، وتأثر بالماركسـية التى كانت تنتشـر فى أوساط المثقـفين، اعتـقل وفصل من الجامـعة ونفى إلى قرية نائيـة بسبب مشاركتـه النشيطة فى مظاهرات الطلاب حيث تفرغ لدراسة الماركسـية، وبعد عام من نفيه سمح له بالعودة إلى جامعة سانت بطرسبورغ طالبًا غير مداوم، وفى عام ١٨٩١ حصل علـى إجازة فى الحقـوق، ومارس المحـاماة فتـرة قصـيرة، وفى أثناء دراسـته الجامعيـة انتسب إلى إحدى الحلقات الماركسية السـرية، وترجم إلى الروسية أحد أهم أعمال ماركس وإنغلز.

فى عام ١٨٩٥ تمكن لينين من تجـميع الحلقات الماركسية فـى بطرسبورغ فى تنظيم واحد أطلق عليه «اتحـاد النضال لتحرير الطبـقة العاملة»، وفى العام نفسـه سافر إلى الخـارج حيث الـتقى مع بلـيخـانوف Plekhanov مـؤسس منظمـة «تحرير العـمل» الماركسـية، واتفق معه على إصـدار نشرة باسم «البروليـتارى» Proletari (العامل) . وفى خريف عام ١٨٩٥ عـاد إلى روسيا حيث اعتقل مـجدداً وحكم عليه بالنفى إلى سيبيـريا مدة ثلاثة أعوام، وهناك كتب فى المنفى «تطور الرأسمـالية فى روسيا» الذى أثبت فيه أن الرأسمالية تتطور فى روسيا، وأكد الدور الطليعى للطبقة العاملة وضرورة تحالفها مع الفلاحين الذين عدهم مع العمال القوة الثورية الرئيسة.

بعد عودته من المنفى أصدر لينين صـحيفة الإيسكرا Iskra (الشرارة) لتكون وسيلة للربط بين مختلف التنظيمـات، كما نشر كتاب «ما العمل؟» الـذى أوضح فيه حاجة الطبقة العاملة إلى حزب ثورى من طراز جديد، وبدأ التحضير للمؤتمر الثانى للحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى - الذى أخفق مؤتمره الأول التأسيسى (١٨٩٨) - فى بلورة كيان تنظيـمى للحزب بعد اعتقـال قيادته، انعقد المؤتـمر الثانى فى تموز/ يوليو ١٩٠٣، وبرز فيه جناحان: البلشفيك Bolshevik الأكثرية بزعامة لينين، والمنشفيك Menshevilk الأقلية بزعامة مارتوف Martov. وتركز الخلاف حول شروط العضوية فى الحزب ومبادئ تنظيمه، وحول الدور القيـادى للطبقة العاملة فى الثورة البرجوازية الديمقراطية.

النهوض الثورى والموقف من الحرب العالمية الأولى:

بدءاً من عام ١٩١٠ بدأ النهـوض الثورى فى روسيا حين عـمت البلاد مظاهرات كبيرة شارك فيها العمال والفلاحون، وفى عام ١٩١٤ اندلعت الحرب العالمية الأولى.

وقد دان لينين الحرب بشدة لأنهـا حرب استعمارية ترمى إلى إعادة اقـتسام العالم بين المتحاربين، ودعا إلى تحـويلها إلى حرب أهلية لإسقاط الحكومـات الرأسمالية، وفى هذه الفـترة نشـر كتـابه الأهم «الإمبـريالية أعلى مـراحل الرأسمـالية» الذى تضـمن استنتاجه بإمكانية انتصار الثورة الاشتراكية فى بلد واحد.

فى فبراير ١٩١٧ عمت المدن الروسية الكبرى مظاهرات عمالية ضخمة انضم إليها عشرات الآلاف من الفلاحين والجنود الفارين من الحـرب. وتلبية لنداء البلاشفة أعلن فى البلاد إضراب سـياسى عام أدى إلى سقوط القـيصرية وانتصار الثـورة البرجوازية الديمقـراطية، وبدء مـرحلة ازدواجية السلطـة: سلطة الحكومة المؤقتـة الرأسمـالية، وسلطة السوفـييتـات (مجالس العـمال والفلاحـين والجنود) التى عادت مـجدداً إلى الظهور.

فى أبريل ١٩١٧ عـاد لينين إلى روسـيا وطـرح فى «موضـوعـات نيسـان» خطة ملموسة للانتـقال من الثورة البرجوازية الديمـقراطية إلى الثورة الاشتـراكية، فى هذه الفترة أدت الخسـائر الجسيمة فى الحرب وتدهور الوضع الاقتـصادى إلى غضب شديد فى أوساط العـمال والفلاحـين والجنود. وفى تموز/ يوليو ١٩١٧ نظم البلاشـفة فى بتروغـراد مظاهرة ضخـمة تطالب بالسـلم والأرض والخبز. ولـكن الحكومة المؤقـتة واجهت المظاهرة بقوة السلاح، وشنت حملة قمع واسـعة ضد البلاشفة، فأعلن لينين انتهاء مرحلة ازدواجية السلطة، ودعا قيادة الحزب إلى العمل الفورى من أجل إسقاط سلطة البرجوازية عن طريق الانتفاضة المسلحـة. وحدد ليلة السابع من نوفمبر ١٩١٧ موعداً لذلك، وفى فجر ذلك اليوم نفذت خطـة الانتفاضة بنجاح، وسقطت الحكومة الرأسمالية واستولى البلاشفة على السلطة.

وفى اليوم نفسه، وافق المؤتمر الثانى لسوفييتات عامة روسيا على انتقال السلطة إلى السوفييتات وإعلان ولادة «الجمهورية السوفييتية الروسية»، وانتخب لينين رئيسًا لمجلس مفوضى الشعب (رئيس مجلس الوزراء)، وأقر المؤتمر مرسوم السلام لوقف الحرب، ومرسوم الأرض الذى ألغى الملكية الإقطاعية وقضى بتوزيع الأرض على الفلاحين.

الانتصار على أعداء الثورة ووضع أسس بناء الاشتراكية:

فى الفترة ما بين ١٩١٨ - ١٩٢١ كان لينين يعمل على جبهتين:

الدفاع عن الوطن الاشتراكى، ووضع أسس بناء الاشتراكية، على الجبهة الأولى جندت جميع الإمكانات لدعم الجيش الأحمر فى معاركه ضد الغزاة الأجانب وقوات الحرس الأبيض المعادية للثورة، وفى شتاء ١٩٢١ أمكن دحر المتدخلين الأجانب وإلحاق الهزيمة بأعداء الثورة فى الداخل، ولقى انتصار الثورة تأييدًا واسعًا من جانب الطبقة العاملة فى مختلف أنحاء العالم.

وعلى الجبهة الثانية صاغ لينين برنامجًا متكاملاً لبناء الاشتراكية اشتمل على: بناء الصناعة الثقيلة، وكهربة البلاد، وإنشاء التعاونيات الزراعية على أساس طوعى، وتأسيس مصرف مركزى، وتحقيق إنتاجية عمل عالية من خلال تنظيم المباراة الاشتراكية.. إلخ. وفى الفترة نفسها جرت تطورات مهمة أخرى كان من أبرزها تأسيس الأممية الشيوعية فى مارس ١٩١٩، وإقرار أول دستور لجمهورية روسيا السوفييتية الاشتراكية، ثم إنشاء اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية فى ديسمبر ١٩٢٢.

فى أواخر أغسطس ١٩١٨ تعرض لينين لمحاولة اغتيال برصاص مسموم على يد امرأة من الاشتراكيين الثوريين، وكان لهذه الإصابة وللعمل المرهق الذى كان يقوم به

فى تلك الفتـرة تأثير سلبى على صـحته، واضطر فى عـام ١٩٢٢ إلى الاعتكاف فى قرية غوركى قرب موسـكو، وفى يناير ١٩٢٤ أصيب بنزيف حاد فى الدماغ أدى إلى وفاته.

أفكاره ومؤفاته:

ترك لينين تراثًا فكـريًا أسس لمرحلة جديـدة فى تطور النظرية الماركـسيـة ارتبطت باسمه وعرفت بـ (اللينينية)، ومن أبرز منجزاته:

- حول الإمبـريالية: اكتشف لينين سمـات المرحلة الإمبريالية للرأسمـالية وقانون تطورها الذى يجـرى بقـفزات ومـن دون انتظام، مما يؤدى إلى الحـروب بين البلدان الإمبريالية من أجل إعادة اقتسام العالم، وفى مـجرى التطور تظهر حلقات ضعيفة فى جبهة الإمبريالية يمكن أن تؤدى إلى انتـصار الاشتراكية فى عدد قليل من البلدان، أو حتى فى بلد واحد.

- حول تحول الثورة البرجوازية الديمقراطية إلى ثورة اشتراكية.

- حلل طبيعة القوى المحركة فى الثورة البرجوازية الديمقراطية.

- **المرحلة الانتقالية إلى الاشتراكية:**

صاغ جـميع المـسائل النظرية والعـملية المتـعلقة بـالثورة الاشـتراكيـة ودكتـاتورية البروليتاريا ومرحلة الانتقال إلى الاشتراكية.

- حق الأمم فى تقـرير مـصيـرها، والتـحالف بين الطـبقـة العـاملة والشعـوب المضطهدة:

أظهر تحليل لينين للإمبريالية ضرورة التحـالف بين الطبقة العاملة العالمية وحركات التحرر الوطنى فى المستعمـرات فى النضال ضد الإمبريالية، ودافع عن حق الأمم فى تقرير المصير.

موضوع الحزب:

طور لينين فكرة ماركس عن الحزب، مـوضحًا أن الطبقة العاملـة تحتاج إلى حزب ثورى من طراز جديد موحد الفكر والإرادة، ويبـنى على أساس نظام الطاعة الحديدى ومبدأ المركزية الديمقراطية، ويقاد من قبل مجموعة من القادة المحترفين.

* * * *

مارتن لوثر

إنه الرجل الذى تحدى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، واستهل بذلك مرحلة الاحتجاج أو الإصلاح الاجتجاجى على الكنيسة، أى صاحب نظرية البروتستانتية.

ولد مارتن لوثر سنة ١٤٨٣م فى مدينة إيسليبن فى ألمانيا، ودرس فى الجامعة، وبتشجيع من والده درس القانون، ثم حصل على الدكتوراه فى اللاهوت، أى فى الشريعة المسيحية من جامعة فيتنبرج، ثم عمل مدرسًا بها.

أما احتجاجه على الكنيسة فقد نما بالتدريج، ففى سنة ١٥١٠م سافر إلى روما وصدمه ما رأى عليه أحوال رجال الدين، ولكن الذى صدمه أكثر هو تلك التجارة التى انشغلت بها الكنيسة: تجارة صكوك الغفران، فقد كانت الكنيسة الكاثوليكية تبيع الجنة للمؤمنين، فالكنيسة هى التى تبيع العفو عن الخطايا، وهى التى تقدر سلفًا فترات العذاب التى يقضيها المذنبون فى النار أو فى الجنة.

وفى ٣١ أكتوبر سنة ١٥١٧م علق احتجاجًا صارخًا على باب كنيسة مدينة فيتنبرج، وقد ضم هذا الاحتجاج ٩٥ اعتراضًا على كنيسة روما، ورفضها واستنكرها تمامًا وأدان صكوك الغفران، وأرسل مارتن لوثر صورة من هذا الاحتجاج إلى كبير أساقفة مدينة «ماينس»، وتناقل الناس هذه الاحتجاجات فى كل مكان، واتسع نطاق احتجاج روما على كنيسة لوثر، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك فاحتج على سلطان البابا نفسه وعلى المجتمع البابوى.

ورأى أن كل إنسان يجب ألا يخضع إلا لسلطان الكتاب المقدس وحده، ولم تسترح الكنيسة لهذه الثورة واستدعته الكنيسة واستمعت إليه وأدانته واتهمته بالإلحاد وحرمت مؤلفاته.

وكان لوثر فى غاية النشاط والحيوية، فقد ألف كثيراً ونشر ذلك على أوسع مجال، ومن أعظم أعماله كلها ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية، وقد أدى ذلك إلى أنه أصبح من السهل على أى إنسان أن يقرأ الكتاب المقدس دون أن يعتمد على كهنة الكنيسة، كما أن جمال عبادة لوثر قد أثرت فى الأدب الألمانى المعاصر، وليس فى الإمكان إجمال فلسفة لوثر فى اللاهوت أى فى الإلهيات، ولكن أهم نظرياته التى استمدها من «القديس بولس» أن الإنسان قد لوثته الخطيئة، وأن العمل الطيب لا يمكن أن يطهره من هذه الخطيئة إنما الإيمان فقط هو الذى يطهره، أى إرادة الله ورحمه الله وعفوه هو الذى يطهره من الخيطئة، ولذلك فما تقوم به كنيسة روما من بيع العفو عن الناس عمل يتنافى مع الدين بل هو الكفر نفسه، فليس للكنيسة الحق فى أن تكون وسيطًا بين الإنسان وربه، وعلى ذلك فلا مبرر لما تقوم به الكنيسة الرومانية، بل لا مبرر لها كلها، وأنكر لوثر أن يكون القسيس أعزب مدى الحياة، ولذلك تزوج فى سنة ١٥٢٥ م تزوج راهبة وأنجبا ستة أطفال، وتوفى لوثر فى سنة ١٥٤٦م أثناء زيارته للمدينة التى ولد فيها.

ولم يكن مارتن لوثر أول من احتج على الكنيسة الرومانية، فقد سبقه إلى ذلك رجل آخر هو «يان هوس» فى ولاية بوهيميا، وكذلك سبقه الباحث الإنجليزى «جون وايكليف» فى القرن الرابع عشر، وربما اعتبرنا الفرنسى «بيير فالدو» من القرن الثانى عشر أحد رواد الاحتجاج على الكنيسة الرومانية.

ولكن أثر هؤلاء المتحتجين كان محليًا.

وفى سنة ١٥١٧م كان الاحتجاج على الكنيسة الرومانية عامًا أى احتجاجًا على شىء قديم تقليدى، ولذلك فمن حق لوثر أن يكون أبًا للإصلاح فى الفكر الأوروبى كله، ومن الآثار البالغة للاحتجاج الذى قام به «لوثر» نشوب الحروب الدينية فى أوروبا بعد ذلك، من بين هذه الحروب: حرب الثلاثين عامًا فى ألمانيا التى استغرقت من سنة ١٦١٨م حتى سنة ١٦٤٨م، وكانت هذه الحروب جميعًا دموية صارخة، وكذلك الصراعات السياسية بين الكاثوليك والبروتستانت لعبت دورًا خطيرًا فى تشكيل السياسة الأوروبية طوال القرون التالية.

كما أن هذا الإصلاح كان له أثر فكرى خطير فى أوروبا الغربية، فقبل سنة ١٥١٧م لم تكن هناك سوى كنيسة واحدة مستقرة راسخة هى الكنيسة الكاثوليكية، وكل خلاف معها يوصف بأنه نوع من الزندقة أو الإلحاد، ولكن بعد الإصلاح الذى تزعمه لوثر وبعد أن قبلت كثير من الدول حرية التفكير الدينى لم يعد هناك خوف من مراجعة كل الأفكار والنظريات القديمة، أى الانطلاق فى كل المجالات ومما يستحق الملاحظة أيضًا أن أكثر الذين جاءوا فى قائمة الخالدين المائة جاءوا من بريطانيا، ومن بعدهم جاء الألمان، ومعنى ذلك أن أكثر هؤلاء الخالدين جاءوا من بلاد تدين بالبروتستانتية فى شمال أوروبا وأمريكا، وهناك اثنان فقط من الخالدين قد عاشا قبل سنة ١٥١٧م هما شارلمان وجوتنبرج.

وقبل سنة ١٥١٧م فإن الخالدين جاءوا من أماكن أخرى من العالم، والذين عاشوا قبل ذلك فى البلاد التى أصبحت تدين البروتستانتية كان لهم أثر متواضع جدًا فى الحضارة الإنسانية، وقد أدت ثورة الإصلاح إلى ظهور عدد من النابهين فى أوروبا فى الـ ١٥٠ عامًا الماضية.

والبروتستانتية نـفسها لم تكن متسامحة، فقد أدى التـعصب لها إلى حروب دموية فى ألمانيا نفسها، بل كانت هذه الحروب أعنف من الحروب التى اشتعلت فى بريطانيا.

وكان مارتن لوثر أعدى أعداء اليـهود، لدرجة أنه يمكن أن يقال إنه هو الذى كان أبًا للنارية التى أحرقت اليهود فى أوروبا فى القرن العشرين.

ويمكن أن يقـال أيضًا أن ثورة «مـارتن لوثر» لم تكن ضـد الكنيـسة الكاثوليكيـة وحدها، وإنما كانت لا عـتبارات قومـية أيضًا، فلا تتحكم إيطاليـا فى ألمانيا، ولذلك لقى مارتن لوثر الكثير من التأييد الرسمى لفلسفته.

* * * *

ماركوس غارفى

البطل القومى للجامايكيين بحق هو ماركـوس غارفى، فهو أول من نادى «بأفريقيا للأفارقة»، وأطلق فكرة «القـوة السوداء» عندما استطاع تأسيـس الاتحاد العالمى للعناية بالزنوج، وكذلك جامعة الشعوب الأفريقية فى جامايكا، وانتقلت دعوته فى التمسك بالأصل الزنجى إلى أمريكا مع انتـقاله إليها عام ١٩١٦، حـيث انضم إليه الآلاف من الزنوج الأمريكيـين، حيث أعـجب به المظلومون من السود، وتـضامنوا معـه عندما هاجم فكرة الزواج العنصرى المرتبـط بالجنس أو اللون البشرى الواحد، وكـان يسمى ذلك انتحـاراً، كما ابتـكر فكرة المقاومة بالمسـيرات والحشـود السلميـة، وقد وصل إعجاب الزنوج الأمريكيين به إلى المساهمة فى الشـركة البحرية التى أسسها، وكانت تضم أسطولاً من السفن لتبادل التجـارة بين الزنوج فى الدول المختلفة، ولكن الشركة تعرضت للخسارة، وتم اعتقال غارفى والزج به فى السجن عام ١٩٢٣ بتهمة التهرب من الضرائب، وبعد خروجه عاد إلى جامايكا ثم سافر إلى لندن وظل بها حتى توفى عام ١٩٤٠، ودفن بها حـتى استقلت جامايكـا، فأعادت الحكومة جثـمانه ليدفن فى أرض الوطن، ويعطى لقب البطل القومى لجامايكا.

* * * *

ماكيافيللى

إنه الفيلسوف السياسى الإيطالى نيكولا ماكيافـيللى الشهير بنصائحه الصريحة لك
حاكم لكى يحتفظ بالقـوة والسيطرة على شعبه، مستخـدمًا الخداع والكذب والجرا
وقد اتهـمه الكثيـرون بأنه فيلسوف نصـاب أفاق سافل وواقـعى لا أخلاق له، ولك
ماكيافـيللى هو من أشهر الفلاسفـة الذين لابد أن تقرأ كتبهم، وخصـوصًا إذا كان
السياسة وفن الحكم هو الذى يشغلنا أكثر من أى شىء آخر.

ولد فى فلورنسا سنة ١٤٦٩، كـان أبوه محاميًا ومن أسرة عـريقة، ولكنه لم يك
غنيًا، وكانت إيطاليـا فى عهد ماكيافيللى مـقسمة إلى إمارات صغـيرة مثل الإمارا
المتحدة فى دولة مثل فرنسا وإسبانيا وإنجلترا، وليس غريبًا أن تكون إيطاليا ضعيفة م
الناحية الـعسكرية، رغم ما تنعم به من ثقافـة ونهضة فكرية وفنية، وكـانت فلورن
حتى أيام مـاكيافـيللى يحكمهـا أحد أبناء أسرة مـديتشى: لورنتسـو العظيم، ولك
لورنتسـو توفى سنة ١٤٩٢، وبعـدها بسنـوات طرد آل مـديتشـى من هذه المدينة
وأصبحت فلورنسا جـمهورية، وفى سنة ١٤٩٨ شغل ماكيافيللى مـركزًا مومومًا وه
بعد فى التـاسعة والعشرين من عـمره، وظل لمدة ١٤ عامًا بعـد ذلك يشغل مناص
دبلوماسـية عـامة، فتنقل داخل إيطالـيا وسافـر إلى فرنسا وألمانـيا، وفى سنة ٥١٢
سقطت الجمهورية وعادت أسرة مديتشى إلى حكم فلورنسا وطرد ماكيافيللى من عم
وأودع السجن بتهمة التآمر على الدولة الجـديدة، وعذبوه كثيرًا، ولكن لم تثبت إدا
فأطلـقوا سراحـه، وبعدها اعـتزل الحـياة تمامًـا فى قرية كاشـاتو بالقرب من مـدي
فلورنسا.

وفى الأربعة عشر عامًا التالية أصدر عددًا من الكتب أشهرها اثنان: كتاب «الأمير» ألفه فى سنة ١٥١٣، و «مقالات حول الكتب العشرة الأولى لتيتوس لفيوس». ومن بين مؤلفاته الأخرى كتاب «فن الحرب» وكتاب «تاريخ فلورنسا» ومسرحية «ماندراجولا»، ولكن أشهر أعماله الفكرية جميعًا هو كتاب «الأمير»، وهو من أروع كتبه وأسهلها وأكثرها انتشارًا فى كل اللغات.

وقد تزوج ماكيافيللى وأنجب ستة أولاد وتوفى عن ٥٨ عامًا سنة ١٥٢٧. ويمكن اعتبار كتاب «الأمير» مجموعة من النصائح وجهها ماكيافيللى للحاكم، وأهم مبادئ هذا الكتاب هى: لكى ينجح الأمير يجب أن يتنصل تمامًا من المبادئ الأخلاقية، وأن يعتمد فقط على القوة والخداع، ويرى ضرورة أن تكون الدولة مسلحة تمامًا، ويرى أن الجيش المكون من أبناء الدولة هو وحده الذى يمكن الاعتماد عليه والثقة به، والدولة التى تعتمد على قوات أجنبية أو قوات مرتزقة هى دولة ضعيفة، وينصح ماكيافيللى رئيس الدولة بأن يعتمد على الشعب، وأن يكسب ثقته تمامًا. وهو بذلك يقضى على كل خصومه وأية معارضة له، ويعلم ماكيافيللى أن الحاكم لكى يحتفظ بقوته يجد نفسه مضطرًا إلى أن يفعل ما يغضب الشعب، وهنا ينصح ماكيافيللى الحاكم بأن يفعل ذلك بقوة ومرة واحدة، حتى لا يضطر إلى أن يفعل ذلك يومًا بعد يوم، أما فائدة ذلك فسوف يجنيها بالتدريج، ولكى ينجح الحاكم يجب أن يحيط نفسه بعدد من المخلصين له، ويحذر الحاكم من المنافقين والكذابين الذين قد يتظاهرون بالإخلاص والولاء له. وفى الفصل السابع عشر من كتاب «الأمير» يتساءل ماكيافيللى: أيهما أفضل للحاكم أن يكون محبوبًا أو يكون مخيفًا؟ والجواب على ذلك أن يكون الإنسان محبوبًا ومخيفًا معًا. وأضمن للإنسان أن أن يكون مخيفًا عن أن يكون محبوبًا، لأن الحب يلزمنا بأشياء كثيرة نقدمها للناس. فإذا تحققت للناس فإنهم ينسون ذلك بسرعة.. أما الخوف فهو فزع الناس من العقاب دائمًا. وهذا لا

بخيب أبدًا. وعن الإيمان: فإن الحاكم يجب ألا يؤمن بشيء، إذا أدى ذلك إلى تعويق قدرته وسيطرته على الناس.. والحاكم يجب ألا يتقدم بأى عذر إذا وعد الناس بشيء ثم لم يحققه. وكثيرًا ما وصف المؤرخون كتاب «الأمير» بأنه كتاب «الطغاة»، ومن الواضح أن ماكيافيللى يكره الضعف الذى تفشى فى إيطاليا كلها، وكان يحلم بدولة إيطالية موحدة قوية. ولذلك كان حريصًا دائمًا على أن تحقق القوة للحاكم من أى طريق وبأية وسيلة. وكان ماكيافيللى نفسه رجلاً وطنيًا ومثاليًا ولم يحدث فى التاريخ كله أن يعبد الناس رجلاً أو فيلسوفًا كما حدث لهذا الرجل، فقد وصفوه بالشيطان، وبأنه إبليس الذى تجسد ليشيع الفساد والكذب والخداع بين الناس.

ولم يدع ماكيافيللى أنه صاحب نظريات جديدة فى السياسة ، إنما كان يدعو إلى اتباع نفس المبادئ التى استخدمها الحكام الآخرون ونجحوا فى ذلك، وكان ماكيافيللى يستعين على توضيح آرائه بأمثلة يضربها من التاريخ القديم، ومن التاريخ الإيطالى المعاصرله.. ففى كتاب «الأمير» نجد أن ماكيافيللى كان مفتونا بشيزاره بورجا الذى يتعلم السياسة وفن القتال من ماكيافيللى، وإنما ماكيافيللى هو الذى تعلم منه.

وكان موسولينى واحدًا من الحكام الذين تتلمذوا على ماكيافيللى ، ويقال إن نابليون كان ينام وتحت رأسه نسخة من كالب «الأمير»، ونفس الشيء يقال عن هتلر وستالين.

كان جوهر فلسفة ماكيافيللى: كيف يسلك الناس، وليس كيف يجب أن يسلك الناس؟ ولهذا فقد طرد الأخلاق من السياسة.. وطرد مع الأخلاق الدين أيضًا، فالسياسى لا أخلاق له ولا دين، وإنما هو رجل يريد أن يصل إلى السلطة من أى طريق وبأية وسيلة. ومن المؤكد أن ماكيافيللى يعتبر واحدًا من مؤسسى الفكر السياسى الحديث.

مالكولم إكس

للأسف فثقافتنا ومعلوماتنا عن هذا الرجل قليلة جدًا.. ونحن لا نعرف عن المسلمين أو الذين أسلموا فى الخارج إلا الممثلين.. وأغلب هذه الأخبار عنهم تكون إشاعات، أما مالكولم إكس فهو حقيقة ومن علامات التاريخ الأمريكى بثورته الإسلامية هناك، مالكولم إكس أو الحاج مالك شباز من الشخصيات الأمريكية المسلمة البارزة فى منتصف القرن الماضى التى أثارت حياتهم القصيرة جدلاً لم ينته حول الدين والعنصرية حتى أطلق عليه «أشد السود غضبا فى أمريكا»، كما أن حياته كانت سلسلة من التحولات، حيث انتقل من قاع الجريمة والانحدار إلى تطرف الأفكار العنصرية ، ثم إلى الاعتدال والإسلام، وعندها كتبت نهايته بست عشرة رصاصة. ولد مالكولم فى (٦ ذى القعدة ١٣٤٣ هـ - ٣٩ مايو ١٩٢٥م) وكان أبوه «أورلى ليتل» قسيسًا أسود من أتباع «ماركوس كافى» الذى أنشأ جمعية بنيويورك ونادى بصفاء الجنس الأسود وعودته إلى أرض أجداده فى أفريقيا، أما أمه فكانت من جزر الهند الغربية لكن لم تكن لها لهجة الزنوج، وكان مالكولم المولود السابع فى الأسرة، فقد وضعته أمه وعمرها ثمانية وعشرون عامًا، كانت العنصرية فى ذلك الوقت فى الولايات المتحدة ما زالت على أشدها، وكان الزنجى الناجح فى المدينة التى يعيش فيها مالكولم هو ماسح الأحذية أو البواب!! كان أبوه حريصًا على اصطحابه معه إلى الكنيسة فى مدينة «لانشينغ» حيث كانت تعيش أسرته على ما يجمعه الأب من الكنائس، وكان يحضر مع أبيه اجتماعاته السياسية فى «جمعية التقدم الزنجية»

التى تكثر خلالها الشعارات المعادية للبيض، وكان الأب يختم هذه الاجتماعات بقوله: إلى الأمام أيها الجنس الجبار ، بوسعك أن تحقق المعجزات . وكان أبوه يحبه للون بشرته الفاتح قليلاً عنه، أما أمه فكانت تقسو عليه لذات السبب، وتقول له: اخرج إلى الشمس ودعها تمسح هذا الشحوب، وقد التحق بالمدرسة وهو فى الخامسة من عمره، وكانت تبعد عن مدينته ثمانية أميال، وكان هو وعائلته الزنوج الوحيدين بالمدينة، لذا كان البيض يطلقون عليه الزنجى أو الأسود، حتى ظن مالكولم أن هذه الصفات جزء من اسمه، وكان الفتى الصغير عندما يعود من مدرسته يصرخ مطالبًا بالطعام، ويصرخ ليحصل على ما يريد، ويقول فى ذلك: لقد تعلمت باكرًا أن الحق لا يعطى لمن يسكت عنه، وأن على المرء أن يحدث بعض الضجيج حتى يحصل على ما يريد.

وعندما بلغ مالكولم سن السادسة قتلت جماعة عنصرية بيضاء أباه وهشمت راسه، فكانت صدمة كبيرة للأسرة وبخاصة الأم التى أصبحت أرملة وهى فى الرابعة والثلاثين من عمرها وتعول ثمانية أطفال ، فترك بعض الأبناء دراستهم ، عملت الأم خادمة فى بعض بيوت البيض لكنها كانت تطرد بعد فترات قصيرة لأسباب عنصرية، وتردت أحوال الأسرة، وكانت الأم ترفض وتأبى أن تأخذ الصدقات من مكتب المساعدة الاجتماعية، حتى تحافظ على الشىء الوحيد الذى يمتلكونه وهو كرامتهم، غير أن قسوة الفقر سنة ١٩٣٤ جعلت مكتب المساعدة يتدخل فى حياتهم ، وكان الموظف الأبيض فيه يحرض الأبناء على أمهم التى تدهورت حالتها النفسية وأصيبت بمرض عقلى سنة ١٩٣٧ ، وأودعت فى المستشفى لمدة ٢٦ عامًا، أصبح الأطفال السود اطفال الدولة البيضاء، وتحكم الأبيض فى الأسود بمقتضى القانون وتردت أخلاق مالكولم، وعاش حياة التسكع والتطفل والسرقة، ولذلك فصل من المدرسة وهو فى

سن السادسة عشرة، ثم ألحق بسجن الأحداث. كـان مالكولـم شابًا يافعًا قوى البنية، وكانت نظرات البيض المعجبة بقوته تشـعره بأنه ليس إنسانًا بل حيوانًا لا شعور له ولا إدراك، وكان بعض البيض يعاملونه معاملة حسنة، غير أن ذلك لم يكن كافيًا للقضاء على بذور الكراهيـة والعنصرية فى نفس الشـاب الصغـير، لذلك يقـول: «إن حسن المعاملة لا يعنى شـيئًا ما دام الرجل الأبيض لن يـنظر إلىّ كما ينظر لنفسـه، وعندما تتوغل فى أعماق نفـسه تجد أنه ما زال مقتنعـًا بأنه أفضل منى». وتردد مالكولم على المدرسة الثانوية وهو فى سجن الإصلاح، وكانت صفة الزنجى تلاحقه كظله، وشارك فى الأنشطة الثقافية والرياضية بالمدرسـة، وكانت صيحات الجمهور فى الملعب له: «يا زنجى يا صدئ» تلاحقه فى الأنشطة المختلفة، وأظهـر الشاب تفوقًا فى التاريخ واللغة الإنجليـزية . وفى عـــام ١٩٤٠ رحل إلى أقـاربه فى بوسطن، وتعـرف هناك على مجتمعات السود، ورأى أحوالهم الجيدة نسبيًا هناك، وبعد عودته لاحظ الجميع التغير الذى طرأ عليه، غـير أنه احتـفظ بتفـوقه الدراسى، وفى نهاية المرحلة الـثانوية طلب «سـتراوسكى» من طلابه أن يتحـدثوا عن أمنياتهم فى المسـتقبل، وتمنـى مالكولم أن يصبح محـاميًا ، غيـر أن ستراوسكى نصحه ألا يفكـر فى المحاماة، لأنه زنجى، وألا يحلم بالمستحيل، لأن المحاماة مهنة «غير واقعية له»، وأن عليه أن يعمل نجارًا، وكانت كلمات الأسـتاذ ذات مرارة وقسـوة على وجدان الشاب، لأن الأسـتـاذ شجع الطلاب على ما تمنوه إلا صاحب اللون الأسـود، لأنه فى نظره لم يكن مؤهلاً لما يريد، وبعد انتهاء المرحلة الثانوية قصد مالكولم بوسطن وأخذته الحياة فى مجرى جديد، وأصيب بنوع من الانبهار فى المدينة الجـميلة، وهناك انغمس فى حياة اللهـو والمجون، وسعى للتخلص من مظهـره القوى، وتحمل آلام تغيـير تسريحة شـعره حتى يصبح نـاعمًا، وأدرك أن السود لو أنفقوا من الـوقت فى تنمية عقولهم ما ينفقـونه فى تليين شورهم

لتغيير حالهم إلى الأفضل، ثم انتقل إلى نيويورك للعمل بها فى السكك الحديدية، وكان عمره واحدًا وعشرين عامًا، وكانت نيويورك بالنسبة له جنة، وتنقل بين عدة أعمال، منها أن يعمل بائعًا متجولاً، وتعلم البند الأول فى هذه المهنة وهو ألا يثق بأحد إلا بعد التأكد الشديد منه، وعاش فترة الحرب العالمية الثانية وشاهد ما ولّدته الحرب من فساد خلقى واجتماعى وانغمس هو نفسه فى هذا الفساد، وغاص فى أنواع الجرائم المختلفة من سرقة ودعارة وفجور وعاش خمس سنوات فى ظلام دامس وغفلة شديدة، وفى أثناء تلك الفترة أعفى من الخدمة العسكرية، لأنه صرح من قبيل الخديعة أنه يريد إنشاء جيش زنجى.

ألقت الشرطة القبض عليه وحكم عليه سنة ١٩٤٦ بالسجن عشر سنوات ، فدخل سجن «تشارلز تاون» العتيق، وكانت قضبان السجن ذات ألم رهيب على نفس مالكولم، لذا كان عنيدًا يسب حراسه حتى يحبس حبسًا انفراديًا، وتعلم من الحبس الانفرادى أن يكون ذا إرادة قوية يستطيع من خلالها التخلى عن كثير من عاداته، وفى عام ١٩٤٧ تأثر بأحد السجناء ويدعى «بيمبى» الذى كان يتكلم عن الدين والعدل فزعزع بكلامه ذلك الكفر والشك من نفس مالكولم، وكان بيمبى يقول للسجناء: إن من خارج السجن ليسوا بأفضل منهم، وإن الفارق بينهم وبين من بالخارج أنهم لم يقعوا فى يد العدالة بعد، ونصحه بيمبى أن يتعلم، فتردد مالكولم على مكتبة السجن وتعلم اللاتينية.

وفى عام ١٩٤٨م انتقل إلى سجن كونكورد، وكتب إليه أخوه «فيلبيرت» أنه اهتدى إلى الدين الطبيعى للرجل الأسود، ونصحه ألا يدخن وألا يأكل لحم الخنزير، وامتثل مالكولم لنصح أخيه، ثم علم أن إخوته جميعًا فى دترويت وشيكاغو قد

اهتدوا إلى الإسلام، وأنهم يـتمنون أن يسلم مثلهم، ووجد فى نفـسه استعدادًا نفـسيًا للإسلام، ثم انتقل مالكولم إلى سجن «ينورفولك»، وهو سجن مخفف فى عقوباته، ويقع فى الريف، ويحاضر فيه بعض أساتذة الجامعة من هارفارد وبوسطن، وبه مكتبة ضخمة تحوى عشرة آلاف مـجلد قديم ونادر، وفى هذا السجن زاره أخوه «ويجالند» الذى انضم إلى حركة «أمة الإسلام» بزعامة «إليجا محمد» التى تنادى بأفكار عنصرية منها أن الإسلام دين للسود، وأن الشيطان أبيض والملاك أسود، وأن المسيحية هى دين البيض، وأن الزنجى تعلم من المسيحيـة أن يكره نفسه، لأنه تعلم منها أن يكره كل ما هو أسـود وأسلم مالـكولم على هذه الأفكار واتجـه فى سجنه إلـى القراءة الشـديدة والمتعمقة، وانقطعت شهيته عن الطعام والشراب، وحاول أن يصل إلى الحقيقة، وكان سبـيله الأول هو الاعـتراف بالذنب، ورأى أنه على قـدر زلته تكون توبتـه. وراسل مالكولم «إليجا محمد» الذى كان يعتبر نفسه رسولا، وتأثر بأفكاره، وبدأ يراسل كل أصدقائه القـدامى فى الإجرام ليدعوهم إلى الإسلام، وفى أثـناء ذلك بدأ فى تثقيف نفسه فبـدأ يحاكى صديقه القديم «بيمـبى»، ثم حفظ المعجم فتحسنـت ثقافته، وبدا السجـن له كأنه واحة ، أو مـرحلة اعتكاف علـمى، وانفتحـت بصيرته علـى عالم جديـد، فكان يقرأ فى اليـوم خمس عـشرة سـاعة، وعندمـا تطفأ أنوار السـجن فى العاشرة مساءًا، كان يقرأ على ضوء المصبـاح الذى فى الممر حتى الصباح، فقرأ قصة الحضارة وتاريخ العالم، وما كتبه الأسترالى مانديل فى علم الوراقة، وتأثر بكلامه فى أن أصل لون الإنسان كان أسـود، وقرأ عن معاناة السود والعـبيد والهنود من الرجل الأبيض وتجارة الرقيق، وخـرج بآراء تتفق مع آراء إليجا محمـد فى أن البيض عاملوا غيـرهم من الشعوب معـاملة الشيطان . وقرأ أيضًـا لمعظم فلاسفة الشـرق والغرب، وأعجب بـ «سبينورا». لأنه فيلسوف أسود، وغيرت القراءة مجرى حياته، وكان هدفه

منها أن يحيا فكريًا، لأنه أدرك أن الأسود فى أمريكا يعيش أصم أبكم أعمى، ودخل فى السجن فى مناظرات أكسبته خبرة فى مخاطبة الجماهير والقدرة على الجدل، وبدأ يدعو غيره من السجناء السود إلى حركة «أمة الإسلام» فاشتهر أمره بين السجناء.

خرج مالكولم من السجن سنة ١٩٥٢ وهو ينوى أن يعمق معرفته بتعاليم إليجا محمد، وذهب إلى أخيه فى دترويت، وهناك تعلم الفاتحة وذهب إلى المسجد ، وتأثر بأخلاق المسلمين، وفى المسجد استرعت انتباهه عبارتان الأولى تقول: «إسلام: حرية، عدالة، مساواة، والأخرى مكتوبة على العلم الأمريكى، وهى: «عبودية: ألم، موت» والتقى بإليجا محمد، وانضم إلى حركة أمة الإسلام، وبدأ يدعو الشباب الأسود فى البارات وأماكن الفاحشة إلى هذه الحركة، فتأثر به كثيرون، لأنه كان خطيبًا مفوهًا ذا حماس شديد، فذاع صيته حتى أصبح فى فترة وجيزة إمامًا ثابتًا فى مسجد دترويت، وأصبح صوته مبحوحًا من كثرة خطبه فى المسجد والدعوة إلى «أمة الإسلام»، وكان فى دعوته يميل إلى الصراع والتحدى، لأن ذلك ينسجم مع طبعه. وعمل فى شركة «فورد» للسيارات فترة ثم تركها، وأصبح رجل دين ، وامتاز بأنه يخاطب الناس باللغة التى يفهمونها، فاهتدى على يديه كثير من السود، وزار عددًا من المدن الكبرى، وكان همه الأول هو «أمة الإسلام»، فكان لا يقوم بعمل حتى يقدر عواقبه على هذه الحركة، وقد تزوج فى عام ١٩٥٨ ورزق بثلاث بنات، سمى الأولى عتيلة، على اسم القائد الذى نهب روما، وفى نهاية عام ١٩٥٩ بدأ ظهور مالكولم فى وسائل الإعلام الأمريكية كمتحدث باسم حركة أمة الإسلام، فظهر فى برنامج بعنوان «الكراهية التى ولدتها الكراهية» وأصبح نجمًا إعلاميًا انهالت عليه المكالمات التلفزيونية والإذاعية والصحفية، فبدأت السلطات الأمنية تراقبه، خاصة بعد عام ١٩٦١ . وبدأت فى تلك الفترة موجة تعلم اللغة العربية بين أمة الإسلام، لأنها

اللغة الأصلية للرجل الأسود، كانت دعوة مالكولم فى تلك الفترة تنادى بأن للإنسان الأسود حقوقًا إنسانية قبل حقوقه المدنية، وأن الأسود يريد أن يكرم كبنى آدم، وألا يعزل فى أحياء حقيرة كالحيوانات، وألا يعيش متخفيا بين الناس، أدرك مالكولم أن الإسلام هو الذى أعطاه الأجنحة التى يحلق بها، فقرر أن يطير لأداء فريضة الحج فى عام ١٩٦٤، وزار العالم الإسلامى، ورأى أن الطائرة التى أقلعت به من القاهرة للجج بها ألوان مختلفة من الحجيج، وأن الإسلام ليس دين الرجل الأسود فقط، بل هو دين الإنسان، وتعلم الصلاة، وتعجب من نفسه كيف يكون زعيما ورجل دين مسلم فى حركة أمة الإسلام ولا يعرف كيف يصلى!! والتقى بعدد من الشخصيات الإسلامية البارزة، منها الدكتور عبد الرحمن عزام صهر الملك فيصل ومستشاره وهزه كرم الرجل معه وحفاوته به، وتأثر مالكولم بمشهد الكعبة المشرفة وأصوات التلبية، وبساطة وإخاء المسلمين، يقول فى ذلك : «فى حياتى لم أشهد أصدق من هذا الإخاء بين أناس من جميع الألوان والأجناس، إن أمريكا فى حاجة إلى فهم الإسلام، لأنه الدين الوحيد الذى يملك حل المشكلة العنصرية فيها»، وقضى ١٢ يومًا جالسًا مع المسلمين فى الحج، ورأى بعضهم شديدى البياض وزرق العيون ، لكنهم مسلمون، ورأى أن الناس متساوون أمام الله بعيدًا عن سرطان العنصرية. وغير مالكولم اسمه إلى الحاج مالك شباز، والتقى بالمغفور له الملك فيصل الذى قال له: «إن ما يتبعه المسلمون السود فى أمريكا ليس هو الإسلام الصحيح»، وغادر مالكولم جدة فى أبريل ١٩٦٤، وزار عددًا من الدول العربية والإفريقية، ورأى فى أسبوعين ما لم يره فى ٣٩ عامًا، وخرج بمعادلة صحيحة هى: «إدانة كل البيض = إدانة كل السود»، وصاغ بعد عودته أفكارًا جديدة تدعو إلى الإسلام الصحيح، الإسلام اللاعنصرى، وأخذ يدعو إليه، ونادى بأخوة بنى الإنسان بغض النظر عن

اللون، ودعا إلى التعايش بين البيض والسود، وأسس منظمة الاتحاد الأفريقى الأمريكى، وهى أفكار تتعارض مع أفكار أمة الإسلام، لذلك هاجموه وحاربوه، واحجمت الصحف الأمريكية عن نشر أى شىء عن هذا الاتجاه الجديد، واتهموه بتحريض السود على العصيان، فقال: عندما تكون عوامل الانفجار الاجتماعى موجودة لا تحتاج الجماهير لمن يحرضها، وإن عبادة الإله الواحد ستقرب الناس من السلام الذى يتكلم الناس عنه ولا يفعلون شيئًا لتحقيقه. وفى إحدى محاضراته يوم الأحد (١٨ شوال ١٣٨٤ هـ - ٢١ فبراير ١٩٦٥م) صعد مالكولم ليلقى محاضرته، ونشبت مشاجرة فى الصف التاسع بين اثنين من الحضور، فالتفت الناس إليهم، وفى ذات الوقت أطلق ثلاثة أشخاص من الصف الأول ١٦ رصاصة على صدر هذا الرجل، فتدفق منه الدم بغزارة، وخرجت الروح من سجن الجسد، وقامت شرطة نيويورك بالقبض على مرتكبى الجريمة، واعترفوا بأنهم من حركة أمة الإسلام، ومن المفارقات أنه بعد شهر واحد من اغتيال مالكولم إكس، أقر الرئيس الأمريكى جونسون مرسومًا قانونيًا ينص على حقوق التصويت للسود، وأنهى الاستخدام الرسمى للكلمة «نجرو» التى كانت تطلق على الزنوج فى أمريكا.

من أقواله: على الوطنية ألا تعمى عيوننا من رؤية الحقيقة، فالخطأ خطأ بغض النظر عن من صنعه أو فعله.

- كم مسالمًا ومهذبًا، أطع القانون واحترم الجميع، وإذا ما قام أحد بلمسك أرسله إلى المقبرة.

- لا أحد يمكن أن يعطيك الحرية، ولا أحد يمكن أن يعطيك المساواة والعدل، إذا كنت رجلاً فقم بتحقيق ذلك بنفسك.

- لا تستطيع فصل السلام عن الحرية ، فلا يمكن لأحد أن ينعم بالسلام ما لم يكن حراً.

- نريد الحرية، العدل، المساواة بأى طريقة كانت.

* * * *

ماو تسى تونغ

ماو تسى تونغ Mao Tse - Tung قائد ثورى وزعيم شيوعى بارز، قائد حرب التحرير فى الصين ومؤسس جمهورية الصين الشعبية.

ولد ماو فى ٢٦/ ١٢/ ١٨٩٢ لأسرة فلاحية فقيرة فى قرية شاو شان Chao - Shan فى مقاطعة هونان Hunan. درس فى كتاب القرية، ثم التحق بمدرسة ابتدائية فى مقاطعة شيانغ ، ومنها انتقل إلى مدرسة متوسطة فى عاصمة المقاطعة. بعد ثورة ١٩١١ - ١٩١٢ التى قادها الزعيم الوطنى صن يات سن Sun Yat San لإطاحة حكم أسرة مانشو Manchu الإقطاعية، خدم ماو فى جيش الثورة فترة قصيرة، وفى عام ١٩١٣ انتسب إلى مدرسة المعلمين الرابعة فى هونان، وتخرج فيها فى عام ١٩١٨ ، وفى هذه الفترة اطلع ماو على تاريخ الصين القديم وتراثها الثقافى، كما اطلع على الأفكار الغربية الحديثة، وتأثر بكتابات كونفوشيوس وصن يات سن، وتولستوى Tolstoi ،وفلسفة «كانت» Kant ،وجدلية هيغل Hegel، وأهتم كثيراً بانتصار الثورة الاشتراكية فى روسيا ١٩١٧ وبالأفكار التى جاءت فيها.

فى أبريل ١٩١٨ أسس «المنظمة الشعبية الجديدة» فى مقاطعة تشانغ شا Chang - Sha بهدف إيجاد السبل الحديثة لإحداث التغيير الجذرى فى الصين، وفى عام ١٩١٩ التحق بجامعة بكين حيث عمل أمينًا للمكتبة إلى جانب دراسته فيها، وتزوج فى أثناء دراسته الجامعية من كاى - هوى Kai - Hoy ابنة أحد أساتذته، وفى الجامعة تأثر كثيرًا بأفكار أستاذه فى الاقتصاد تشين Tchen الذى كان ماركسيًا.

وفى العام نفسه أسهم فى تنظيم انتفاضة ٤ مايو الشبابية ضد معاهدة فرساى حول تسليم الأراضى الصينية التى كانت تحتلها ألمانيا إلى اليابان.

وفى عام ١٩٢٠ التقى ماو فى بكين مبعوث الثورة السوفييتية أدولف جوف عن طريق أستاذه تشين، ولمس منه رغبة السلطة السوفييتية بإقامة علاقة متكافئة مع بلاده. وأدى نزول الحكومة السوفييتية للصين عن شمالى منشوريا - التى كانت تحتلها الحكومة القيصرية - دوراً فى إقناع ماو باختفاء النزعة الاستعمارية من روسيا الجديدة، مما زاده قربًا من الأفكار «البلشفية» وسرّع انتقاله إلى مواقع الماركسية.

بدأ ماو منذ عام ١٩٢٠ بتشكيل الخلايا الشيوعية، وفى يوليو ١٩٢١ شارك فى الاجتماع التأسيسى للحزب الشيوعى الصينى، وأصبح أمينًا للجنة الحزب فى مقاطعة هونان، وفى المؤتمر الثالث للحزب انتخب ماو عضواً فى اللجنة المركزية للحزب، وعين رئيسًا لتحرير مجلة الحزب السياسية الأسبوعية. وقد أقر الحزب فى هذا المؤتمر سياسة التحالف مع الحزب الوطنى (الكومنتانغ Kuomintang) بقيادة صن يات سن لتشكيل جبهة موحدة ضد الإمبريالية والإقطاعية من أجل تحرير الصين وتوحيدها.

فى عام ١٩٢٦ عين أمينًا للجنة الفلاحية التابعة للجنة المركزية للحزب، وفى عام ١٩٢٧ نشر كتابين: «تحليل المجتمع الصينى» و «تقرير عن تحقيقات فى حركة الفلاحين فى هونان» أوضح فيهما أفكاره حول الثورة الديمقراطية الجديدة فى الصين، وحول المكانة المهمة للمشكلة الفلاحية، والأهمية الحيوية لانضواء الحركة الفلاحية تحت قيادة الطبقة العاملة. وفى العام نفسه انتخب عضواً احتياطيًا فى المكتب السياسى للحزب.

فى عام ١٩٢٥ توفى الزعيم الوطنى صن يات سن، وخلفه فى زعامة الكومنتانغ تشانغ كاى - شيك Kai - Shek Chahng الذى لم يكن يؤمن بالتعاون مع الحزب

الشيوعى، ولذلك جرد فى عام ١٩٣٠حملة عسكرية إلى منطقة كيانغسى Kiang - Cl معقل الحزب الشيوعى، وارتكب جنوده مجازر كبيرة ضد أعضاء الحزب والفلاحين المناصرين له، وقبض على ما وتسى تونغ، ولكنه تمكن من الفرار بعد ساعات بمساعدة بعض الضباط من قيادة الكومنتانغ فأعدم تشانغ كاى شيك زوجته كاى هوى انتقامًا. وتزوج ماو بعدها مرتين، وأنجب ابنتين وولدين.

ومن ملجئه فى الجبال بدأ ماو - بمساعدة كل من تشوان لاى Tchuen - Lai وتشوته Tchu - Te بتكوين جيش التحرير الشعبى الصينى، وأقام فى نوفمبر ١٩٣١ فى كيانغسى ما سماه الجمهورية السوفيتية الصينية، وهى سلطة شعبية لتنظيم المنطقة وإدارتها، وفى عام ١٩٣٤ كرر تشانغ كاى شيك الهجوم بجيش كبير حاصر مقر قيادة الحزب الشيوعى فى كيانغسى، وأدرك ماو أن جيشه الذى لم يكن يتجاوز مائة ألف مقاتل مهدد بالإبادة، فقرر الانسحاب إلى إقليم تشانسى فى شمال الصين، فيما عرف بالمسيرة الكبرى التى قطع الجيش خلالها ٩٠٠٠كم سيرًا على الأقدام، وفقد نصف عدده تقريبًا.

اتخذ ماو من مدينة ينان Yenan عاصمة له، وفى هذه الفترة بدأت اليابان غزوها للصين ٧/ ٧/ ١٩٣٧ فرفع الحزب الشيوعى من جديد شعار الوحدة الوطنية والتحالف مع الكومنتانغ لمواجهة الغزو اليابانى على أساس برنامج وطنى عام، واضطر تشانغ كاى شيك إلى التعاون مجددًا مع الحزب الشيوعى تجنبًا للتمرد فى جيشه.

استمرت الحرب ضد اليابان حتى هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥، وكان الشيوعيون قد أسسوا فى الجزء الذى حرروه من منشوريا وفى الأقاليم التى يسيطرون عليها حكومات شعبية محلية، وقاموا بتوزيع أراضى الإقطاعيين على

الفلاحين، ووقـعوا مع تشانغ كاى شيك فى ١٠/ ١٠/ ١٩٤٥ اتفـاقية للسلم والبناء. ولكن تشانغ ما لبث - بتـشجيع من الولايات المتحدة - أن خـرق الاتفاق وأمر ولاته بتصفية الحكومات التى شكلها الشيوعيون، الأمر الذى أدى إلى اندلاع الحرب الأهلية التى دامت أربع سنوات، تمكن فيها جيش التحـرير الشعبى الصينى - بقيادة ماو تسى تونغ - من دحر قوات تـشانغ كاى شيك ودخول بكين فـى الأول من أكتوبر ١٩٤٩ وإعلان ولادة ما عـرف بجمهورية الصين الشعـبية The Peoplés Republic of China واضطر تشانغ كاى شيك إلى مغادرة البر الصينى واللجوء إلى جزيرة فورموزا (تايوان حاليًا).

فى السنوات الثلاث الأولى من قـيام الصين الجديدة باشـرت السلطة الثورية وضع البرامج الخماسية لبناء البلاد على أسس اشتـراكية، وفى ديسمبر ١٩٤٩ قام ماو تسى تونغ على رأس وفد حـزبى وحكومى كبـير بزيارة موسكو، ووقع «اتفـاقية الصـداقة والتحالف والتعاون المتـبادل بين الصين والاتحاد السوفييتى»، قدم السوفـييت بموجبها مساعدات ضخمة فى مختلف الميادين، ولا سيما فى ميدان التصنيع، غير أن ماو كان يتطلع إلى نتائج كبيرة وسريعة فى ميدان الإنتاج ، ولذلك طرح فى عام ١٩٥٨ شعار القفـزة الكبرى إلى أمـام، الذى يهدف إلى الحصـول على إنتاج أكـبر بوقت أقل من خـلال تنظيم «الكومـونات» الشعـبـية، وهى وحـدات إدارية واسـعة تشـمل الريف والمدينة، وتؤدى ثلاث مهمات أساسية: الإنتاج والدفاع والتعليم.

ولكن التجربة أخفقت وأدت إلى كارثة اقتصادية حقيقية، كما واجهت التجربة نقد بعض القـيادات الحزبيـة وخصـوصًا من وزير الدفـاع بنغ تى هواى Peng Te - Huai الذى أعفى من جميع مناصبه بسبب تلك الانتقادات.

وبدءًا من عام ١٩٦٠، وبالاعتماد على وزير الدفاع الجديد لين بياو Lin Bao بدأ ماو بإجراء تغييرات تنظيمية داخل جيش التحرير الصينى، وفى الوقت نفسه بدأت حملة ضد ما سمى البيروقراطية الحزبية والعناصر المتبرجزة التى أخذت ترفع رءوسها داهل الحزب والدولة، وشملت الحملة فئات المثقفين والفنانين الذين اتهموا بالتأثر بالثقافة الغربية، وسحب من التداول الشعار الذى أطلقه ماو فى أوائل الخمسينات «دع مائة زهرة تتفتح، ودع مائة مدرسة فكرية تتنافس».

ونشرت قيادة الحزب فى هذه الفترة «الكتاب الأحمر» الذى يضم بعض المقالات والخطب التى ألقاها ماو تسى تونغ، ليكون برنامجًا لتثقيف جميع «الكوادر» الحزبية، ولاسيما فى صفوف الجيش والشباب.

فى عام ١٩٥٩ تخلى ماو عن منصب رئيس الجمهورية، وانتخب رفيق دربه ليوتشاو شى Liu Chai - Shi خلفًا له.

فى أوئل الستينيات وقع الخلاف بين الصين والاتحاد السوفييتى، ويمكن تلخيص أسبابه فى معارضة الصين للإدانة العلنية للمرحلة الستالينية، ومعارضة سياسة التعايش السلمى التى اتبعها خروشوف مع الغرب، وكذلك معارضة سياسة الانفتاح الداخلى، وأخيرًا توقيع معاهدة حظر التجارب النووية بين السوفييت وكل من الولايات المتحدة وبريطانيا عام ١٩٦٣، وقامت الصين بقطع علاقاتها مع الاتحاد السوفياتى وطرد الخبراء السوفييت من الصين، واستمرت القطيعة حتى عام ١٩٨٩ وأدت إلى انشقاق كبير داخل الحركة الشيوعية العالمية وحتى داخل العديد من الأحزاب الشيوعية فى العالم.

وفى أوائل السبعينيات بدأت العلاقات مع الغرب فيما عرف بدبلوماسية «كرة الطاولة» التى كان عرّابها وزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر، وبعد قطع العلاقات بين الصين والاتحاد السوفييتى تراجعت الولايات المتحدة عن موقفها المعارض لعضوية الصين فى الأمم المتحدة، واعترفت بكل من بكين وتايوان، وتوجت العلاقات مع الغرب بزيارة الرئيس الأمريكى نيكسون Nixon إلى الصين عام ١٩٢٧، حيث وقع معاهدة شانغهاى للتعاون الاقتصادى والثقافى بين البلدين.

أدى إخفاق «الكومونات» الشعبية وتوقف المساعدات السوفييتية وحدوث عدد من الكوارث الطبيعية إلى تدهور كبير فى الوضع الاقتصادى، مما اضطر الخبراء الاقتصاديين - بدعم من رئيس الجمهورية ليوتشاوشى - إلى التخلى عن «الكومونات» وإعادة بناء الاقتصاد على أساس تشجيع الحوافز الفردية ودعم الاقتصادات العائلية فى الزراعة.

إلا أن ماو لم يكن متسامحًا مع الانتقادات التى وجهت «للكومونات»، فطرح مجددًا منذ عام ١٩٦٦ حاجة البلاد إلى «ثورة ثقافية بروليتارية كبرى» تهدف إلى إعادة الروح الطبقية الصحيحة إلى الحزب والدولة، والتخلص من جميع الأدران البرجوازية، وذلك بالتوجه إلى الجماهير والتعلم منها والاعتماد على الشباب الذين لم تلوثهم الأفكار البرجوازية، لذلك بدأت حملة تدعو الشباب إلى التمرد على السلطة وأخذ مقدرات البلاد بين أيديهم، وشكلت فيالق الحرس الأحمر المسلحة التى أعطيت صلاحيات واسعة لتصفية العناصر المعادية للحزب وللاشتراكية، وفى هذه الفترة - التى استمرت عشرة أعوام، أى حتى وفاة ماو فى التاسع من سبتمبر عام ١٩٧٦ - تم إبعاد عشرات الآلاف من القيادات الحزبية والحكومية من مناصبها وإرسالها إلى الريف لإعادة تأهيلها.، وأغلقت الجامعات، واضطهد أساتذتها،

واحـرقت الكتب المتداولة بتـهمـة الترويـج للأفكار البرجـوازية، وشملت الفـوضى مختلف ميـادين الحياة، وكان الرئيس ليوتشاوشى فى مقدمـة ضحاياها، إذ أعفى من منصبه بعد اتهـامه بالانتهازية والانحراف، وحتى لين بيـاو - وزير الدفاع المقرب من ماو - والذى انتـخبـه المؤتمر التاسع للحـزب خليفة له عـام ١٩٦٩، لم ينج من هذه الحملة، إذ اتهم بتدبير محاولة لاغتيال ماو، وقتل فى حادث طائرة غامض.

بعد وفاة ماو حاولت زوجته الثالثة جيـانغ تشنغ تسلم زمام الأمور ومتابعة سياسته مع ثلاثة آخرين مـن أعضاء المكتب السـياسى للحـزب، ولكن قيادة الحـزب الجديدة تصدت لهم واعتقلتهم وحاكمتهم، ودخلت الصين بعدها مرحلة جديدة وهى مرحلة الإصلاح والانفتاح على العالم الخارجى، وشهدت هذه المرحلة تغييرات كبيرة وعميقة فى أوضاع الصين، فتطور اقتصادها على نحو سـريع ومذهل، وارتفع مستوى المعيشة ارتفاعًا ملموسًا، وأصبحت الصين إحـدى القوى العظمى فى عالم اليوم، واقتصادها هو الاقتصاد الرابع فى العالم.

كان ماو تسى تونغ قائدًا تاريخيًا فذًا من قـادة حركة التحرر الوطنى العالمية، وأدى دورًا بالغ الأهمية فى تاريخ الصين تحريرًا وبناء. وقد ترك تراثا مـهمًا على الصعيدين الفكرى والعملى لا يمكن أن ينسـى، كما أنه كان شاعـرًا له كثير من القـصائد التى ترجم بعضـها إلى العربية. وبالرغم من بـعض الأخطاء المرتكبة فإن عظمة مـاو قائدًا سياسيًا وشعبيًا كبيرًا تبقى نقطة مضيئة فى تاريخ الصين.

* * * *

محمد الفاتح

من أهم السلاطين العثمانيين وأكثرهم ثراء فى المجال العلمى والإنسانى والدينى والقتالى، هو فاتح مدينة القسطنطينية والذى وضع نهاية للإمبراطورية البيزنطية القوية، وحارب من كانوا يسمون بالفرنجة و (فرسان مالطة وردوس) فى أوروبا، واستولى على اليونان وصربيا والبوسنة، وأخضع دول القرم والبلقان، وبنى الأساطيل فوصل إيطاليا وشارف حدود فرنسا والنمسا وموسكو. هو «محمد الثانى بن مراد الثانى»، ولد فى «أدرنة» العاصمة العثمانية عام ١٤٣٢م، حفظ القرآن ودرس الفقه والرياضيات والفلك، وأتقن فنون القتال وأجاد عدداً من لغات عصره كان بينها العربية والفارسية واليونانية واللاتينية، تولى السلطنة عام ١٤٥١ وعمره عشرون سنة تقريبًا. وضع القسطنطينية أمام عينيه، وقاد ما سمى فى التاريخ (بالغزوات الهمايونية) وبلغ عددها ٢٥ غزوة، واغتيل قبل القيام بالغزوة الكبرى السادسة والعشرين والتى كانت ستجعل أوروبا كلها تحت سلطانه، كانت أولاها عام ١٤٥١، وفى الثانية فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م، وكان الحدث تاريخيًا، أنهى السلطان محمد الثانى بناء قلعة سميت (روملى حصار) فى ثلاثة شهور بأبراج مغطاة بالرصاص ونصب المدافع الضخمة نحو الشاطئ، منع السفن اليونانية والرومانية من المرور فى مضيق البوسفور (الذى يقسم إستانبول حاليًا)، رفض السلطان العثمانى طلب الإمبراطور البيزنطى وقف البناء، فأغار البيزنطيون على القلعة ورد السلطان بإعلان الحرب رسميا، أغلق الإمبراطور الرومى أبواب مدينته واعتقل جميع العثمانيين داخله، عقد السلطان

معاهداته مع أعدائه لمنع التدخل خاصة مع المجر والبندقية وإمارة غلطة القوية، لكنه غدروا به وشاركوا فى الدفاع عن القسطنطينية، طلب الإمبراطور البيزنطى العون من بابا روما الكاثوليكى بالرغم من الانشقاق بين الكنيسة الكاثوليكية الرومانية الغربية والكنيسة البيزنطية الأرثوذكسية الشرقية، وتعهد بتوحيد الكنيسة، واستجاب البابا في روما وأرسل مندوبه ليخطب فى كنيسة أياصوفيا داعيًا لتوحيد الكنيسة، مما أثار غضب رؤساء الكنيسة الأرثوذكس، عرض الإمبراطور البيزنطى دفع الجزية والزواج بأ السلطان محمد الثانى وكانت مسيحية ورفض طلبه، ودكت المدافع الثقيلة بالقذائف الهائلة أسوار القسطنطينية وكان السلطان يراقب المعارك البحرية على حصانه عن قرب، وحشد حوالى ٤٠٠ سفينة، وطوّق المدينة بأكثر من ٢٦٥ ألف مقاتل، وبد حصارها فى رمضان، وكاد السلطان يخسر معركته البحرية حيث حاول البيزنطيون إحراق السفن، فعزل القائد البحرى وأعد خطة بنقل ٧٠ سفينة برًّا وطويت أشرعته وقامت البغال بجرها على ألواح من الخشب المطلى بالدهن ليسهل الانزلاق عليها، وهاجموا المدينة من الجانب الآخر وطوقوا المقاتلين فيها، وأصيب القائد البيزنطى «جوستنيان» إصابات بالغة، ودخل السلطان المدينة فاتحًا واتخذها عاصمة لدولته. وأطلق عليها اسم «إسلام بول» أى مدينة الإسلام ثم إسلامبول، وحول أياصوفيا إلى جامع بعد أن أمن النصارى على دينهم وإقامة شعائرهم، وكان فتحها بابًا لاختراق أوروبا، لكن هذا الحدث هو الذى فتح الباب أيضًا لتشويه صورة العثمانيين فى كتب التاريخ الغربى وعلى رأسهم «شيبرد كريسبى» فى كتابه (تاريخ العثمانيين) والذى وصف السلطان محمد الثانى الذى لقب بالفاتح بأبشع ما يمكن.

عقد البابا «بيوس الثانى» اجتماعًا للدول المتحالفة معه لوقف حملات محمد الفاتح، وبلغ عددها ٣٠ دولة فى أوروبا وآسيا، وحاولوا استقطاب المماليك فى مصر

وسوريا لكنهم رفضوا وقـرروا محاربة الفرنجة وفرسان مالطة مـعا، حين قرر السلطان تأمين دولتـه وحماية القسطنطينيـة قام بحملات بينهـا أربعة ضد صربيـا وحدها حتى أخضـعهـا عام ١٤٥٩، وفـتح أثينا عام ١٤٥٨ وأسـقط حوالى ٣٠٠ من الحـصون والقلاع، وسيطر على كل البلقـان، ثم سيطر على دول البحر الأسود وجـعله بحيرة عثمانية فى عدة حملات، وأنهى الإمبـراطورية البيزنطية بعد استمرارها لمدة ٢٥٧ سنة بانتصاره على الإمبراطور «دافيد كـومين» فى إمارة طوابزون، واحتل رومانيا والبوسنة بالكامل تقريبًا عام ١٤٦٤، وأسلم أهلها، ودخل كرواتيا وبلغاريا، وفشل ملك المجر القوى الصليبى فى استرداد البوسنة.

حـارب السلطان «مـحـمـد الفـاتح» المنشـقـين عنه وعلى رأسـهم «إكـسندر بك الارناؤوطى» الذى مات وانتـهى عصر مجـد الأرناؤوط الذين يسمون أيضًـا (الالبان) .كان يقود الحملات أحيانًا بنفسه خاصة البحرية، وقاد حملة لإخضاع ملك المجر عام ١٤٧٩ أسفـرت عن معـاهدة صلح، وتوغل فى أراضى النمـسا عـام ١٤٨٠ . قاوم فرسان مالطة الذين احترفوا القرصنة ضـد السفن الإسلامية فى البحر الأبيض المتوسط ، وقضى عليـهم السلطان سليمان القـانونى فيما بعـد، كان الصراع عنيفًـا بين المقر البابوى الكاثوليكى فى روما وبين إمبراطورية محمد الفاتح العثمانية، فحاول السلطان غذو إيطاليا وأرسل حملة بحرية بقيادة الصدر الأعظم (رئيس الوزراء)، «كديك أحمد باشا» أسقط قلعـة أوكانتو فى الجنوب الإيطالى وحولها إلى سنجق (ولاية) عـثمانية، وجرت مفاوضـات لاستسلام نابولى القوية آنذاك لكن مؤامرة دبرت لاغـتياله قبل أن تسقط إمارات إيطاليـا كغيرها خوفًا على المقـر البابوى كما سقطت القـسطنطينية المقر البابوى للكنيسـة الشرقية، فأرسلت قـوات التحالف الطبيب اليهودى «يعـقوب باشا» الذى ادعى الإسـلام وتقرب من السلطان ودس السم لـه فتوفـى محمـد الفـاتح عام

١٤٨١ ودفن جنوب محراب جامع الفاتح الخاص به فى إستانبول، واكتشف الحرس المؤامرة فقتلوا الطبيب دهسًا قبل أن يقبض المكافأة التى قيل إنها تعادل ٢٠ مليون دولار بمفهوم عملات اليوم، ودقت أجراس الكنائس فى روما وأوروبا لمدة ثلاثة أيام ابتهاجًا بموته، وأصدر البابا بيانًا خاصًا ضد العثمانيين اعتبر (مقدسًا).

ترك محمد الفاتح إمبراطورية تضاعفت مساحتها منذ تولاها لتصل إلى أكثر من ٢٢٠ ألف كم؟ كانت له إنجازات فى مجال العمران والتعليم والمعاهد العلمية، أنشأ المكتبات الكبيرة، وقيل إنه حين احترقت مكتبته الخاصة كان فيها أكثر من ١٢ ألف مجلد، اهتم باللغة العربية وأوصى بحركة الترجمة والتأليف ونقل التراث اليونانى واللاتينى والعربى إلى التركية، اهتم بتطوير التجارة والصناعة ودواوين الدولة والكبارى والجسور والطرق وبناء القلاع العسكرية وتطوير الجيش والانكشارية والمدفعية، وأنشأ وظيفة (اللغمجية) لمتابعة زرع الألغام، كان شاعرًا وكان فى بلاطه ٣٠ شاعرًا وزيرًا بنى المستشفيات وأمر باستقلال القضاء، كما وضع دستورًا للبلاد سمى باسمه (فاتح قانون نامه سى) كتب عنه الكثير فى الشرق والغرب، ونظم فيه بعض شعراء الغرب قصائد بعضها يمجده حتى السماء وبعضها يهوى به إلى سابع أرض!.

* * * *

صلاح الدين الأيوبى

أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادى، صلاح الدين الأيوبى الملقب بالملك الناصر، من أشهر ملوك وقادة الإسلام، ومحرر القدس من أيدى الصليبيين.

يختلف المؤرخون فى أصل هذه الأسرة، والأرجح أن أباه وأهله كانوا من دوين، وهى بلدة فى شرقى أذربيجان، وهم بطن من الروادية من قبيلة الهذبانية الكردية، وقد دخلت أسرتهم كنف الحياة الإسلامية فى بغداد وتكريت وبعلبك ودمشق، وترعرعت بينها، وتثقفت بالثقافة العربية الإسلامية فى وقت كان شعار الحياة العامة الدين الإسلامى الذى يجمع بين القوميات المختلفة برباط أخوى ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ (الحجرات: ١٣). ولا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى.

وولد صلاح الدين عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٧م فى الليلة التى غادر فيها والده نجم الدين وعمه أسد الدين شيركوه تكريت متوجهين إلى الموصل حيث يقيم عماد الدين زنكى أتابك الموصل الذى أكرم مثواهما عرفانًا بالجميل الذى أسدياه إليه عندما هزم هو والسلطان السلجوقى مسعود فى حربهم ضد الخليفة المسترشد سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م، ولما فتح عماد الدين بعلبك سنة ٥٣٤ هـ ولى عليها نجم الدين أيوب، وفى بعلبك قضى يوسف صلاح الدين طفولته الأولى، وفى سنة ٥٤٦ هـ، فارق صلاح الدين والده وعمل فى خدمة عمّه أسد الدين الذى تولى قيادة الزنكيين بعد مقتل والده سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦م، فقدمه بين يدى نور الدين الذى قبله وأقطعه إقطاعًا حسنا.

أتقن صلاح الدين العلوم الإسلامية ، فدرس القرآن والحديث والفقه على أيدى كبار العلماء، منهم الشيخ الإمام قطب الدين النيسابورى، الذى قال عنه المقريزى، بأنه جمع لصلاح الدين عقيدة تحوى جميع ما يحتاج إليه، كذلك تلقى فنون القتال والفروسية وغيرها من فنون أبناء الطبقة الحاكمة.

فى سنة ٥٤٩ هـ ملك نور الدين زنكى دمشق، وحينما بلغ صلاح الدين الثامنة والعشرين من عمره تولى رئاسة الشرطة فى دمشق سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٤م، نائبًا لواليها تبعًا لذلك، وكانت مهمة النائب فيها قيادة العساكر والمحافظة على النظام، والسهر على جباية الخراج، فأظهر السياسة وأحكم الأمور فيها.

وفى أثناء إقامة صلاح الدين فى الشام كان يراقب عن كثب التطورات العسكرية التى كانت تحدث فى المنطقة كالهجوم الصليبى على دمشق وبعلبك، وتصدى نور الدين لها بمساعدة كل من والد صلاح الدين وهو نجم الدين أيوب وعمه أسد الدين شيركوه، وكان صلاح الدين يتأثر بتلك الأجواء ويشارك فى الأحداث، وفى تلك الأثناء حدث فى مصر من الظروف ما حدد مستقبل صلاح الدين ودفعه إلى المسير إليها طوعًا وكرهًا، فقد ذهل طوعًا إلى مصر فى المرة الأولى سنة ٥٥٩ هـ، والثانية سنة ٦٥٢ هـ، وكرهًا فى المرة الثالثة سنة ٥٦٤ هـ، بأمر من نور الدين حينما استنجد الخليفة الفاطمى بنور الدين زنكى ليخلصه من ظلم الوزير شاور، ومن تقدم الفرنجة الصليبيين إلى مصر للمرة الثالثة .

فى منتصف ربيع الأول سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨م وصلت حملة نور الدين حدود مصر ، ولما علم الصليبيون بقدومها رحلوا عن مصر خائبين دون أن يحققوا شيئًا من أهدافهم ودون أن يستلموا من شاور الأموال التى وعدهم بها، وبذلك صفا الجو

لشيركوه الذى تقدم بأمان إلى القاهرة حيث استقبل المصريون الحملة النورية بالترحاب، وخرج العاضد للقاء شيركوه، ويقال إنه اجتمع به وأسرّ أمورًا مهمة منها قتل الوزير شاور.

بمقتل الوزير شاور بدأ فصل جديد فى العلاقات الأيوبية الفاطمية، لأن العاضد اتخذ شيركوه وزيرًا له، ولكنه توفى بعد شهرين من توليه الوزارة فاختار العاضد صلاح الدين للوزارة وقيادة الجيش ولقبه بالملك الناصر ولما استقر صلاح الدين بمنصب الوزارة فى مصر قام بتنفيذ أعمال عديدة، كانت أولاها تثبيت مركزه فى مصر، فأرسل إلى أبيه وإخوته يستدعيهم إليها، وقام بتفقد عام للقوات العسكرية الموجودة فى مصر، وعكف على التخلص من الأمراء المصريين، ومن الأرمن والسودان، لأنه اعتقد أن بقاءهم فى القوات العسكرية يعد خطرًا على سياسته وقد يهدد مركزه فى مصر، علمًا بأن الفرقة الأسدية التى أنشأها أسد الدين شيركوه، والأمراء الأكراد الذين كانوا بمصر انضموا جميعًا إلى صلاح الدين، ولم تنقض سنة على توليته الوزارة حتى كون فرقة خاصة من الحرس تدعى الصلاحية، وبذلك سيطر صلاح الدين على أهم جزء من القطاع العسكرى، ومن ثم توجه إلى القطاع المدنى إلى عامة الشعب المصرى، ووجد فى حل مشكلاتهم الاقتصادية خير وسيلة لكسبهم، فأبطل المكوس والمظالم التى كانت الدولة تجبى منها سنويا ٢٠٠ ألف دينار، كما عزل قضاة مصر من الشيعة واستناب على سائر البلاد قضاة شافعية، وعين العالم الشافعى صدر الدين بن عبد الملك بن درباس قاضيًا للقضاة الشافعية.

وفى سنة ٥٦٥ هـ/ ١١٦٩ م تقدم الصليبيون نحو دمياط بقوات كبيرة، فأرسل إليها صلاح الدين مباشرة بعض العون العسكرى والمادى، وسمح للأمراء الأيوبيين بالذهاب إليها، كما أن نور الدين أرسل إليه العساكر يتلو بعضها بعضًا، وتقدم نور

الدين نفسه إلى بعض القلاع فى الشام فاستولى عليها، مما دفع الصليبيين إلى الانسحاب من دمياط على الرغم من الحصار الشديد الذى دام خمسين يومًا.

كان من نتيجة انسحاب الصليبيين من دمياط أن ظهر صلاح الدين للمصريين بمظهر المنقذ، مما ساعد على التفافهم حوله، وأخذوا يساندونه فى حربه ضد الصليبيين ويسيرون معه لمحاصرة قلاعهم فى الشام بعد أن لاحقهم هناك، وفى سنة ٥٦٧ هـ نفذ صلاح الدين الأوامر التى كانت تصدر إله من نور الدين بإسقاط الخلافة الفاطمية، فقطع الخطبة للخليفة العاضد الفاطمى، وأقامها للخليفة المستضىء العباسى، وكان العاضد مريضًا على فراش الموت فتوفى دون أن يعلم ما حدث.

بإسقاط الخلافة الفاطمية أعيدت الوحدة بين مصر والشام من جديد مذهبيًا وإقليميًا وأصبحت الخلافة العباسية هى الوحيدة التى يدين لها جميع المسلمين بالولاء، فنشأت طاقة بشرية ومادية ظهرت آثارها فى الحروب التى خاضها صلاح الدين ضد الصليبيين.

كان لوفاة نور الدين زنكى سنة ٥٦٩ هـ/ ١١٧٤م أثر كبير فى إبراز شخصية صلاح الدين وتحديد العلاقة بينه وبين القوى الإسلامية فى منطقة الشام والجزيرة، لأنه لم يكن من المنتظر أن تبقى منطقة الشام والجزيرة التى كانت تحت حكم نور الدين محافظة على وحدتها وقوتها، خاصة وأن الأمراء الزنكيين وكبار القادة فى جيش نور الدين دخلوا فوراً بعد وفاته فى تنافس على وصاية ابنه الصغير الصالح إسماعيل، علمًا بأن الخطر الصليبى غدا ذا تأثير كبير فى تطور الحياة السياسية فى منطقة الشام، ولم يكن بمقدور الصالح إسماعيل ولا بمقدور عمه سيف الدين غازى صاحب الموصل ولا السلطان السلجوقى فى آسيا الصغرى أن يجابهوا الخطر الصليبى

على انفراد، خاصة أن الإمدادات الأوروبية لم تنقطع عن قوى الصليبيين فى المنطقة، ولذلك أصبح لزامًا أن يتقدم أحد أمراء نور الدين الأقوياء ليملأ الفراغ ويوحد الكلمة ويجمع الصف، وكان صلاح الدين غداة وفاة نور الدين يملك قوة كبيرة من العدد والعدة، فهو أمير مصر الغنية القوية، وقائد لعدة فرق عسكرية مكونة من الأكراد والأتراك الذين قدموا معه، إضافة إلى القوات المصرية التى انضمت إليه بدافع المحبة أو كرهًا للحكم الفاطمى، لذلك كله أحس صلاح الدين بأنه الوارث الحقيقى للدولة الزنكية وأن من واجبه إعادة بناء الدولة وتوحيد الكلمة ومواصلة السياسة التى بدأها نور الدين محمود زنكى، وقد استغرقت عملية التوحيد هذه فترة زمنية امتدت من سنة ٥٧٠ هـ إلى سنة ٥٨٢ هـ / ١١٤٧ - ١١٨٦م.

نجح صلاح الدين فى ضم كل من دمشق وحمص وحماة سنة ٥٧٠ هـ، ولكن الوحدة بين مصر والشام وبلاد الجزيرة لم تتم إلا بعد دخول كل من حلب وميافارقين والموصل تحت إمرة صلاح الدين، إذ بضم حلب سنة ٥٧٨ هـ كان كمال انضمام الشام إلى مصر، وبفتح ميافارقين وبعقد الصلح مع الموصليين انضمت منطقة الجزيرة وديار بكر للوحدة، وبذلك ثبت مركز صلاح الدين قائدًا إسلاميًا عامًا للقوى الإسلامية فى كل من مصر والشام وبلاد الجزيرة وديار بكر ومناطق شهرزور وما وراء الزابين كافة، وأصبحت تلك المناطق جميعًا بعد أن سادها الاستقرار بين مختلف عناصرها العربية والكردية والتركمانية مادة لجيوش صلاح الدين، وكان من نتائج تلك الوحدة والاستقرار أن هزم الصليبيون هزيمة ساحقة فى معركة حطين (ر) سنة ٥٨٣ هـ، تلاه استرداد طبرية وعكا وتبنين وصيدا وبيروت وعسقلان، ثم تحرير القدس فى السنة نفسها، ثم وقائع على أبواب صور، فدفاع مجيد عن عكا انتهى بخروجها من يد المسلمين سنة ٥٨٧ هـ، بعد أن اجتمع لحربه ملكا فرنسا وإنجلترا بجيشيهما

وأسطوليهما، وأخيرًا عقد صلح الرملة بين صلاح الدين وملك إنجلترا ريتشارد قلب الأسد سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢م، وكان من شروطه أن تكون الهدنة عامة فى البر والبحر ومدتها ثلاث سنوات وثلاثة شهور، ابتداء من ١٢ شعبان ٥٨٨ هـ/ ٢٢ أيلول ١١٩٢م، وتكون مدينة عسقلان خرابًا والرملة واللد مناصفة بين الطرفين، وأن يسمح للحجاج النصارى بزيارة مدينة القدس، وكان من نتائج المعاهدة أن عاد ريتشارد قلب الأسد إلى بلاده وعاد صلاح الدين إلى القدس ومنها إلى دمشق مقر أعماله الأول ومحل سكنى أولاده، ولكنه لم يمكث فيها طويلاً حيث توفى فى فجر يوم الأربعاء ٢٧ صفر، بعد مرض دام ثمانية أيام ودفن فى دمشق.

توفى صلاح الدين بعد أن قضى سنى حياته بصد هجمات الصليبيين المتكررة على منطقة الشام، وبرهن على مقدرة عسكرية فائقة وقسوة على النفس فى الإخلاص، فقد صان شرفه وحافظ عليه أكثر من حفاظ الصليبيين على قانون الفروسية، وكان رجلاً مستقيمًا يعرف بحسن نواياه، لم يستخدم المكر والخديعة مع أعدائه، بينما استغلّ أعداؤه تلك الصفات فيه، وكانت مشاركته الفعلية فى الحروب إلى جانب قواته العسكرية من العوامل الرئيسة لانتصاراته، وقد برزت له هذه الميزة حتى فى أشد الأيام الدامية، حيث كان يتنقل وسط ميدان المعركة يوقظ الهمم ويحيى فى الجند الروح الإسلامية.

لم يهمل صلاح الدين- على الرغم من انشغاله بمشكلات الحكم ومحاربة الصليبيين- أمر العلم والتعليم، فكان شديد الاهتمام بنشر العقيدة الإسلامية ومحاربة أهل البدع والزيغ، ولذلك اهتم بإنشاء المساجد ومراكز العبادة والمدارس التى تدرس الفقه والدين على المذاهب السنية وخاصة المذهب الشافعى، ومن هذه المدارس المدرسة

التى بناها مجاورة لضريح الإمام الشافعى فى مصر، وكانت هذه المدرسة عظيمة زارها الرحالة ابن جبير ووصفها بقوله: «ولم يعمر بهذه البلاد مثلها، لا أوسع مساحة ولا أحفل بناء، يخيل لمن يطوف عليها أنها بلد مستقل بذاته»، وخصص صلاح الدين لهذه المدرسة مبالغ كبيرة من الأموال، فكان راتب المدرس فيها ٤٠ دينارًا وستين رطلاً من الخبز شهريًا، عدا رواتب المعيدين والخدام فيها، وهناك مدارس أخرى كثيرة أنشئت لتدريس المذاهب الأخرى غير الشافعية، كالمدرسة السيوفية التى أنشأها صلاح الدين بمصر سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١م لتدريس مذهب أبى حنيفة، والمدرسة الصلاحية لتدريس العلوم الفقهية على المذهب المالكى والتى أنشأها بالقرب من البيمارستان النورى فى دمشق، وأحاط صلاح الدين الطلبة الغرباء وطالبى العلوم العقلية والشرعية بالعناية، وقد وصف ابن جبير تلك العناية الكبيرة التى كان يقدمها صلاح الدين لأولئك الطلبة، كما شملت رعايته العلمية الأيتام والمساكين فخصص لهم الأموال، والأوقاف الكثيرة، بعد أن رتب لكل جماعة منهم معلمًا خاصًا يأخذ من تلك الأوقاف ما يسد نفقته ونفقة الأيتام من الصبيان وما يقوم بهم وبكسوتهم.

* * * *

محمد أنور السادات

ثالث من تولى رئاسة جمهورية مصر العربية، وصاحب قرار القضاء على مراكز القوى، وأيضًا حرب تشرين الأول/ أكتوبر.

مولده ونشأته:

ولد محمد أنور السادات فى ٢٥ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨ لأسرة متوسطة الحال بقرية ميت أبو الكوم مركز تلا محافظة المنوفية، تخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٣٨، وترقى فى الرتب داخل الجيش المصرى، واشترك فى عمليات مناوئة للاحتلال البريطانى وللملكية، وسرعان ما اتصل بجمال عبد الناصر فيما سمى بحركة الضباط الأحرار التى قامت بثورة تموز / يوليو ١٩٥٢، تلك الثورة التى غيرت وجه مصر نحو الأفضل على المستويين السياسى والاجتماعى.

المناصب التى تقلدها:

- مجلس قيادة الثورة.
- وزيرًا للدولة فى ١٩٥٤ ثم سكرتيرًا للاتحاد القومى ١٩٥٩.
- انتخب رئيسًا لمجلس الأمة من ١٩٦٠ إلى ١٩٦٨.
- نائبًا لرئيس الجمهورية وعضوًا بمجلس الرئاسة ١٩٦٤.
- انتخب عضوًا باللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى، وأمينًا للجنة القومية السياسية فى أيلول / سبتمبر ١٩٦٨، وأعيد تعيينه نائبًا لرئيس الجمهورية فى كانون الأول / ديسمبر ١٩٦٩.

- انتخب رئيسًا للجمهورية خلفًا للرئيس عبد الناصر فى تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٧٠.

إنجازاته:

أثناء فترة رئاسته قام السادات بتغييرات جذرية على المستويين السياسى والاقتصادى، فعلى المستوى السياسى اتخذ قرارًا حاسمًا بالقضاء على مراكز القوى فى مصر، وهو ما عرف بثورة التصحيح فى ١٥ / مايو ١٩٧١، وفى نفس العام أصدر دستورًا جديدًا لمصر.

فى عام ١٩٧٣ قاد السادات حرب التحرير ضد إسرائيل محققًا ذلك الانتصار العظيم الذى أعاد لمصر كرامتها وثقتها بنفسها.

- وفى عام ١٩٧٦ أعاد الحياة إلى الديمقراطية، وكان قراره بعودة الحياة الحزبية، فظهرت المنابر السياسية، ومن رحم هذه التجربة ظهر أول حزب سياسى وهو الحزب الوطنى الديمقراطى كأول مولود حزبى كامل النمو بعد ثورة تموز / يوليو، ثم توالى من بعده ظهور أحزاب أخرى كحزب الوفد الجديد وحزب التجمع الوحدوى التقدمى وغيرها.

- وعلى المستوى الاقتصادى انتهج سياسة الانفتاح، كما أعاد فتح قناة السويس للملاحة الدولية مرة أخرى.

- وفى عام ١٩٧٧ اتخذ الرئيس قراره الحكيم والشجاع الذى اهتز له العالم بزيارة القدس ليمنح بذلك السلام هبة منه لشعبه وعدوه فى آن واحد، ويدفع بيده عجلة السلام بين مصر وإسرائيل.

وتقديراً لشجاعته تلك فقد نال جائزة نوبل للسلام مناصفة بينه وبين رئيس الوزراء الإسرائيلى آنذاك مناحم بيجين.

اغتياله:

تم اغتيال الرئيس محمد أنو السادات فى ٦ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨١ على أيدى أصوليين إسلاميين أثناء احتفاله بذكرى حرب أكتوبر، ودفن بالقرب من مكان مقتله فى ساحة العرض العسكرى وبجوار قبر الجندى المجهول.

* * * *

محمد بن على السنوسى

مؤسس سلالة السنوسية التى حكمت المغرب العربى فترة طويلة، مجدد ومصلح الدعوة الإسلامية فى شمال أفريقيا باتباع نهج جده الرابع السنوسى الكبير، يعود نسبه إلى الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه، نشر الإسلام بالتصوف العامل فى شمال أفريقيا والسودان والصومال واليمن.

هو «محمد بن على السنوسى» ولد فى قرية الواسطة بالقرب من مدينة مستغانم فى الجزائر فى القرن الثامن عشر عام ١٧٨٧. تعلم القراءة على يد عمته فاطمة وحفظ عنها القرآن الكريم، استكمل تعليمه فى جامع وجامعة القرويين فى مدينة فاس بالمغرب، ثم بدأ الترحال فزار الجزائر مسقط رأسه، ولم يلق الترحيب فى تونس، حيث كان جامع ومعهد الزيتونة (بحسب ما ذكر المؤرخ اللبنانى نقولا زيادة). فى مصر اصطدم بشيوخ الأزهر أيام محمد على باشا.

فقد رأى السنوسى أن تسريع الانفتاح على أوروبا والذى يقوم به محمد على قد يفسد الفكر الإسلامى النقى، ويبدو أن محاولات لإبعاده قد نجحت فاتجه إلى الحجاز حيث قضى عشرين سنة معظمها فى مكة المكرمة، وبدأ نشر طريقته الصوفية المعروفة بالطريقة السنوسية، فأنشأ أول زاوية فى مكة فى جبل أبى قبيس، لكنه ربما واجه بعض المتاعب فقرر العودة إلى الجزائر التى كان الفرنسيون قد احتلوها عام ١٨٣٠، وأصبح من الصعب عليه نشر أفكاره فاتجه إلى ليبيا التى كانت فقيرة من ناحية المراكز العلمية أو الصوفية، فكانت مستقره منذ عام ١٨٤٣ والتى شكلت بدايته الحقيقية

وبداية عصر السنوسية فى ليبيا، لكن الوجـود العثمانى أقلقه فاتجه إلى الأماكن النائية فى جغبوب حيث توفى بعدها بقليل عام ١٨٥٩ ودفن فيها، ترك حوالى أربعين كتابًا ورسالة منهـا (الدرر السنية فى أخـبار السلالة الإدريسـية وإيقاظ الوسـنان فى العمل بالحديث والقرآن).

حركتـه الإصلاحية محـيرة ومركبة، فقـد تأثر بابن تيمية الرافـضة لأى مظهر من مظاهر التصوف الروحى.

كما تأثر بمحمد بن عبد الوهاب مـؤسس الحركة والمذهب الوهابى الصارم المتمسك بالإسـلام الظاهرى والنص الواضح، لكن «السنوسى» تأثر كـثيـرًا أيضًا بالإمـام أبى حامد الغزالى الفيلسوف وحجة الإسلام.

وأخذ عن الصوفـية منهج البيعة ودرجات الصـوفية، وقسمهـا إلى درجة المنتسب ودرجـة الإخوان ودرجـة الخواص، ينقل المؤرخـون أن السنوسى بنى عـقيـدته على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وإن كان كتاب سيرته يقولون: إنه كان مالكى المذهب.

وتقوم الطريقة على التشدد فى العبـادة والطقوس، والزهد فى أمور المعيشة كالأكل والملبس، والبعـد عن العنف بكل أشكاله فى الدعوة، والتزم الأتبـاع بعدم شرب أى مكيفات كالشاى والقهوة والتدخين، كـانت طريقته تقوم على العبادة والعمل، واختار الزراعة والتجارة، فـازدهرت الواحات فى ليبيا حيث توجد مراكـز الدعوة السنوسية. كمـا أكد على ضـرورة الجهاد ومـحاربة المسـتعمـر بكل الوسائل، ومـا زالت واحة «جغبوب» فى الصـحراء الليبية بين مصر ولـيبيا أهم مراكز الدعوة السنوسيـة، وفيها يتخرج كل عام مـئات الدعاة الذين ينشرون الدعوة فى باقى شمال أفـريقيا، وقد بلغ

عدد الزوايا السنوسية حوالى ١٢٠ زاوية منتشرة فى كل مكان حتى أرخبيل الملايو فى الشرق الأقصى، وكان تأثيرها كبيرًا لدى القبائل الوثنية فى أفريقيا.

خلفه ابنه الشيخ المهدى محمد على السنوسى فى قيادة الدعوة حتى توفى عام ١٩٠٢، وكان عمر المختار من السلالة وجاهد ضد الاستعمار الإيطالى لليبيا حتى نفذ فيه حكم الإعدام عام ١٩٣١م.

* * * *

مينا

أول ملوك مصر، وأول من وحّد مصر، وهو لذلك الرجل الذى لعب دورًا جليلاً فى تاريخ الحضارة الإنسانية، ولسنا نعرف عن يقين متى ولد ومتى مات، وإن كان من المعتقد تاريخيًا أنه ولد فى سنة ٣١٠٠ ق.م. وقبل ذلك التاريخ لم تكن مصر موحدة، إنما كانت تضم مملكتين مستقلتين: واحدة فى الشمال فى الدلتا، والثانية فى الجنوب ، الأولى مملكة مصر السفلى، والثانية مملكة مصر العليا، وكانت مصر السفلى أكثر تقدمًا، وكان الملك مينا هو الذى وحد الوجه البحرى والوجه القبلى.

والملك مينا - ويسمى الملك نارمر - ولد فى تانيس فى جنوب مصر، وبعد أن وحد الوجهين أطلق على نفسه لقب ملك الوجهين القبلى والبحرى، أو موحِّد القطرين، وقد احتفظ الملوك من بعده بهذا اللقب ألوف السنين، وقد أقام عاصمته ممفيس على حدود المملكتين، ولا تبعد آثار هذه المدينة عن القاهرة، وقد ظلت ممفيس هذه عاصمة مزدهرة مئات السنين. والقليل من المعلومات هو الذى انتقل إلينا عن الملك مينا، وإن كنا نعرف أنه حكم مصر ٦٢ عامًا، وإن كان هذا الرقم مبالغًا فيه إلى حد كبير.

ومن المؤكد أن توحيد وجهى مصر قد أدى إلى إطلاق طاقاتها الإبداعية فى الثقافة والفن والعمارة، وقد أدى هذا التطور إلى تغيير فى نظم الحكم والإدارة، وقد ظل ذلك قائمًا مزدهرًا ألف سنة. وتطورت اللغة الهيروغليفية وطريقة كتابتها ونقشها .

ويمكن أن يقال دون خوف من الوقوع فى الخطأ أن الحضارة المصرية قد بلغت

حضارة سومر وتـفوقت عليها أيضًا، ولا شك أن فى عهد الملك مينا أصـبحت مصر أكثر الحضارات القديمة تقدمًا وتطورًا.

ولكن أين نضع الملك مينا فى قائمة الخالدين؟

من المؤكد أن الملك مينا كان شخصية هـامة جدًا، وقد تعودنا فى عصور الملكية أن الملك هو أهم شخصية، ولولاه ما تحقق الكثير على يديه من الفتوحات والتطورات.

ولذلك يجب أن يعزى إليه الفضل فى كل ما حقـقته مصر، أى لولا الملك مينا ما قفزت مصر إلى هذه المكانة الرفيعة فى التاريخ القديم.

* * * *

نلسون مانديلا

هو نلسون روليهلالا مانديلا Nelson Rolihlahla Mandela محامي وسياسي جنوب إفريقي، ولد في ١٩١٨/٧/١٨ وهو ابن هنرى مانديلا، وينتسب إلى عائلة كانت ولا زالت تتولى زعامة قبيلة تمبو Tembu في إقليم ترانسكى Transkei ،درس القانون في كلية فورت هار Fort Hare للحقوق، وجامعة ويتوواترسراند Witwater-srand وتخرج فيها سنة ١٩٤٢ في جنوب إفريقيا، وفي أثناء دراسته الجامعية بدأ نجمه يلمع زعيمًا من زعماء الحركات الإفريقية السوداء المناهضة للتمييز العنصرى الذى كانت تعتمده حكومة الأقلية البيضاء في جوهانسبرغ، وفي سنة ١٩٤٤ ألف نلسون مانديلا مع والتر سيسولو W. Sisulu وأوليفر تامبو O. Tambo عصبة شباب المؤتمر الوطنى الإفريقي (A . N . C) وتدرج في قياداتها إلى أن انتخب رئيسًا لها سنة ١٩٥٥ ، مما ساعده بعد سنتين على افتتاح أول مكتب قانوني لمحامين سود في جنوب إفريقيا مشاركة مع أوليفر تامبو، وحتى ذلك الوقت كانت دعوته إلى مناهضة سياسة التمييز العنصرى مقتصرة على الوسائل السلمية، ومع ذلك اتهم مانديلا مع عدد من أتباعه بالخيانة، لكن حكومة جنوب إفريقيا العنصرية لم تتمكن بعد خمس سنوات من المحاكمة من إثبات الاتهام فسرحت الجميع.

وإثر قيام قوات أمن الحكومة العنصرية بفتح النار على تظاهرة سلمية دعا إليها مانديلا سنة ١٩٦٠ في مدينة شارب فيل Sharpeville، وإصدارها قرارًا يحظر أى نشاط للمؤتمر الوطنى الإفريقي، قام مانديلا بتأسيس تنظيم عسكرى أسود أطلق عليه

اسم «رمح الشعب» Umkhonto We Sizwe للتصدى لسياسات الحكومة القمعية ضد الغالبية السوداء، ونجحت عمليات التنظيم لدرجة جعلت الحكومة تلاحق أفراده سنة ١٩٦٣ وتقبض على تسعة من مناضليه (خمسة من السود وثلاثة من البيض وهندى واحد) بمن فيهم مانديلا بتهم التخريب والتآمر لقلب نظام الحكم، وبحوزتهم كمية من الأسلحة الحربية، وحكم عليهم بأحكام مختلفة كان أقساها الحكم على مانديلا بالسجن المؤبد، فأمضى الفترة الكبرى منها فى سجن جزيرة روبن Robben فى كيب تاون، وبعدها فى سجن بولسمور Pollsmoor، وقد أسهمت مجريات تلك المحاكمة وذلك الحكم فى تدعيم شعبية مانديلا ليس على مستوى جنوب إفريقيا وحسب، بل فى أرجاء العالم كله، وتأسست على أثر ذلك جمعيات جديدة ساندتها جمعيات عالمية أخرى نددت جميعها بسياسة التمييز العنصرى، ولم تتمكن الحكومات العنصرية المتعاقبة فى جنوب إفريقيا من تغييب ذكرى هذا المناضل عن أذهان أحرار العالم فى الشرق والغرب، ولما اتسع نطاق المعارضة داخليًا وخارجيًا ضد حكومة بريتوريا حاولت هذه الأخيرة الاتصال بالجماعات الإفريقية للتخفيف من حدة المعارضة التى اشترطت إطلاق سراح مانديلا شرطًا أساسيًا لأية مفاوضات تتعلق بالتهدئة بين الحكومة والشعب، وبالفعل اضطرت حكومة جنوب إفريقيا سنة ١٩٨٥ إلى القبول بفكرة تسريح مانديلا مقابل الالتزام بنبذ العنف، لكن مانديلا لم يوافق إلا فى حالة إعلان الحكومة إنهاء التمييز العنصرى، وأيده بذلك جمع غفير من أحرار العالم الذين دعوا فى الحادى عشر من يونيو ١٩٨٨ إلى التجمع فى العاصمة البريطانية لندن بمناسبة بلوغ مانديلا سن السبعين، وتحدث فى الاجتماع عدد كبير من مفكرى العالم عن مساوئ التمييز العنصرى، ودعوا إلى تسريح مانديلا من دون شروط، وقد أكرهت الضغوط المتصاعدة فى أنحاء العالم والتمرد الشعبى الكبير فى جنوب إفريقيا

رئيس الحكومة العنصرية بيتر ويليم بوتا Pieter Willem Botha وبعده خلفه ف . و

. دو كليرك F. W . de Klerk ١٩٨٩ على الالتقاء بمانديلا فى سجنه عدة مرات فى محاولة لتهدئة الموقف الذى استمر متفجرًا فى البلاد منذ اعتقاله، وفى ١١ فبراير ١٩٩٠ انصاعت الحكومة للضغوط الداخلية والخارجية مرة ثانية، ووافقت على إطلاق سراح مانديلا من دون شروط، كما منح المؤتمر الوطنى الإفريقى ترخيصًا بالعمل السياسى للمشاركة فى صياغة دستور جديد لجنوب إفريقيا لا يتضمن أى تمييز عنصرى ضد البيض أو السود، وقد أدى مانديلا الرئيس الجديد للمؤتمر الوطنى الإفريقى دورًا قياديًا فى مفاوضات إنهاء التمييز العنصرى، وحصل بنهاية المفاوضات على جائزة نوبل للسلام لعام ١٩٩٣ مناصفة مع رئيس وزراء جنوب إفريقيا دو كليرك.

وفى ١٠/ ٥/ ١٩٩٤ أجريت أول انتخابات حرة فى جنوب إفريقيا شارك فيها كل سكان البلاد من البيض والسود، وأسفرت عن فوز ساحق ناله نلسون مانديلا الذى أصبح بموجبه أول رئيس أسود لجنوب إفريقيا المناهضة للتمييز العنصرى.

وفى أثناء حكمه الذى استمر خمس سنوات قلب مانديلا صورة جنوب إفريقيا العنصرية، وأقامت بلاده علاقات خارجية متميزة مع كل الدول التى ساندت جنوب إفريقيا فى نضالها ضد التمييز العنصرى وعلى رأسها الدول العربية التى زار معظمها حتى نهاية ولايته فى ١٦/ ٦/ ١٩٩٩، ثم عاد إلى الحياة العامة مواطنًا عاديًا يؤدى مهامًا اعتيادية، يستشيره ويحترمه الجميع داخل البلاد وخارجها.

حصل مانديلا وهو فى السجن سنة ١٩٧٩ على جائزة جواهر لال نهرو Jawaherlal Nehru وهى أرفع جائزة تمنحها حكومة الهند، كما حصل على جائزة

برونو كرايسكى Bruno Kreisky لحقـوق الإنسان سنة ١٩٨١، إضافـة إلى عدد من شهادات الدكتوراه الفخرية من عدد من جامـعات العالم، وقد جمعت خطبه وكتاباته فى أثناء سجنه فى عدد من الكتب بعناوين:

- No Easy Walk to Freedom (London 1965).

- The Struggle Is My Life (1978).

- I'am Prepared to Die (1979).

* * * *

هوشى منه

زعيم حركة فيتنام الوطنية لأكثر من ٣٠ عامًا والذى صمد بشعبه وقواته أمام القوات الفرنسية ثم القوات الأمريكية التى غزت فيتنام، حتى أصيبت بأول وأكبر هزيمة فى تاريخهاو انسحبت بعد أعوام من الحرب الشرسة والهزيمة فى عام ١٩٧٥ .

(هوشى منه) ولد فى فيتنام عام ١٨٩٠ ، وكان والده مدرسًا أيام الحكم الفرنسى، واشتهر بذكائه الشديد، لكنه لم يكن راغبًا فى تعلم الفرنسية لغة أعدائه، ففصل من عمله واضطر للتنقل عبر البلاد ليمارس مهنًا مؤقتة. ونشأ جميع أولاده على حب والدهم للوطن (فييت - نام) ومحاربة الفرنسيين ، ورغم رفضه هو شخصيًا لتعلم الفرنسية فقد أرسل ابنه (هو) إلى مدرسة فرنسية، لاقتناعه المتأخر بأن تعلم لغة العدو تساعد على معرفة أساليبه وهزيمته، وعمل (هو) كأبيه مدرسًا، ثم قرر أن يصبح بحارًا فجاب عددًا من الدول كان معظمها تحت الاستعمار الفرنسى، واستقر فى باريس عام ١٩١٧ وقرأ كتب (كارل ماركس) وغيره من الشيوعين واعتنق مذهبهم، وكان من أوائل أعضاء (الحزب الفرنسى الشيوعى) الذى تأسس عام ١٩٢٠ ، وتحولت الثورة الروسية إلى إلهام له فزار الاتحاد السوفييتى الوليد عام ١٩٢٤ ، وأدرك فى موسكو أن على (الشيوعيين فى أنحاء العالم العودة إلى بلادهم لإيقاظ الجماهير)!

لكنه لم يستطع العودة إلى فيتنام خشية إلقاء القبض عليه من قبل الفرنسيين، فذهب إلى الصين، ومن منفاه الإختيارى ساعد على (تنظيم) الوطنيين المنفيين هناك.

وجد (هوشى منه) فرصة لتحرير بلاده بعد احتلال النازيين الألمان فرنسا وغزو القوات

اليابانية الهند الصينية، فى سبتمبر عام ١٩٤٠، فشكل منظمة باسم (فييت - منه) وبدأت حرب العصابات ضد القوات المحتلة الفرنسية، كما شاركت قوات (فييت - منه) بالقتال ضد اليابانيين ، وبمساعدة من الاتحاد السوفييتى الذى كان يمدها بالسلاح، وبعد أن ضرب اليابانيون ميناء (بيرل هاربر) بدأت الولايات المتحدة الأمريكية أيضًا إمداد قوات (هوشى منه) بالسلاح، وبعد إلقاء قنبلتى هيروشيما وناجازاكى على اليابان التى استسلمت.

فى عام ١٩٤٥ كانت قوات (فييت - منه) فى وضع عسكرى يمكنها من السيطرة على البلاد، فأسس (هو شى منه) جمهورية فيتنام الديمقراطية ، دون أن يعلم اتفاق روزفلت الأمريكى وتشرشل البريطانى وستالين السوفيتى فى قمة بوتسدام بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، على تقسيم فيتنام إلى شمالية تحت نفوذ الصين، وجنوبية تحت نفوذ بريطانيا . لكن فرنسا قررت العودة إلى فيتنام ورفضت الاعتراف بجهورية فيتنام (الديمقراطية) و (هو شى منه) فاندلعت الحرب بينهما ولم تكن لصالح الفيتناميين فى البداية واسمه الحقيقى هو (مجوين تان تهان) بطل حرب فيتنام وما قبلها، استطاع بعد وصول (ماو تسى تونج) الشيوعى للحكم فى الصين قلب المعركة مع المحتل الفرنسى لصالح قواته، خاصة أن الرأى العام الفرنسى رفض بقاء القوات الفرنسية فى جنوب فيتنام لمساندة الإمبراطور الفيتنامى (بوادى) الذى نصبته فرنسا، وعرضت فرنسا المفاوضات بعد وقوع (٩٠) ألف جندى فرنسى هناك بين قتيل وجريح خلال (٧) سنوات لم يحسم النصر فيها لفرنسا.

عرضت أمريكا التدخل إلى جانب فرنسا بإلقاء قنبلة ذرية على فيتنام (١٩٥٩) لكن فرسا أعلنت هزيمتها بعد أسر (١١) ألف من جنودها، وظل جنوب فيتنام فى

يد الحلفاء المنتصرين حتى تشكلت عام ١٩٦٠ . (الجبهة القومية لتحرير فيتنام الجنوبية) أو ما سماهم الأمريكيون بـ (الفاتيكونج) أو (الغييت - كونج). فقام الرئيس الأمريكى المنتخب (جونسون) بعملية الرعد عام ١٩٦٤ لتدمير قوات فيتنام الشمالية الشرعية والتى كانت تحت نفوذ (هوشى منه). واستمرت العملية (٣) أعوام بعد أن كان مقدراً لها (٦) أسابيع فقط، أسقطت خلالها أمريكا حوالى (مليون طن) من القنابل، وقاد (هوشى منه) حربًا دامية بكل معنى الكلمة، وقدرت حكومة (هانوى) (شمال فيتنام) الضحايا بحوالى (٤) ملايين فيتنامى خلال (٢١) سنة، كما قتل أكثر من مليون مقاتل شيوعى، وتقدر المصادر الأمريكية ضحاياها من الأمريكيين بـ (٥٨) ألف فقط، هاجم (هو شى منه) ٣٦ مدينة دفعه واحدة بما فيها (سايجون) عاصمة فيتنام الجنوبية، وحوصرت قوات المارينز الأمريكية فى نطاق السفارة الأمريكية هناك. فى وقت لم تكن القوات الأمريكية قد التقطت أنفاسها بعد من معركة شرسة مع الفيتكونج، أصابت هوشى منه بخسائر جسيمة، ولم تلق إلا الازدراء والسخط من الرأى العام الأمريكى والعالمى، حيث أذيعت العمليات على شاشات التليفزيون فى أول سابقة من نوعها فى تاريخ الإعلام . واضطر (جونسون) لوقف عملياته الجنوبية واستمرت العمليات الأرضية، وكان ينوى الترشيح لولاية رئاسية جديدة فى نوفمبر عام ١٩٦٨ .

لكن الأمريكيون انتخبوا (نيكسون) وبدأ التفكير بسحب القوات الأمريكية على مراحل دون المساس بكرامتها العسكرية! وتم سحب (٥٠٠) ألف عسكرى أمريكى بعد أن شاع الإحباط والأمراض النفسية بين القوات مع ارتفاع معدل تعاطى المخدرات!.

وحدثت مذبحة (مادى لاى) عام ١٩٦٨ حـيث ذبح الأمريكيون أكثر من (٣٠٠) قروى فيتنامى بحـجة وجود معسكرات للفيتكونج مـات (هوشى منه) فى العام التالى ١٩٦٩، وتابع خليـفته القـتال وفى يوم ٣٠ أبريل من عـام ١٩٧٥ اقتحـمت دبابات الفيتناميـين الشيوعيين سيـاج القصر الرئاسى فى العاصمة (سايـجون) بشكل مباغت وغرست رايتهم ذات الألوان الأحمر والأزرق والنجمة الصفراء، وسقطت (سايجون) واستعادت اسمها القديم (مدينة هوشى منه)!.

* * * *

بى نظير بوتو

يرى المحللون السياسيون أن هناك أربع صفات تميز «بى نظير بوتو» المولودة يوم ١٢/٦/١٩٣٥م والمتوفاة اغتيالاً يوم ٢٧/١٢/٢٠٠٧م، وفى صفات تعد مدخلاً مهمًا لتناول شخصيتها المثيرة للجدل، فقد كانت واضحة فى حياتها عمومًا، وانعكست على حياتها السياسية خصوصًا ، وهى صفات استولت عليها،وملأت حياتها، ويمكن رصدها على النحو الآتى:

- كلما وصلت إلى نتائج إيجابية فى مسيرتها السياسية وتمكنت من كسب موقف ما كانت تعتبر كل ذلك بفضل قيادتها وجهودها الفردية، وكلما منيت بفشل، أو بتعثر كانت تعتبر ذلك نتيجة تقصير الآخرين.

- كانت دائمًا تسعى لأن تثبت استحقاقها لكل تكريم ومنصب من غير أن تعترف بأى مشاكل لديها، أو بنقص فيها، أو فى صلاحيتها واستعدادها وأهليتها.

- كانت تعتبر نفسها راعية للقانون والديمقراطية، مع أنها كانت بعيدة كل البعد عن الالتزام بالقانون والديمقراطية داخل حزبها وحياتها السياسية، فإنها لم تكن ترضى بحال من الأحوال بإجراء انتخابات داخل الحزب، بل قد عينت رئيسة الحزب مدى الحياة، وكان هذا سببًا فى أزمة القيادة فى حزب الشعب الباكستانى، وكانت تعرف بـ(الدكتاتورة المدنية).

مثال ذلك ما قاله الصحفى الهندى المعروف (K . K . Katyal) بأنه كان يجرى مقابلة معها، وفى هذه الأثناء دخل أحد كبار أعضاء حزب الشعب، فغضبت منه،

وقـالت له: «ألا تعرف أن القـائد إذا كـان يتحـدث لا يجـوز لأحد أن يتـدخل فى الحديث!».

قد ورثت هذه الصـفة من تربية أبيهـا ومن سيرته، فـدكتاتوريته كـانت أشد أنواع الدكتاتوريات طوال تاريخ باكستان، وهو المدنى الوحيد الذى تولى الحكومة العسكرية طوال تاريخ باكستان، فتعرضت أحزاب المعارضة لأشد أنواع التعذيب أثناء حكمه.

- كانت تحب الحكم والسلطة إلى أبعـد الحدود، فالسطلة هى محور حـياتها التى دارت أحداثها حولها، وكانت ستفعل المستحيل لأجل الوصول إلى السلطة.

و«بوتو» فى ذلك ليـست الحالة الوحـيدة فى العـالم الإسلامى، وأمـثال هؤلاء لا يهمـهم شىء مثل أهميـة الوصول إلى السلطة، يهون الكثـير أمام هذا الهـدف، فإذا اقـتضى التـدين تظاهروا بالتديـن، وإذا اقـتـضى غيـر ذلك فعلوه.. تسـود حيـاتهم البرجماتيـة بكل معنى الكلمة، لا توجد ثوابت فى حيـاتهم، بل هى تابع للمصلحة عندهم وبذا فـإن حياتهم ليـست شرًا مـحضًا ولا خـيرًا مـحضًا، بل تتـغيـر حسب مقتضيات مصلحتهم وهدفهم الأساسى فى الحياة.

خلفية الأسرة السياسية:

نشأت «بى نظير بوتو» فى أسرة سياسية عريقة، فكان جدها «السير شاهنواز بوتو» الذى يعتـبر أحد الشـخصيـات السياسـية المشهورة فى الـهند البريطانية ، فـقد تولى مناصب عالية جدًا فى الحكومة البريطانية، كان منها مساعدة الحاكم الإنكليزى للهند، ورئاسـة وزراء إقليم (جـوناغر) فـى الهند، وحصل عـلى عدة ألقـاب من الحكومـة الاستعمارية البريطانية فى الهند، منهـا (خان بهادر) و (السير)، وكان قد شكل حزبًا سياسيًا باسم (حزب الشعب السندى).

أما «ذو الفقار على بوتو» (والد بى نظير بوتو) الذى كان يسمى بين أصدقائه بـ «ذو لفى» اختصاراً لاسمه فقد مشى على خطى أبيه، فبعدما تخرج فى كلية (بركلى) المشهورة فى كاليفورنيا، وجامعة أكسفورد الشهيرة رجع إلى كراتشى عام ١٩٥٣م، وبدأ يشتغل فى المحاماة والتدريس، لكنه كان يرى أن مستقبله مرتبط بالسياسة، وكانت الظروف مهيأة له كون قيادة باكستان حينذاك كانت بيد أصدقاء والده (إسكندر مرزا) و (حسين شهيد سهروردى)، فذهب إليهما، وكان ذلك أول مشاركته فى السياسة.

تولى فى البداية وزارة المعادن، ثم وزارة شئون الأقليات ، ثم وزارة التعمير الوطنى، ثم وزارة شئون كشمير فى حكومة (إسكندر مرزا) وبداية حكومة (المشير محمد أيوب خان)، ثم تولى وزارة الشئون الخارجية فى حكومة (المشير محمد أيوب خان)، ثم استقال من وزارة الشئون الخارجية عام ١٩٦٦م، وشكل حزب الشعب الباكستانى يوم ٣٠ تشرين الثانى/ نوفمبر عام ١٩٦٧م، وبذلك دخل السياسة الباكستانية من أوسع أبوابها ، وحصل على الأغلبية فى أول انتخابات أجريت فى باكستان عام ١٩٧١م.

وبعد أن أجريت الانتخابات للمرة الثانية فى آذار/ مارس عام ١٩٧٧م حصل حزب الشعب فيها على الأغلبية وشكل الحكومة، وتولى «ذو الفقار على بوتو» رئاستها، لكنه اتهم بالتزوير، وأدى ذلك إلى انقلاب عسكرى بقيادة الجنرال محمد ضياء الحق فى ٥ يوليو عام ١٩٧٧م.

أما «بى نظير بوتو» فقد نشأت أثناء هذه الأحداث الساخنة، وفى هذه الأسرة السياسية العريقة، ومن هنا كانت ترى نفسها، أحق الناس بالحكم والسلطة، وترى أنها ولدت لتحكم ولتقود.

تحضير لتولية الحكم:

دراسة «بوتو» كانت تصب فى سياق وصولها للحكم، فكانت دراستها الابتدائية والثانوية فى مدينة كراتشى، وروالبندى، ومدينة مرى، فى مدارس تبشيرية، ومن ثم سافرت إلى أمريكا عام ١٩٦٩م، وبقيت فى radcliff college وجامعة هارفارد إلى عام ١٩٧٣م، وحصلت على شهادة البكالوريس، ثم انتقلت إلى بريطانيا ودرست القانون الدولى والدبلوماسية فى جامعة أكسفورد الشهيرة من عام ١٩٧٣م إلى عام ١٩٧٧م، وأثناء هذه السنوات نفسها درست فى كلية (مارغريت هال) التابعة لجامعة أكسفورد فلسفة السياسة.

تقول «بى نظير» فى حديث لها مع إذاعة بى . بى . سى (بالأردو) يوم ١٧ سبتمبر عام ٢٠٠٣م: «مع أننى كنت قد تلقيت التربية السياسية العملية على يد والدى لكننى أدركت مدى قوة الشعوب عندما ذهبت إلى مؤسسات تعليمية مثل (أكسفورد ، وهارفارد)، لم أكن أعرف شيئًا عن قوة الشعوب».

وبذا كان سفرها إلى هذه المؤسسات التعليمية لتتعلم ما كانت تحتاج إليه فى الوصول إلى هدفها، وما كان يسهل مهمتها فى الوصول إلى الحكم والسلطة والاستمرار فيهما، ومن هنا كانت دراستها قاصرة على القانون الدولى، والسياسة، والدبلوماسية.

وبالعودة إلى والد «بوتو» فسنجده سياسيًا محنكًا، وتعتبر حكومته - منذ نشأة باكستان - هى الحكومة المستقلة الوحيدة التى لم يكن الجيش يتحكم فيها، وقد رفع شعارًا أسر به لب الطبقات الكادحة، وهو (توفير الخبز واللباس والمسكن) وصار بذلك بطلاً شعبيًا، ومن هنا لقب بـ (قائد الشعب).

وهو من البداية سعى إلى تربية (بوتو) تربية سياسية إلى آخر لحظات حياته، وكان بعدها لتتولى قيادة حزب الشعب، وبالتالى لتتولى الحكم بعده، ومن مظاهر هذا الاهتمام الأمور التالية:

أ - كان يأخذ (ذو الفقار على) ابنته (بى نظير بوتو) معه فى كثير من المحادثات الرسمية الحساسة والخطيرة، فعلى سبيل المثال شاركت فى المحادثات التى جرت بين «ذو الفقار» الرئيس الباكستانى حينذاك وبين «أنديرا غاندى» رئيسة وزراء الهند فى عام ١٩٧٢م فى سملة Simla.

ب - كلفها بأعمال خاصة فى فترة حكمه عندما كانت تعود فى الإجازة من لندن، فقد عينت فى عام ١٩٧٦م Officer on special duties الموظف لأداء المهمات الخاصة فى وزارة الخارجية الباكستانية، وكان الغرض من ذلك هو تدريب هذه (النحيلة) (لقب أطلقه عليها والدها).

ولما أسقطت حكومة «ذو الفقار» بانقلاب عسكرى وألقى فى السجن، وكان يحاكم فى قضية قتل بعض الشخصيات المهمة والذين قتلوا فى فترة حكمه من قبل الحكومة كان يرسل إليها رسائل خاصة يوجهها فيها ويربيها عن طريقها، كما كتب فى المعتقل كتابًا سماه «إن قتلت» خاطب فيه ابنته خطابًا خاصًا يريد به تربيتها، ووصفها بأوصاف لم يصف بها أحدًا من أولاده، وكان يعلق عليها آمالاً كبيرة.

وريثة الوالد بعد إعدامه:

حصل الانقلاب العسكرى ضد حكومة «ذو الفقار» يوم ٥ يوليو عام ١٩٧٧م بعد احتجاجات شديدة من قبل جميع أحزاب المعارضة، وقاد الانقلاب الجنرال «محمد ضياء الحق» الذى رقاه بوتو الأب من غير استحقاق ليتولى قيادة الجيش، وحوكم فى قضية قتل الناشطين السياسيين الذين قتلوا فى فترة حكمه، وكان منهم أحمد رضا

قصورى (والد خورشيد محمود قصورى وزير خارجية مشرف فى الحكومة الماضية) وصدر ضده الحكم بالإعدام، وأقرت المحكمة العليا الحكم، ونفذ فيه الحكم بالإعدام يوم ٤ أبريل ١٩٧٩م فى سجن روالبندى (المدينة التى اغتيلت فيها بى نظير بوتو).

أما مواقف أسرة «بوتو» فكانت متباينة . . أراد «مير شاهنواز بوتو» و «مير مرتضى بوتو» ابنا «ذو الفقار» أن ينتقما لقتل والدهما بعمل مسلح، فأنشآ عصابة مسلحة سميت (الذو الفقار)، آوتها الحكومة الشيوعية فى أفغانستان حينذاك، وساعدتها فى أداء مهمتها لتقارب فكرى بين الجهتين ولأن حكومة الجنرال (محمد ضياء الحق) كانت تساعد الأحزاب الجهادية فى المقاومة ضد التواجد السوفياتى فى أفغانستان إلى أن تمكنت تلك العصابة (بمساعدة بعض الجهات الأجنبية القريبة من ضياء الحق) من إسقاط طائرة «ضياء» وقتله مع مجموعة كبيرة من قيادات الجيش الباكستانى عام ١٩٨٨م.

أما موقف «بى نظير بوتو» فكان مختلفًا عن موقف أخويها، فقد قطعت صلتها بهما، لأنها كانت تعتبر نفسها وريثة أبيها فى السياسة وقيادة حزب الشعب، وكانت تريد حكم باكستان، وتدرك أن الطريق إلى ذلك هو العمل السياسى، وليس العمل المسلح، ومن هنا تولت قيادة حزب الشعب الباكستانى بالاشتراك مع والدتها «نصرت بوتو» الأصفهانية (وهى من أسرة كردية من إيران تزوجها ذو الفقار على بوتو عندما رآها فى قصر الملك رضا شاه بهلوى).

تغيير وجهة حزب الشعب:

كان حزب الشعب الباكستانى أول ما نشأ حزبًا يغلب عليه الميل إلى النظرية الشيوعية، وكان من قياداته شخصيات معروفة تدعو للشيوعية مثل شيخ رشيد (الذى

كان يعرف بأبى الشيوعية) وغيره، وكان الحزب يفضل النموذج الصينى للشيوعية، وكان «ذو الفقار» نفسه يرى (ماوز تونغ) نموذجًا يحتذى به، لكن لما رأت «بوتو» أن الظروف قد تغيرت، وأن النموذج الليبرالى الغربى هو الأدعى للقبول لدى أميريكا والغرب، وكانت قد أدركت حقيقة أن الوصول إلى السلطة فى باكستان والاستمرار فيها يتوقف على رضا أميريكا، حولت عندئذ قبلة الحزب، وغيرت اتجاهه من الشيوعية إلى الليبرالية الغربية، كون ذلك يقربها من هدف الوصول إلى السلطة.

عاشت «بوتو» فى الغالب فى الخارج، وكانت عودتها إلى باكستان لممارسة الحكم، فقد خرجت إلى بريطانيا وأميريكا عام ١٩٦٩م، وبقيت إلى عام ١٩٧٧م، حيث عادت لفترات لتستمتع بالسلطة فترة حكم أبيها، كما اعتقلت قبيل إعدام أبيها فى عام ١٩٧٩م وبقيت فى المعتقل إلى عام ١٩٨٥م. ثم سمح لها بمغادرة البلد إلى بريطانيا، ومن هناك تولت قيادة حزب الشعب الباكستانى، وعادت إلى باكستان فى ١٠ أبريل عام ١٩٨٦م لتستعد لخوض الانتخابات التى كان يتوقع أن يجريها الجنرال «محمد ضياء الحق» فى تلك الفترة، واستقبلت استقبالاً ضخمًا فى مدينة لاهور حينذاك، وبقيت بعد ذلك مرتبطة بالحكم، سواء كان ذلك الارتباط بكونها فى السلطة أو بكونها فى قيادة المعارضة إلى عام ١٩٩٨م عندما غادرت باكستان إلى الإمارات العربية المتحدة، وبقيت مع أولادها بين بريطانيا والإمارات، ولحق بها زوجها بعد ذلك، إلى أن اقترب موعد الانتخابات، وبدأت أميريكا والمجتمع الدولى بالضغط على الجنرال مشرف لإجراء الانتخابات فى ضوء فقدانه شعبيته، وكانت مصالح تلك الجهات تقتضى أن يتولى السلطة شخص مخلص لهم ويكون فى الوقت نفسه متمتعًا بقاعدة شعبية كبيرة، وكان ذلك الشخص فى نظر أميركا هو «بى نظير بوتو».

رجعت إلى باكستان يوم ١٨ أكتوبر عام ٢٠٠٧م أى بعد تسعة أعوام، بعد اتفاقيات عقدتها مع الجنرال مشرف بضغوط أميركية وبريطانية وضمانهما، بأنها ستسهل لمشرف مهمة البقاء فى منصب رئاسة الدولة فى مقابل أن يعطيها فرصة تولى رئاسة الوزراء فى الحكومة القادمة، وكانت متيقنة من توليها المنصب المذكور عند عودتها، لكن المدبرين لحادثة اغتيالها لم يمهلوها هذه المرة، واغتالوها يوم ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٧م.

الزواج السياسى وتجميل الصورة:

تزجت «بى نظير بوتو» يوم ١٨ ديسمبر عام ١٩٨٧م، وكان عمرها غداة ذلك ٣٤ عامًا بـ «آصف على زردارى) وهو ابن إحدى الأسر الإقطاعية فى إقليم السند، ينتمى إلى مذهب أهل التشيع، ويبدو أن الزواج المذكور كان له دخل بقضية الحكم والسياسة.

فعندما رجعت «بوتو» إلى باكستان وفكرت أسرتها جديًا بالعمل على توليها الحكم مستقبلاً ، رغبت فى أن تحسن من وصورتها، ولكون المجتمع الباكستانى مجتمعًا محافظًا ولن يقبل امرأة غير متزوجة وهى فى الثلاثينيات من عمرها، وخاصة بعد ما شاعت بعض الأخبار غير المقبولة عنها فى فترة شبابها التى قضتها فى الغرب، ولتحسين هذه الصورة استعجلت زواجها، فتم ذلك الزواج السياسى فى كراتشى قبيل الانتخابات العامة.

وبعد الزواج ظهرت «بوتو» امرأة رصينة وبجانبها زوجها «آصف على زردارى».

ولتعميق هذه الصورة أصرت «بوتو» على الإنجاب، لأن ذلك يساعد فى تحسين صورتها، فأنجبت طفلها الأول فى السنة الأولى من زواجها، وعن ذلك تقول فى

مقابلة مع إذاعة «بى بى سى» يوم ١٧ سبتمبر ٢٠٠٣م: «لم يعلن ضياء الحق عن موعد الانتخابات إلا بعد أن علم بأننى حامل بطفلى الأول، وكان يظن أننى لن أقدر على القيام بحملة انتخابية موفقة قرب موعد الإنجاب، لكننى قمت بحملة انتخابية ضخمة وحصلنا على الأغلبية» فكان الإنجاب بالنسبة لها يعنى أمرين، أحدهما تحسين صورتها، والثانى إنجاب الوريث ليتولى الأمر بعدها.

بين الأخ والزوج والجيش:

برجوع أخيها «مير مرتصى بوتو» من المنفى بعد مقتل «ضياء الحق» إلى باكستان عام ١٩٩٣م انتخب عضواً فى البرلمان الإقليمى لإقليم السند، وبدأ يعارضها فى قيادة حزب الشعب، ويثير لها بعض المشاكل، كما شكل (حزب الشعب الباكستانى / جناح الشهيد بوتو) حيث كان يعتبر نفسه الأحق بقيادة حزب أبيه، كما أنه كان من أشد المعترضين على زوجها (آصف على زردارى) الذى كان يتهمه بسرقة ووراثة أبيه وحزب الشعب الباكستانى.

وبسبب «مير» انقسمت أسرة «بوتو»، ولما زادت مشاكله قتل فى كراتشى قرب قصر «بى نظير بوتو» Bilawal House فى مواجهة مع البوليس يوم ٢٠ سبتمبر عام ١٩٩٦م، واتهم زوج «بى نظير بوتو» بقتله وبقى فترة طويلة فى السجن بتلك التهمة التى أنكرها دومًا.

اللافت أن «بى نظير» لم تحرك ساكنًا تجاه القضية، ولم تتم إجراءات التحقيق، ولم تصل التحقيقات إلى نتيجة.

ويرى المحللون أن هذا الموقف - سواء كان زوجها شارك فى الجريمة أم تكون الجهة التى قتلته هى الجيش الباكستانى لقيادته منظمة (الذو الفقار) الإرهابية التى

قامت بعمليات عديدة ضد حكومة الجيش فى عهد الجنرال «محمد ضياء الحق» - هو الذى يخدم مصلحة «بى نظير بوتو» لكى لا يدمر مستقبلها السياسى بإغضاب زوجها ساعدها الأيمن، وألا يغضب الجيش الذى لا يمكن حكم باكستان إلا بمباركته.

تدين لتحقيق مصلحة سياسية:

جرص «بوتو» على نقاء صورتها كان يدفعها إلى بذل احتياطات كثيرة فى ظهورها الإعلامى، فلم تظهر أمام وسائل الإعلام إلا بغطاء رأسها المميز، كما انعكس هذا الحذر حتى فى وجودها فى الدول الغربية، حيث لم تظهر أى فضيحة إعلامية لها على الرغم من كثيرة تجولاتها.

كما أنها سعت إلى ظهورها بمظهر المتدينة التى تحترم قناعات المجتمع الباكستانى وتمارسها، مارست ذلك باقتناع أو عدمه وبهدف واحد يتمثل فى لفت انتباه الجمهور إليها، وخاصة الشذج من القرويين، وأمثلة ذلك كثيرة منها حملها الدائم للمسبحة، فما كانت ترى فى المجالس العامة إلا وبيدها المسبحة مغطاة الرأس لابسة الزى الباكستانى الساتر عند تواجدها فى باكستان، وعند تعرضها لوسائل الإعلام العالمية والمحلية، وكذلك التبرك بالمصحف الشريف وتقبيله، وكانت صور ذلك تظهر فى وسائل الإعلام. والذهاب إلى الدراويش وأمرها ببناء بعض المساجد فى فترة حكومتها.

ولما انتقلت من بريطانيا إلى الإمارات العربية المتحدة فى منفاها الأخير سئلت عن سبب ذلك فى مقابلة نشرت فى ذلك الوقت فذكرت إلى جانب الأسباب الأخرى أنها تريد أن يقرأ أولادها القرآن الكريم، وأن ينشأوا فى بيئة محافظة على الدين، وأنها لم تجد ذلك فى لندن، ولذلك انتقلت إلى الإمارات العربية المتحدة.

انتهازية سياسية ومغازلة أميركية:

أما مواقف «بى نظير بوتو» من القضايا المختلفة فكانت تابعة لمصلحتها السياسية أولاً وأخيرًا، ولا أدل على ذلك من مواقفها الأخيرة، فهى تعتقد مثل الساسة الباكستانيين الآخرين أنه لا يمكن الوصول إلى الحكم فى باكستان والاستمرار فيه إلا برضا أميريكا وموافقتها، بل قد قال بعض السياسيين منهم: «من يكون معه ثلاثة (A) سيحكم باكستان ويقصد بذلك Allah و America و Army (الله، أميريكا، والجيش).

ومن هنا كان هم «بوتو» لفت نظر السياسة الأميركية إليها واستمالتها، وإقناع الحكومة الأميركية بأنها تستطيع أن تقوم بما تريده أميريكا بأحسن مما يقوم به الجنرال مشرف، وأمثلة ذلك كثيرة، منها: تأييد الحرب الأمركية على ما تسميه إرهابًا، وأنها تستطيع أن تلعب دورًا مؤثرًا فى ذلك، كما أنها أيدت العملية العسكرية التى قام بها مشرف ضد مدرسة البنات (جامعة حفصة) و (لال مسجد) ولم يؤيدها من السياسيين فى باكستان إلا شخصان أحدهما «بوتو» والآخر «ألطاف حسين» قائد الحركة القومية المتحدة، وحليف مشرف فى الحكم.

كما وافقت على السماح للجيش الأميركى بإجراء عملياته داخل الأراضى الباكستانية إذا توفرت المعلومات الاستخبارية بتواجد أسامة بن لادن فى الأراضى الباكستانية، وقولها إنه يمكن إعادة التحقيق فى قضية الدكتور عبد القدير خان المتهم ببيع الأسرار المتعلقة بالأسلحة النووية.

وبعدما حصلت على الرعاية الأميركية دخلت فى المحادثات مع الجنرال مشرف، لتصل بذلك إلى المشاركة فى الحكم، وهى محادثات ضربت كل الوعود والاتفاقيات

التى كانت قد وقّعت عليها والتى كانت تحظر فـيها التعاون مع العسكر، فقد رأت أن هذه المحادثات والتعاون مع الجيش يسهلان لها مهمة الوصول إلى الحكم، فقد وقّعت من قبل على Charter of Democracy وثيقة الديمقـراطية مع «نواز شريف» فى عام ٢٠٠٦م فى اجتماع بينهما، وكانا قد قـررا فى الوثيقة المذكورة أن ينهيا تدخل الجيش فى السياسة، وأنهـما لن يتعاونا مع الحكومة العسكرية، وأن الحزبين سـيتعاونان على إعادة الديمقراطية عن طريق العمل السياسى.

كما تنازلـت عن أشياء كثيـرة كانت تعتبـرها مبادئ وأصولاً قبـل ذلك مثل إعادة القضاء كما كان قبل تدخل الجنرال مشرف، وإعادة الدستور إلى الحالة التى كان عليها قبل مجىء الجنرال مشرف إلى السلطة.

* * * *

غاندى

الزعيم الروحى للشعب الهندى وقـائد نضاله التحررى ضد الاستـعمار البريطانى، وأحد كبار القادة السـياسيين فى العالم فى القرن العشرين لقبـه شعبه بـ«المهاتما» -Ma hatma التى تعنى «الروح العظيمة».

نشأته ودراسته:

ولد موهـانداس كارمشنـد غاندى Mohandas Karamchand فى تشرين الأول/ أكتـوبر عام ١٨٦٩م فى بلدة بورباندار Porbansar على الساحل الغـربى للهند لأسرة متوسطة الحـال تنتمى إلى طبقة الـ «فيـشيا» Vaishya التى يعمل أفرادها فى التجارة والصناعة، وهى الطبقة الثالثة فى الترتيب الطبـقى الاجتماعى فى الهند، بعد البراهما والكشاتريا. وكلمة غاندى تعنى التـاجر الصغير (أو البقال)، فقـد كانت أسرته تعمل فى التجـارة، ثم ما لبث جـده أن اتجه إلى العـمل السياسى، فـأصبح رئيـسًا لوزراء مقاطعة بورباندار، وتلاه ابنه كارمشند (والد المهاتما) على المنصب نفسه.

فى عام ١٨٧٦ دخل غاندى مدرسة راجكوت الأبـتدائية ، وفى عام ١٨٨١ انتقل إلى المدرسة الثانوية، وتخـرج فيها عام ١٨٨٧. وفى عـام ١٨٨٣، وفى أثناء دراسته الثانوية تزوج غـاندى من كاستـرباى، التى كانت فى سنه، ورزق منها أربعـة أطفال سـافر غـاندى بعد ذلك إلى إنكلـترا لدراسـة الحقـوق، وعاد إلى الهند عـام ١٨٩١ ليـمارس المحـاماة فى بومـبـاى وراجكوت. ولما لم ينجح نجـاحًا يذكـر، سافـر إلى جوهانسبورغ Johannesburg فى جنوب إفريقيـا ليعمل محـاميًا ومدافعًـا عن الجالية

الهندية وجميع الملونين فى جنوب إفريقيا ضد التفرقة العنصرية. فى عام ١٩٠٢ أصدر فى جوهانسبورغ مجلة أسبوعية سماها «الرأى الهندى» Indian Opinion.

نضاله فى سبيل استقلال الهند:

فى عام ١٩١٤ عاد غاندى نهائيًا إلى وطنه، وبدأ كفاحه الوطنى ضد الاستعمار البريطانى فى عام ١٩١٥ أنشأ مؤسسة أشرام Ashram الاجتماعية لمساعدة المنبوذين وإيوائهم وفى عام ١٩١٨ قاد مظاهرة عمال النسيج فى أمدآباد، وقام بأول صيام لإرغام أصحاب المصانع على تسوية أوضاع العمال، وفى العام نفسه، قاد مظاهرة للفلاحين فى مدينة كهيدا Kheda.

فى عام ١٩١٩ شن غاندى حملة واسعة ضد قانون رولات Rowlatt Bills الذى يقيد الحريات المدنية ودعا الشعب إلى التظاهر السلمى وترك اللجوء إلى العنف. وإثر مجزرة امريتسار التى أسفرت عن مقتل ٤٠٠ وجرح أكثر من ٢٠٠٠ من المدنيين الهنود أعلن غاندى عام ١٩٢٠ اعتماد سياسة ساتياغراها Satyagraha أو سياسة اللاعنف فى مقاومة الاحتلال، وحدد غاندى معالم هذه السياسة فى:

- ترك التعاون مع سلطات الاحتلال فى إدارتها واستغلالها للبلاد.
- رفض الألقاب والمناصب التى تخلعها بريطانيا على الهنود.
- مقاطعة شاملة للبضائع البريطانية.
- مقاطعة الخدمة العسكرية وترك دفع الضرائب ومقاطعة المحاكم البريطانية. ودعا غاندى إلى استخدام المغازل اليدوية لتأمين اللباس، وإلى التحكيم الأهلى بدلا من المحاكم البريطانية، كما دعا إلى تعزيز اقتصاد القرية لتأمين الحاجات الضرورية.

في عام ١٩٢٧ أرسلت بريطانيا بعثة برئاسة جون سيمون J . Simin للمفاوضة حول الدستور الهندى الجديد. رفض غاندى الاشتراك فى المفاوضات ودعا إلى مقاطعة البعثة بترك الخروج إلى الشوارع طوال وجودها فى الهند، وبالفعل رجعت البعثة خائبة من دون أى نتيجة.

فى عام ١٩٣٠ نظم غاندى مسيرة كبيرة من مدينة سابرماتى أشرام Sabarmati Ashram حتى مدينة داندى Dandi تحديًا للقانون البريطانى الذى حرم السكان المحليين من إنتاج الملح وحصره بالبريطانيين وفرض ضرائب عالية على بيه. وقد قطعت المسيرة ٢٤٠ ميلاً (نحو ٣٨٠ كم) على الأقدام وانضم إليها مئات الآلاف من سكان القرى والمدن. وقد أدت هذه المسيرة إلى : انتشار اليقظة السياسة الوطنية فى الهند عامة، وانضمام الفلاحين والنساء إلى الحركة الوطنية.

وفى العام نفسه دعى غاندى مع عدد من قادة حزب المؤتمر إلى لندن للمشاركة فى مؤتمر مائدة مستديرة لوضع دستور جديد للهند، وعندما لمس مراوغة الجانب البريطانى فى المفاوضات قاطعها، وقفل راجعًا إلى الهند ليتابع كفاحه.

وفى سنة ١٩٣٣ أصدر غاندى أسبوعية باسم «هاريجان» Harijan (أبناء الله) بدلاً من مجلة «يونغ انديا» Yoing India (الهند الفتية). وفى العام نفسه صام ثلاثة أسابيع احتجاجًا على النبذ وترك اللمس الموجه ضد أفراد الطبقات الدنيا فى المجتمع الهندى، ثم قام بجولة فى أنحاء الهند دامت عشرة أشهر كرسها لوضع حد للنبذ وترك اللمس الموجه إلى أفراد الطبقات الدنيا فى جميع ولايات الهند، فعرضه ذلك لمضايقات المتعصبين ومحاولات اغتيال عدة.

وفى أكتوبر ١٩٣٠ قاد غاندى حركة عصيان ومظاهرات على أثر عدّ الهند فى حال حرب ضد بلدان المحور، انتهت باعتقال آلاف المتظاهرين. وفى سنة ١٩٤٢

وصل الصراع مع الحكم الأجنبى إلى ذروته، ونظم حزب المؤتمر حركة تدعو البريطانيين إلى ترك الهند، وأطلق غاندى جملته الشهيرة «اتركوا الهند وأنتم أسياد»، فعمدت السلطات البريطانية إلى اعتقال غاندى مع عدد من زعماء المؤتمر، وما إن علمت جماهير الشعب الهندى بالاعتقال حتى خرجت مظاهرات صاخبة فى جميع أنحاء الهند احتجاجًا واستنكارًا، قابلتها السلطات البريطانية بحملة قمع دموية ذهب ضحيتها عدد كبير من الهنود وفى مايو سنة ١٩٤٤ أطلق سراح غاندى بعد أن تدهورت صحته.

فى عام ١٩٤٦ جرت مفاوضات بين الحكومة العمالية البريطانية وقادة حزب المؤتمر حول استقلال الهند، وفى هذه الأثناء اندلعت فى البلاد اضطرابات طائفية طالب المسلمون فى أثنائها بإقامة دولة إسلامية مستقلة فى باكستان. ولم تفلح جهود غاندى فى إقناع محمد على جناح بالعدول عن هذا المشروع بالوقت الذى استطاع فيه نائب الملك فى الهند إقناع قادة حزب المؤتمر بالموافقة على مطلب المسلمين.

وقسمت الهند إلى دولتين مستقلتين: الهند وباكستان. ولكن غاندى أصر على رفض التقسيم ورفض المشاركة فى احتفالات الاستقلال. وانسحب من ميدان العمل السياسى وانصرف إلى عباداته. وفى الثلاثين من كانون الثانى، بينما كان متوجهًا إلى الصلاة أطلق عليه النار هندوسى متعصب وأرداه قتيلاً بدعوى أنه فتت تماسك الهند ووحدتها بمساندته الأديان والطوائف الأخرى.

ثقافته وأفكاره:

اطلع غاندى بعمق على الفلسفة الهندية القديمة وعلى الديانة البوذية. كما اطلع على الإنجيل، ولا سيما العهد الجديد. وقرأ ترجمة إنكليزية لمعانى القرآن الكريم. وتعرف مؤلفات الكاتب الروسى تولستوى. وقرأ رأس المال لماركس وعددًا من

مؤلفات لينين. كما اطلع على كتابات الأمريكي هنرى ثورو الذى اشتهر بمعارضته للحرب الأمريكية على المكسيك ، ودعوته إلى العيش فى الطبيعة بأقل قدر من الاستهلاك.

وقد شرح غاندى فلسفته وآراءه فى كتابه المعروف بـ «قصة تجاربى مع الحقيقة» ويبرز فى فلسفته مبدآن أساسيان:

- ساتياغراها وهى كلمة سنسكريتية تعنى التمسك بالحق بقوة.

- أهيمسا Ahimsa ومعناها اللاعنف الإيجابى، وهى الفضيلة المثلى.

وعن ذلك يقول : «اللاعنف و أعظم القوى فى خدمة الجنس البشرى وأقوى سلاح ابتدعته عبقرية الإنسان». وعد اللاعنف هو التحرر من الخوف والسعى إلى العدالة.

منذ دعا غاندى إلى المساواة فى توزيع الحاجات المادية عن طريق وضع وسائل الإنتاج تحت سيطرة الشعوب.

وكان يدعو إلى الديمقراطية التى تعنى فى رأيه النظام الذى تتوافر فيه لأضعف الناس الفرص نفسها، التى تتوافر لغيره من الأقوياء.

رأيه فى الدين:

عد غاندى الدين ضروريًا للإنسان، لأنه يوفر له الطمأنينة الروحية. وجوهر الأديان واحد وجميعها يحتوى على عناصر من الحقيقة المطلقة. وأبدى إعجابه بالإسلام لأنه يدعو إلى التسامح والسلام والعدالة الاجتماعية.

ناضل غاندى من أجل تحرير المرأة ومساواتها بالرجل. كما عمل من أجل إلغاء طبقة المنبوذين وإلغاء الامتيازات الطبقية.

أحمد عرابى باشا

طابط فى الجيش المصرى، زعيم ثورة عسكرية سـميت باسمه، ولد فى قرية هِرِّية رَزَنَة على بعد ميلين شرقى الزقازيق عام ١٨٤١م وكانت عشيرته تؤلف ربع سكانها، وكان والده عالمًا فاضلا تقيًا ، شيخًا على القرية وملاكًا كبيرًا.

تلقى عرابى على والده مبـادئ القراءة والكتابة، ثم أرسله عندما بلغ الخـامسة من عمـره إلى مكتب إلى جانب الأزهر، مكث فيـه فترة استظـهر فيهـا القرآن الكريم، وتلقى دروس اللغة والفـقه والتفسـير، وفى عام ١٨٥٤ التـحق بالعسكرية ورقى إلى رتبة ضابط سنة ١٨٥٨، وتدرج فى الرتب العسكرية حتى رتبـة قائم مقام (عقيد) فى نهاية سنة ١٨٦٠ ، وبقى عرابى برتبـته الأخيرة حتى عام ١٨٧٩ عندمـا رقاه الخديوى توفيق إلى رتبة أميرلاى.

فى أيلول ١٨٧٩ كلف مصطفى رياض بـاشا بتشكيل الوزارة بعد أن قـدم شريف باشا استقـالته لرفض الخديوى توفيق اقتراحاته بإصدار الدسـتور وإشراف نواب الأمة على سير الأمور، مدعيًا أن قنصلى إنكلترا وفرنسا لم يوافقا على إصدار الدستور.

إن استـبدال وزارة موالية لإنكـلترا بالوزارة الوطنية، وضـعف شخصيـة الخديوى توفـيق، وأعمـال الوزارة نفـسهـا التى اسـتهـلت عهـدها بقـمع الحريات وإغـلاق الصحف،وفرض الرقـابة على الصحف، وبيعهـا حصة مصر من أرباح الـقناة البالغة ١٥٪ بمبلغ بخس جدًا (٧٠٠٠٠ جنيـه) وتخصيصـها نصف موارد الميزانيـة لسداد فوائد الديون، وإصدار مرسوم تعديل القـرعة العسكرية فى تموز ١٨٨٠ الذى قصر به الترقى إلى رتبة ضابط على خريجى المـدارس الحربية، ومنع ترقى الجنود إلى ضباط،

أبعد بعض الضباط الوطنيين أو خفضت درجتهم، ووضع ضباط شراكسة مكانهم، ذلك كله أدى إلى إثارة سخط المدنيين والعسكريين، وقرر عرابى وأصحابه تنظيم صفوفهم منشئين الحزب العسكرى الوطنى تحت شعار (مصر للمصريين)، وبايع الضباط الوطنيون عرابى ليكون زعيمًا لهم وتكلمًا بلسانهم، فكتب عريضة بمطالبهم فى عزل عثمان رفقى وزير الجهادية والبحرية، وتشكيل مجلس نواب، وتعديل القوانين العسكرية فى العدل والمساواة، وزيادة عدد الجيش إلى ١٨ ألفا، وقدمت العريضة فى يناير ١٨٨١ إلى رياض باشا رئيس الوزارة، وبعد جدل حاد وعدهم بالنظر فى المطالب، لكنه أعطى الأوامر فى الوقت نفسه باعتقال كل من وقع العريضة وهم عرابى وعبد العال حلمى وعلى فهمى، ولكن البكباشى (المقدم) محمد عبيد الذى كان يرابط فى قشلاق عابدين مؤلفًا الحرس الخديوى، استنفر جنوده واقتحم ديوان قصر النيل فى أول شباط ١٨٨١، ففر الضباط الشراكسة ومعهم عثمان رفقى، وأطلق سراح الضباط لثلاثة، ثم ساروا على رأس مظاهرة عسكرية إلى ميدان عابدين وأجيبت مطالبهم، ونقل عرابى إلى القاهرة وكيلاً لوزارة الحربية، ورفع عدد الجيش، وافتتح مجلس النواب بانتخابات ديمقراطية وقدم الدستور الجديد للمجلس، لكن الإصلاح والاستقرار أزعجا إنكلترا وفرنسا فطلبا من شريف باشا رئيس الوزارة بعد استقالة وزارة مصطفى رياض باشا ألا يخول مجلس النواب حق تقرير الميزانية، ووافق شريف باشا على تأجيل النظر بالميزانية، لكن المجلس رفض ذلك، وحصل انقسام، وتدخل الخديوى، واستقالت الوزارة، وشكلت وزارة جديدة فى فبراير ١٨٨٢ برئاسة محمود سامى البارودى، وكلف عرابى وزارة الحربية والبحرية، وتعد هذه الوزارة انتصارًا للحزب العسكرى الوطنى، لأن عرابى أصبح الحاكم المطلق فى شئون الجيش.

حيتـما أبعد المجلس العسكرى - وبموافـقة عرابى - كثـيرًا من الضباط الشـراكسة والأتراك، انزعج الخديوى من ذلك، فـقررت الوزارة دعوة مـجلس النواب إلى النظر فى الخـلاف، وانطلقت الشائعـات بأن البارودى يرغب فى عـزل الخديون وتنصـيب نسـفه، فـاستـعـان الخديوى بقنـصلى إنكلترا وفـرنسـا. وفى أيار وصل الأسطولان الإنكليزى والفـرنسى إلى مياه الإسكندرية بحجـة حماية الرعايا الأجـانب، ووجهوا مذكرة إلى الخديوى توفيق بإقالة وزارة البـارودى، وإبعاد عرابى وبعض رفاقه لضرب الحركة الوطنية. استـقال البارودى احتجاجًا على قبـول الخديوى استلام المذكرة. لكن الخديوى أبقى عـرابى مسـؤولاً عن وزارة الحربية تحت ضـغط عدد من النواب وكـبار الشخصيـات والضباط ليطمئن الناس بالأمن ولحماية البلد، وأخبـر السلطان العثمانى بالحال الحرجة فأرسل وفدًا برئاسة مصطفى درويش إلى مصر.

رفض عرابى الإندار الإنـكليزى بإيقاف تحـصين الإسكندرية وعندمـا اتضح هدف إنكلتر فى احتلال مـصر، سحبت فرنسا أسطولهـا ، ودعت إلى عقد مؤتمر دولى فى الأستانة للنظر فى أحوال مصر، لكن من دون جدوى.

قصف الإنكلـيز الإسكندرية ، ثم قامـوا باحتـلالها، ولكن بعد مـقاومـة بطولية انسحـبت القوات المصـرية، وصمـدت فى كفر الدوار «جنوب الإسكـندرية» وصدت القوات الإنكليزية فأعلن الخـديوى توفيق الذى كان وبعض الموالين له فى الإسكندرية تحت حماية الأسطول الإنكليزى عزل عرابى ليضـعف موقفه ومركزه ، بيد أن عرابى تابع قيادته معلنا خيانة الخديوى.

اتجه الإنكليز إلى الإسـماعلية عبر قناة السويس، ثم برًا نحـو القاهرة، وجرت فى ١٨٨٣/٩/٣ معركة التل الكبير بين الإسماعيلية والقاهرة، غير المتكافئة وتراجع على

أثرها عرابى وقواته إلى القاهرة، حيث لاحقتهم القوات الإنكليزية ودخلتها فى ١٤/ ٩ / ١٨٨٢.

اعتقل زعماء الثورة وعلى رأسهم عرابى، ومن زملائه عبد العال حلمى ومحمود سامى البارودى وعلى فهمى الديب وغيرهم، وحوكموا أمام محكمة عسكرية مصرية فى ديسمبر ١٨٨٢ بتهمة عصيان الخديوى وحكم عليهم بالإعدام، ثم استبدل بالنفى المؤبد، وصدر أمر فى ديسمبر ١٨٨٢ بمصادرة أملاكهم وأموالهم وحرمانهم من حق الامتلاك فى مصر، وجردوا من رتبهم وألقابهم وعلامات الشرف، التى كانوا حائزين عليها فى ٢٨/ ١٢/ ١٨٨١ نفى الجميع إلى جزيرة سيلان فى الهند وفى ٢٥/ ٥/ ١٩٠١ صدر عفو الخديوى عباس الثانى (١٨٩٣ - ١٩١٤م) عن عرابى، وعاد إلى مصر وبقى فيها حتى وفاته.

* * * *

سعد زغلول

سعد بن إبراهيم زغلول زعيم الثورة الوطنيـة فى مصر عام ١٩١٩م. ولد فى قرية «إبيانة» محافظة كفر الشيخ، شمـالى الدلتا عام ١٨٥٧م وهو أحد ثمانية أخوة، توفى أبوه وهو فى الخامسة . حفظ القرآن الكريم ومـبادئ الحساب فى كتاب القرية، دخل الأزهر سنة ١٨٧٣م فـمكث فـيه نحـو أربع سنوات، واتصل بالسـيـد جمـال الدين الأفغانى فـلازمه مدة، ثم اتصل بالشـيخ محمد عـبده وعمل معه فى تحـرير جريدة «الوقائع» الرسمية آنذاك وفى سنة ١٨٨٢م عين فى نظارة «وزارة» الداخلية وعمل فيها بصفة معاون، ثم ناظرًا لقلم القضايا بمديرية الجيـزة، كان من أشد المعارضيم للسياسة البريطانية فى مصـر، فشارك منذ بداية أمره فى أحداث الثورة العـرابية، وقبض عليه وحوكم بتـهمة مناهضة الحكومـة والمشاركة فى جـمعية سـرية تعرف باسم «جمعـية الانتقام» وزج به فـى السجن عدة أشهر، ثم أخلـى سبيله بعد ثبوت بـراءته. اشتغل بالمحاماة فكان مثلا أعلـى للمشتغلين بها، وواتته الظروف فالتحق بالقـضاء وقتها ولم يأنف أن يعود إلى التلمـذة من جديد، وجهـد نفسه فى تعلم الفـرنسية ليتـوجه إلى باريس وينال من جامعتها إجازة الحقوق، فصار وكيلاً ثم مستشارًا بمحكمة الاستئناف المصرية. ومع مطلع القـرن العشرين نبه ذكـره من خلال خطبه الشهـيرة، وتزوج من صفية ابنة رئيس الوزراء مصطفى فهمى باشا، وفى سنة ١٩٠٦ استغل حادثة دنشواى ليندد مع غيره مـن أحرار مصر بالسيـاسة البريطانية وأساليبها الخادعـة والهادفة إلى تثبيت وجودها الإستعمارى فى مصر. وحين تأليف الحكومة برئاسة بطرس غالى عهد

إليه يمنصب ناظر المعارف العـمومية ، فأمر بإنشـاء الجامعة المصرية ومدرسـة القضا الشرعى، واستن تعلـيمات جـديدة اشتملت على ترقـية المصريين لمـراتب أعلى كانو محـرومين منها، وفى سنة ١٩١٠م عـين وزيراً للحقانيـة (العدل) فى وزارة محـم سعيد، وتفاقمت خلافاته مع البريطانيـين ومعهم الخديوى عباس حلمى، فاستقال مر منصبـه سنة ١٩١٢. وفى العام التالى أعلن عن تأليف الجـمعية التـشريعية فـانتخب عضواً فـيها، ثم وكيلاً منتـخبًا من قبل أعضـائها، وكان له فيهـا من المواقف الوطني مانبه الأمة إلى حقها فى الحرية والحياة الكريمة.

تبنت الجمـعية دعـوته إلى الديمقراطيـة لمواجهة الحكم الفـردى المستبـد والحد مز طغيان سلطة الخـديوى غير أن أعمال الجمـعية تعطلت بسبب أحداث الحـرب العالمي الأولى وتطبيق الأحكام العـرفية فى مـصر، بعد أن أعلنت بريطانيـا فرض حمايتـه عليها.

بدأت المرحلة النضالية فى حياة سعد بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، حينما وجد أن مصـر لم تنل ثمرة جـهادها فى ضـوء مبادئ ويلسـون، وانطلق قلمه فى الـكتابة ولسانه فى الخطابة، ليثـير حمية الأمـة للمطالبة باستقلال مـصر، وحق المصريين فى تقرير المصير وجلاء الجيوش الأجنبية عن أراضيها.

لاقت هذه الأهداف تأييداً مطلقًا مـن جانب الجماهير ، مما جعل سـعداً يدعو إلى تأليف وفد لمقابـلة المقيم البريطانى فى مصر الـسير وينغنت Sir Waunegent وتشكل الوفد برئاسته ، بعد أن انضم إليه عدد من الوطنيين - وغالـبيتهم من أعضاء الجمعية التشريعـية - وطلبوا من المقيم البريطانى السمـاح لهم بالذهاب إلى مؤتمر الصلح فى باريس ، لشرح وجـهة النظر المصـرية وحق المصريين الطبـيعى فى الاستـقلال ونيل

الحرية، بيد أن المقيم البريطانى رفض مطلبهم، وأوعز إلى قائد القوات البريطانية فى مصر الجنرال ويلسون Wrlson بإلقاء القبض عليهم وإرسالهم إلى جزيرة مالطا. وكان ذلك الوفد نواة الحزب الذى عرف بهذا الاسم «الوفد».

كان خبر اعتقال سعد وزملائه الشرارة التى أوقدت نار الثورة عام ١٩١٩، فقد هب المصريون بجميع طبقاتهم وطوائفهم مطالبين بالإفراج عن المعتقلين، وانتقلت الثورة من القاهرة لتشمل جميع مدن مصر، ونتج من المصادمات الدامية مع جيش الإحتلال مقتل وجرح عدد كبير من الأهالى الذين انتظم عدد كبير منهم فى مجموعات قامت بحرق لمحطات وتخريب سكك الحديد وقطع أسلاك الهاتف، مما دفع الحكومة البريطانية إلى عزل الجنرال ويلسون وتعيين الجنرال اللنبى E . D . Allenby الذى قام ببعض الإجراءات الصارمة، وأمر فى الوقت نفسه، بعودة سعد ورفاقه من المنفى، وسمح لهم تحت الضغط الشعبى، بالسفر إلى باريس فى أثناء انعقاد مؤتمر الصلح، وفى المؤتمر كان سعد متشددًا فى مطالبه رافضًا قرار المؤتمر الذى أقر الاعتراف بالحماية البريطانية على مصر، وعاد بوفده إلى مصر لقيادة الثورة، الأمر الذى ألجأ البريطانيين إلى أصدار تصريح ٢٢ فبراير ١٩٢٢ بعد أن عجزوا عن استمالته وحزبه، وجرى التمهيد بعدها لاعتقاله مرة ثانية ونفيه مع خمسه من زملائه إلى جزيرة سيشل فى المحيط الهندى، ثم إلى جبل طارق، وظل فى منفاه حتى عام ١٩٢٣م، حين أفرج عنه وعاد إلى مصر، فى الوقت الذى صدر فيه دستور عام ١٩٢٣م الذى قيد سلطات الملك أحمد فؤاد وحد من تجاوزاته، وبموجب هذا الدستور، شارك سعد فى الانتخابات البرلمانية واكتسب حزبه «الوفد» الأكثرية الساحقة، الأمر الذى أهله لتشكيل الحكومة المصرية، وبسبب مواقف الملك الرامية إلى

تعطيل الدستور أو إلغائه، والضغوط البريطـانية التى تعرضت لها الحكومة فى أعقاب اغتيال السردار «لى ستاك باشـا» استقال من منصبه سنة ١٩٢٤م وحل مجلس النواب من جديد، وفى العام التـالى ائتلف سعد مع قادة حزب الأحـرار الدستوريين، وهم ممن انشقوا عن حزب الوفـد، ضد الملك وأعوانه فأعيد انتخابه مـجددًا رئيسًا لمجلس النواب الائتلافى، واستمر فى منصبه حتـى وافته المنية، ومنذ ذلك التاريخ تحول اسمه إلى رمز من رموز النهضـة القومية فى مصر، وأقيم له ضـريح على الطراز الفرعونى يضم رفـاته ورفات زوجـته، وتحـول منزله الذى كـان يعرف باسم «بيت الأمـة» إلى متحف قومى.

* * * *

سوى ون تى

إنه الإمبـراطور الصينى سوى ون تى الذى نجـح فى توحيد الصـين بعد أن تمزقت عدة قـرون. أما الصين التى وحدهـا فقد ظلت كذلك مـئات السنين حتى أصـبحت أقوى دولة فى آسيا كلها. وكان من نتيجة ذلك أن سكان الصين الذين يعادلون خمس سكان العالم، لم يتعرضوا كثيـرًا لويلات الحروب. كما تعرض سكان أوروبا والشرق الأوسط. وقد ولد هذا الإمبراطور فى سنة ٥٤١ من أسرة غنيـة وتولى قيادة الجيوش وهو فى الرابعة عـشرة من عمره. وكـان على درجة عاليـة من الكفاءة ولذلك ترقى بسرعة فى المناصب العسكرية. وفى ستة ٥٧٣ تزوجت أخته ولى العهد. وبعد خمس سنوات توفى الإمبراطور . وأصـبح ولى العهد إمبراطور غيـر أن هذا الإمبراطور كان متـخلفًا فى قـواه العقلية ممـا أدى إلى صراعات عـديدة فى البلاط وحـول العرش. واستطاع سون ون تـى أن يفوز فى هذا الصراع وأن يكون الإمبـراطور الجديد، وكان وقتهـا فى الأربعين من عمره. ولم يشعـر هذا الإمبراطور الجديد بالسـعادة لأنه كان فقـط إمبراطـورًا على شمـال الصين. ولذلك حـشد قـواته لكى يغذو بقـية الصـين ويخضـعها له. وجـاء الفوز سريعًـا فى سنة ٥٨٨ وسرعان مـا نجح . وبذلك أصبح إمبراطورًا لعموم الصين. وبسرعة أقام عاصمة للصين الموحدة، وشق قناة كبرى تربط بين أنهار الصـين. ولم تكتمل هذه القناة إلا فى عصر ابنه الذى خلفـه على العرش. ومن أهم آثار هذا الملك أنه جعل اختـيار موظفى الحكومة بالامتـحان. وقد أدى ذلك إلى اختيار أفـضل العناصر فى الصين كلها كما أنه ابتـدع نظامًا يحرم على الحاكم أن

يكون من أبناء نفس الإقليم، تفـاديًا لمحاباة أقاربه ومحـاسبيه وحـتى لا تكون لحاكم الإقليم أية عصـبة تمكنه من ظلم الناس أو الانفـراد بالسلطة والانفصـال عن الحكومة المركزية. وكان هذا الإمبراطور شديد الحرص ولذلك تفادى الأبهة، وفى نفس الوقت خفف الأعباء الضريبية على الشعب.

كما كانت سياسته الخارجـية ناجحة تمامًا. وعلى الرغم من أنه كان إمبراطورًا قويًا فقد كـان يخشى الناس ويسىء الظن بهم. وقد كان لزوجـته دور كبيـر فى مساندته. فقد كانت سيدة قوية متسلـطة. ثم توفى فى الثالثة والستين من عمره. ويقال إن ابنه هو الذى دس له السم، وكان هذا الابن من أحـب الناس إلى أبيه! أما ما هى أهمـية هذا الإمبـراطور؟ فهذه الأهمـية تظهر لنا بوضـوح إذا نحن قارنا بينه وبين إمـبراطور أوروبى عظيم هو شرلمان. هناك تـشابه كبيـر بين الرجلين. فشارلمان بعـد ثلاثة قرون من سقوط روما استطاع أن يوحد أوروبا الغربية. وكذلك فعل هذا الإمبراطور الصينى الذى وحد الصـين بعد سـقوط إمبـراطورية هان، ولكن شارلمان أشـهر الإباطرة فى الغرب. ويعد سوى ون اتى أقواهم أثرًا وأبعدهم نفوذا. فقد استطاع أن يوحد الصين كلها بينما لم يفلح شارلمان أن يوحد أوروبا الغربية وإنجلترا وأسبانيا وإيطاليا.

ثم إن وحـدة الصين عـاشت طويلا، بينما وحـدة أوروبا لم تدم طويلا بعـد وفاة شارلمان. كما أن النهضة الثقافية قد عاشت طويلا فى الصين، بينما النهضة فى أوروبا لم تعش طويلاً بعد شارلمان.

فهذا الإمبراطور الصينى كان له أعـمق الأثر مدنيًا وعسكريًا وحضاريًا على الصين ولمئات السنين.

عبد الحميد الثانى

آخر السلاطين العثمانيين الأقوياء والذى هاجمته وسائل الإعلام والسياسة الغربية، والبريطانية بالذات سمى بـ (السلطان الأحــمر) بسبب مذابح الأرمن. جاء إلى الحكم والدولة العثمانية فى أسوأ أحوالها والفســاد ضارب فى أجهزتها والمطامع الاستعمارية تحيط بها. ورغم الدعاية الغربية ضده فى حـياته وبعد مماته، فإنه يحسب له أنه خسر عرشه ثمنًا (لفلسطين) التى رفض التنازل عنها والسماح بالهجرة اليهودية إليها بعد أن عرض عليه آنذاك (١٥٠) مليون ليرة إنجليزية ذهبًا، رغم ضائقة تركيا المالية.

وقد تم تنصـيبه فى حــفل أسطورى حضره سفــراء الدول الكبرى روسيــا وإنجلترا وفــرنسا، ولم يكن لأمــريكا سـفيـر بعد فكان ممثلهــا يقف إلى جــانب ممثلى الدول الصغـيرة. وفى الحـفل ، قلده زعيـم الدراويش المولوية السيف الملكى، وهى الـعادة المتوارثة التى ألغاها أتـاتورك فيما بعد. وأهم مـا فى حكم عبد الحميـد الثانى تصديه للهجرة اليهودية إلى فلسطين.

وهو ما لا تذكره المصادر الغربية: فقــد أصدر قوانين للبلاد عام ١٨٨٢ لا تسمح لليهود بدخول فلسطين إلا للحج، وفى عام ١٨٨٧ جعل القدس، سنجق مستقلاً عن ولاية دمشق، ومـتصلا بـالباب العالى مـباشرة حـتى يمكنه السيطره عليـه ومنه بيع فلسطين، وحــين اعترض سـفراء الدول الكبـرى، أوقف هجرة اليــهود الروس الذين كانوا يتوافدون إلى فلسطين هربًا من اضطهاد القـياصرة لهم، ثم منع اليهود الحاملين لجنسيات رومــانية وبلغارية من دخول القــدس عام ١٨٩٨ وولى على القدس «رءوف

باشا» الذى كان يطارد اليهود الذين كانوا يتحايلون على القانون الصادر عام ١٨٩٩، والذى يقضى بتحديد إقامة الحج لليهود بثلاثة شهور فقط، واستبدل جواز سفرهم الدائم بجواز (أحمر) مؤقت ودفع (٥٠) ليرة تركية كتأمين لضمان مغادراتهم، واحتج سفير أمريكا الجديد وسفير إنجلترا بقوة !

واضطر عبد الحميد لمقابلة الصهيونى (تيودور هيرتسل) فى ١٧ مايو عام ١٩٠١، بعد محاولات فاشلة وإيفاد وسطاء لإقناعه بفتح باب الهجرة بعد إعلان الحركة الصهيونية رسميًا عام ١٨٩٧.

واقترح هيرتسل تعويض السلطان ماديًا بالليرات الذهبية الـ (١٥٠) مليونًا! ورد السلطان بأنه لا يستطيع (بيع) فلسطين لأنه لا يمتلكها!

وقال إنه إذا قسمت الإمبراطورية سيحصلون على ما يريدون ولكن على (جثتنا)!!

وأجبر بعدها السلطان على التخلى عن العريش عام ١٩٠٨.. ونفى إلى سالونيك باليونان!! وتدفق اليهود على فلسطين بعد قيام الجمهورية التركية ونجاح حركة (تركيا الفتاة) التى كانت تحاربه، وساندتها الماسونية والصهيونية!!

عاش السلطان بين عامى ١٨٤٢ و ١٩١٨م!

* * * *

عبد القادر الجزائرى

شريف ومناضل وعالم وفقيه جزائرى. من أحفاد الأدراسة، وعلى رأسهم إدريس الأصغـر الذى شيد مدينة فـاس بالمغرب والذين استـمر حكمهم قـرنين من الزمان، وكانوا يملكون مزرعة القيطنه فى وادى الحمام، وهى مسقط رأس (الأمير) عبد القادر الجزائرى!

وهناك تمت مبايعة والده محى الدين، الذى رفضها وسلمها لابنه فى عام ١٨٣٢، فأسس دولة إسـلامية، بهـا مؤسسـات وجيش نظامى وكان يسـيطر على ثلث القطر الجزائرى حـتى عام ١٨٤٣ ولقب باسم (أمير المؤمـنين ناصر الدين) لأنه رفض لقب (ملك)!.

والأميـر عبد القادر ثائر، عـرض عليه الفرنسـيون المستعـمرون لقب (نائب ملك فرنسا) ورفضه، فقد كان (سلطانًا) بمبايعة شعبية من جميع القبائل الكثيرة، حتى التى تمردت عليه سابقًا.

قاتل الأمـير عبـد القادر لمدة (١٧) عـامًا منذ توليه الحـكم حتى (١٨٤٧) وأوقف القتـال بهدنة. بمعاهدتى «دى هيـشيل» و «تافنه» وقـرر الهجرة، حـين اضطر لفتح جبهـة جديدة مع جيرانه، فرفض سـفك دماء العرب، وغدرت به فـرنسا أثناء طريقه إلى عكا أو الإسكندرية بعد تـعهدها بسلامـته، وتم اختطافـه للتفاوض معـه وإغرائه بتملك أراضى وقصـور فى فرنسا، ورفض.. وطلب الهجـرة إلى دمشق التى كانت جزءًا من السلطنة العثمـانية آنذاك فعاش فيها حرًا مع عائلتـه، بعد أن قدم له نابليون

الثالث صك الإفـراج عنه عام ١٨٥٣ ، معتـذرًا عن غدر الحكومة السـابقة، على ألا يعود إلى الجزائر، مع الوعد بألا يتم التنكيل بأعوانه وباقى قبيلته!.

واستقـبل فى دمشق كالأبطال عام ١٨٥٥ ، وتابع جـهاده بالكتابة، وحضر افـتتاح قناة السويس بدعوة من الخديوى عام ١٨٦٩ .

ودافع عن المسيحيين فى دمشق حتى مات فيها عام ١٨٨٣ عن (٧٥) عامًا.

* * * *

عبد الكريم قاسم

عبد الكريم قاسم (١٩١٤ - ١٩٦٣م) رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع فى العراق من ١٩٥٨/٧/١٤ إلى ٩/ ١٩٦٣/٢ حيث أصبح أول حاكم عراقى بعد الحكم الملكى كان عضواً فى تنظيم الضباط الوطنيين «أو الأمراء» وقد رشح عام ١٩٥٧ رئيسًا للجنة العليا للتنظيم الذى أسسه العميد رفعت الحاج سرى الدين عام ١٩٤٩ . ساهم مع قادة التنظيم بالتخطيط لحركة ١٩٥٨/٧/١٤ التى قام بتنفيذها زميله فى التنظيم عبد السلام محمد عارف والتى أنهت الحكم الملكى وأعلنت قيام الجمهورية العراقية. هو عسكرى عراقى عرف بوطنيته وحبه للطبقات الفقيرة التى كان ينتمى لها ومن أكثر الشخصيات التى حكمت العراق إثارة للجدل حيث عرف بعدم فسحه المجال للآخرين بالإسهام معه بالحكم واتهم من قبل خصومه السياسيين بالتفرد بالحكم حيث كان يسميه المقربون منه فى وسائل الإعلام الزعيم الوحيد لم يكن فى حكومة قاسم أى ممثل أو وزير مسيحى إن كان من الكلدان أو السريان أو الآشوريين أو الأرمن لكن تعلق هذا الرجل بالهوية العراقية ودفع مكانتها الجلية على ما سواها من الانتماءات كانت تشعر الأقليات بأن حقوقها مصانة لا خوف عليها ولهذا كانت الصيغة العمومية للشعب هى الإخلاص والذود عن الحكم الجمهورى، فى الحقيقة تعزز دور الجيش بعد القضاء علٰى الملكية فتزايد دوره فى مجريات الحياة فكان من وظائفه الرئيسية أيضًا مهمة تدبير الانقلاب وقمع الانتفاضات والتمردات القومية والدينيه والاجتماعية مثبتًا قوته وتفوقه الساحق، وفى مسلسل الوصول إلى

القصر الجمهورى سلك البعثيون ومؤازرة الضباط ذوى الميول القومية وقوى قومية أخرى شتى الطرق لقد كانت محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم واحدة منها.

أكتوير ١٩٥٩م انهال على سيارة «قاسم» فى منطقة رأس القرية وابل من نار الرشاشات أثناء مررها فى شارع الرشيد فى طريقها من وزارة الدفاع إلى حفل الاستقبال فى دار البعثة الدبلوماسية لألمانيا الشرقية فى الباب الشرقى قتل السائق وإصيب عبد الكريم قاسم فى كتفه الأيسر اشترك فى هذه المحاولة ستة أشخاص وهم أياد سعيد ثابت وخالد على الصالح وأحمد طه العزوز وسليم عيسى الزبيق وعبد الحميد مرعى وسمير عزيز النجم وعبد الوهاب الغريرى أما الأعضاء المساندين لهم هم كل من صدام حسين التكريتى وعبد الكريم الشيخلى وحاتم العزاوى وقد أصيب الأولان بجروح واستطاعا الهروب إلى سوريا. حينما فشلت هذه المحاولة بالتخلص من قاسم بدأوا وبنسج خيوط محاولة انقلابية أوسع وأشمل.

كان الاتفاق على صباح يوم الجمعة ١٤ رمضان الموافق ٨ فبراير يوم تنفيذ الانقلاب باعتبار أن الجمعة هو يوم وجود الضباط فى الأجازات وهو يوم الاستراحة وتكون الشوارع خالية أو قليلة المرور.

فى حدود الساعة الثامنة من هذا اليوم وصل عبد السلام عارف إلى كتيبة الدبابات فى أبو غريب وانضم إلى العقيد أحمد حسن البكر واستقل كلاهما دبابة وضعها تحت تصرفهما آمر الكتيبة خالد مكى الهاشمى فعادت بهما إلى بغداد وتوجها إلى دار الأذاعة وكان ضباط من حرس الإذاعة مشاركين بالمؤامرة فسيطروا على الإذاعة وأبنيتها وأجهزتها الإذاعية. فى الساعة الثامنة والنصف صباحًا اغتيل قائد القوة الجوية جلال الأوقاتى حسب الخطة وهذه اللحظة اعتبرت ساعة الصفر وفى هذه الأثناء قصفت

مدرجـات معسكر الرشـيد لمنع الطيارين الموالين لـعبد الكريم قـاسم من الطيران فى الساعة ٩,٤٠ ق أذيع (بيان رقم١) الصادر من المجلس الـوطنى لقيادة الثورة بكلمات مفادها: قضى على «الطاغية» و «الخـائن المجرم» عبد الكريم قاسم فى وزارة الدفاع، وكان هذا ادعاء مخالفًا للحقيقة إذ أن عـبد الكريم قاسم فى هذه الدقيقة كان فى بيته وخرج يشق طريقه وسط الحشود عبر شارع الرشـيد وكانت الحشود التى كانت تطالبه بالسلاح وتنشـد بإيقاع واحد «لازعيم إلا كريم» ونجح فـى الوصول إلى وزارة الدفاع فى العاشرة والنصف صـباحًا ورفض الزعيم حتى اللحظة الأخـيرة من تسليم السلاح للمدافعين عنه من الجماهير المحتشدة.

فى ١١,٣٠ كـانت دبابات الانقلابين تطـوق وزارة الدفاع المتـحصنة وكـانت هذه الدبابات بدأت تحصد بحشود المدافعين والتى دعـاها الحزب الشيوعى للدفاع عن قيادة عبد الكريم قاسـم. وفى ٣ بعد الظهر بدأت معركة قاسـم من مقره فى وزارة الدفاع وفى هذه الأثناء أسقطت إحدى الطائرات المغيرة على تحـصينات عبد الكريم قاسم فى وزارة الدفاع وفى الساعـة ٥,٣٠ أعلن العقيد نصـرت فى إعادة استبـاقى أن المقاومة توقفت لكن المعركة كانت مستمرة إلى اليوم التالى حيث تدهورت الأمور واتصل عبد الكريم قاسم بعـبد السلام عارف فى مـبنى الإذاعة عن طريق الهاتف. قاسـم : عبد السلام انتصرتم وانتهى دورى وأنا أريد أن أرحل خارج العراق حقنًا للدماء. أعطونى كلمة شرف.

عبـد السلام: والله ياكريم ليس بـيدى بل بيد الإخـوان مجلس قيـادة الثورة وهو الذى يقـرر فلم يبق زعيم أوحـد. قال قـاسم: تذكر أنى حـفظت لك حيـاتك وأنا قدمتك وغـفرت لك كل ما قمت به تجـاهى وتجاه البلد. . عبد الـسلام: هذا خارج الموضوع استسلم وسنحاكمك.

قاسم: ما هى شروطكم؟

تخـرج من قـاعة الشـعب وترفع يديك وتسلـم سلاحك وتنزع رتـبتك وشـارات القيادة. وفى السـاعة ١٢,٣٠ من بعد الظهر سـلم عبد الكريم قاسم نفـسه وكذلك فعل الضـباط الذين اختـاروا البقاء معـه فأصعـد قاسم وطه الشيخ أحـمد إلى دبابة لوحدهما وأصعد قاسم الجنابى وفاضل المهداوى وكنعان خليل حداد إلى مدرعة واتجه الجميع إلى دار الإذاعـة عند الساعة ١,٣٠ من بعد ظهـر السبت ٩ فبراير اقـتيد هو والمهداوى وطه وكنـعان إلى استـوديو التلفزيون وبلغـوا بقرار المجلس الوطنى لقـيادة الثورة بإعدامـهم رميًا بالرصاص واعـتبرت المناقشة بينهم بمثـابة محاكمـة وعند تنفيذ الإعدام رفـضوا وضع عصـابة على أعينهم فى منتـصف الليلة التى قضى على حـياة قاسم نقلت جثته إلى منـطقة معامل الآجر الواقعة بين بغداد وبعقـوبة وحفرت حفرة ووضع فيها ببزته العسكرية وأخفيت معالم الحفرة إخفاءً تامًا إلا أن أحد العمال شاهد ما جرى فاستعان برفاق ليحملـوا الجثة وبدفنوها فى موضع ما بين المجمعات السكنية العمالية فى المنطقة. ولم يبق الأمر سـرًا فبلغ سلطات الأمن التى قامت بإلقاء القبض على المشاركـين وأحالتهم إلى المحاكم وقـضت عليهم بأحكام ثقيلة ثم اسـتخرجت الجثة ووضعت فى غرارة أثقلت بكتل من الحديد الصلب وألقيت من فوق جسر ديالى فى نقطه اتصال بغداد - سلمان باك.

ورغم هذا فهناك جـدل وتضارب حول الإرث التـاريخى لقاسم فـالبعض يعتـبره «نزيهًا وحريصًا على خدمة الشعب العراقـى لم يكن يضع لشخصه وأقربائه أى اعتبار أو محسوبيه أمام المسئولية الوطنية» واتخاذه سياسة التسامح والعفو عن المتآمرين الذين تآمروا على الثورة «سياسة عفا الله عما سلف».

وأصدر الكثير من قرارات بإعفاء المحكوم عليهم بالإعدام ولم يوقع على أحكام إعدام بينما يعتبره البعض الآخر زعيمًا عمل جاهدًا للاستئثار بالسلطة وسعيه إلى تحجيم جميع الأحزاب الوطنية منها والقومية والأخرى التقدمية وإصداره لأحكام إعدام جائرة بحق زملائه من أعضاء تنظيم الضباط الوطنيين (أو الأحرار» كناظم الطبقجلى ورفعت الحاج سرى وغيرهم كما يتهمه خصومه السياسيين بأنه أبعد العراق عن محيطه العربى من خلال قطع علاقاته الدبلوماسية مع أكثر من دولة عربية وانتهى به المطاف لسحب عضوية العراق من الجامعة العربية وكذلك يتهمه خصومه بأنه ابتعد عن الانتماء الإسلامى للعراق الإسلامى بالتقرب من الشيوعيين.

وارتكب المجازر فى الموصل وكركوك وأعدم الكثير من خصومه السياسيين والعسكريين وقرب أفراد أسرته من الحكم وأسند لبعضهم المناصب ومنح البعض الآخر الصلاحيات كابن خالته المقدم فاضل المهداوى ذو الارتباطات الماركسية وأخيه الأكبر حامد قاسم الذى كان يلقب بالبرنس حامد وهو المشرف عن توزيع أراضى الإصلاح الزراعى للفلاحين والذى جمع أموالاً طائلة من هذه العملية إلا أن هناك نوع من الإجماع على شعبية قاسم بين تجمعات الطبقة المتوسطة والمدن والمناطق التى تقطنها الطبقات الفقيرة.

* * * *

عز الدين بن عبد السلام

تمكن التتار من إسقاط الخلافة الإسلامية فى بغداد عام ٦٥٦ هـ، وواصلوا غزوهم إلى الشام ومصر حاملين معهم الخراب والدمار، فهاجر إلى مصر والشام أعداد غفيرة من العلماء، وأصبحت هذه البلاد مركزًا للعلم حيث انتشرت فيها المساجد. والمدارس، ووفد إليها طلاب العلم، من كل مكان ليدرسوا علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والنحو والصرف والتاريخ، إلى جانب الفلسفة والفلك والهندسة والرياضيات.. وغيرها.

وسط هذا الجو الذى يشجع على التعلم والدراسة، ولد بدمشق عام ٥٧٧ هـ.

(عز الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد السلام) ففتح عينيه على الحياة ليجد أسرته تعانى من الفقر وضيق العيش، ونشأ عز الدين على حب العلم، فسمع الحديث الشريف من العالم الجليل (فخر الدين بن عساكر) الذى اشتهر بعلمه وزهده، وتعلم على يد قاضى قضاة (دمشق) الشيخ (جمال الدين بن الحرستانى) وغيرهما من الأساتذة الكبار، حتى أصبح عالمًا له مكانته المرموقة بين أساتذته.

وكان منصب الخطابة فى الجامع الأموى (بدمشق) منصبًا عظيمًا لا يتولاه إلا كبار العلماء، فتولاه (عز الدين بن عبد السلام) فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وصدع بكلمة الحق، ولم يكن يخشى فى الله لومة لائم. فحارب كل بدعة، وأمات كل ضلالة، وكان يقول: (طوبى لمن تولى شيئًا من أمور المسلمين، فأعان على إماتة البدع وإحياء السنن).

وفى عام ٦٣٥ هـ ولاه السلطان الكامل الأيوبى قضاء دمشق، لكنه لم يستمر فيه طويلاً، بل تركه فى العام نفسه عندما تولى الحكم (الصالح إسماعيل) الذى كان على خلاف مع الشيخ عز الدين، لأن الملك الصالح تحالف مع الصليبيين، وأعطاهم بيت المقدس وطبرية وعسقلان، وسمح لهم بدخول دمشق، وترك لهم حرية الحركة فيها، وشراء السلاح منها، وفوق ذلك وعد الصليبيين بجزء من مصر إذا هم نصروه على أخيه نجم الدين أيوب سلطان مصر، فلم يرض الشيخ عز الدين بهذا الوضع المهين، فهاجم السلطان فى خطبه من فوق منبر المسجد الأموى هجرمًا عنيفًا وقطع الدعاء له فى خطب الجمعة، وأفتى بتحريم بيع السلاح للصليبيين أو التعاون معهم، ودعا المسلمين إلى الجهاد.

غضب السلطان الصالح إسماعيل، وأمر بعزل (عز الدين) من إمامة المسجد الأموى، ومنعه من الفتوى والاتصال بالناس، ولم يكتف بذلك، بل منعه من الخروج من بيته، فقرر عز الدين الهجرة من دمشق إلى مصر فلما خرج منها عام ٦٣٨ هـ ثار المسلمون فى دمشق لخروجه ، فبعث إليه السلطان أحد وزرائه، فلحق به فى نابلس، وطلب منه العودة إلى دمشق ، فرفض، فقال له الوزير: بينك وبين أن تعود إلى منصبك وإلى ما كنت عليه وزيادة أت تنكسر للسلطان، وتعتذر إليه وتقبل يده لا غير.

فقال عز الدين: والله يا مسكين، ما أرضى أن يقبل السلطان يدى، فضلاً عن أن أقبل يده، يا قوم أنتم فى واد وأنا فى وادٍ.. والحمد لله الذى عافانى مما ابتلاكم به، فقال له الوزير: قد أمرنى السلطان بذلك، فإما أن تقبله، وإلا اعتقلتك فقال: افعلوا ما بدا لكم!!

واعتقله جنود السلطان فى نابلس، وظل فى محبسه، حتى جاءت جنود مصر وخلصته، وجاء الشيخ عز الدين إلى القاهرة عام ٦٣٩ هـ فرحب به (نجم الدين أيوب) سلطان مصر، وولاه منصب قاضى القضاة وخطيب مسجد عمرو بن العاص، واشتهر الشيخ بالعدالة فى القضاء والجرأة فى الحق، حتى أحبه الناس والتفوا حوله.

وقد حدثت له حادثة أثناء توليه القضاء تدل على شجاعته وعدله: فقد أفتى العز بن عبد السلام أن أمراء المماليك حكام مصر فى ذلك الوقت مازالوا عبيدًا رقيقًا. وأنه يجب بيع هؤلاء الأمراء لصالح بيت مال المسلمين وذلك لتحريرهم من عبوديتهم وعتقهم بالطريق الشرعى، حتى يجوز لهم أن يتصرفوا تصرف الأحرار، فكانت هذه الفتوى ضربة قاضية لهم، حطمت كبرياءهم، وعطلت مصالحهم بل إنهم أصبحوا مصدرًا لسخرية الناس بعد أن قوى نفوذهم وزاد طغيانهم، وكثرت مظالمهم.

غضب الأمراء المماليك غضبًا شديدًا ، وقدموا شكوى إلى السلطان، وطالبوه بأن يقنع العز بن عبد السلام، بالعدول عن رأيه فتحدث معه السلطان فى ذلك، وطلب منه أن يتركهم وشأنهم فغضب عز الدين واستقال من منصب قاضى القضاة، وعزم على مغادرة مصر، فحمل أمتعته على حمار، وحمل أهله على حمار آخر، وسار خلفهم على قدميه خارجًا من القاهرة، وعندما علم الناس خرجوا وراءه فخاف السلطان من الثورة، وقال له أعوانه: متى خرج عز الدين من مصر ضاع ملكك!!

فركب السلطان بنفسه ولحق بالشيخ وطيب خاطره، لكنه لم يقبل أن يعود معه إلى القاهرة إلا بعد أن وافق السلطان على بيع الأمراء المماليك فى مزاد علنى.

رجع الشيخ وأمر بأن ينادى على الأمراء فى المزاد، وكان من بين الذين سيباعون فى المزاد نائب السلطنة، فغضب واشتد غيضه، ورفض أن يباع كما تباع الماشية،

وصاح فى كبرياء: كيف ينادى علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض؟ والله لأضربنه بسيفى.

ركب نائب السلطان فرسه وأخذ معه جماعة من الأمراء وذهبوا إلى بيت الشيخ يريدون قتله، وطرقوا الباب، فخرج ابن الشيخ فلما رآهم فزع ورجع إلى أبيه خائفًا يخبره بما رأى، ابتسم الشيخ فى وجهه، وقال له: يا ولدى أبوك أقل من أن يقتل فى سبيل الله، ثم خرج إلى أمراء المماليك، فنظر إليهم نظرة عزة وأباء، وأطال النظر إلى نائب السلطان الذى كان شاهرًا سيفه: فارتعدت مفاصل نائب السلطان وسقط السيف من يده، ثم بكى وسأل الشيخ أن يعفو عنه ويدعو له، وتم للشيخ ما أراد وباع الأمراء فى المزاد واحدًا واحدًا وغالى فى ثمنهم ثم صرفه فى وجوه الخير.

وكانت لسلطان العلماء (العز بن عبد السلام) مواقف إيمانية فى ميدان الجهاد ضد التتار أعداء الإسلام والمسلمين، وكان له دور فعال فى هذا الأمر، ولم يرض أن تتحمل جماهير الشعب وحدها نفقات الجهاد، وهو يعلم أن السلطان ورجاله لديهم أموال كثيرة فقال: إذا طرق العدو بلاد الإسلام وجب قتالهم، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به على جهادكم، بشرط ألا يبقى فى بيت المال شىء، وأن يؤخذ كل ما لدى السلطان والأمراء من أموال وذهب وجواهر وحلى، ويبقى لكل الجند سلاحه، وما يركبه ليحارب عليه ويتساووا هم والعامة، وأما أخذ أموال الناس مع بقاء ما فى أيدى الجند من الأموال، فلا.

وقد اشترك الشيخ (عز الدين) بنفسه فى الجهاد المسلح ضد العدو، وكان دائمًا يحرض السلطان (قطز) على حرب التتار حتى كتب الله له النصر فى (عين جالوت) عام ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠م وكان العز بن عبد السلام شجاعًا مقدامًا، فقد ذهب ذات

مرة إلى السلطان فى يوم عيد إلى القلعة، فشاهد الأمراء والخدم والحشم يقبلون الأرض أمام السلطان، وشاهد الجند صفوفًا أمامه، ورأى الأبهة والعظمة تحيط به من كل جانب، فتقدم الشيخ إلى السلطان. وناداه باسمه مجردًا، وقال: يا أيوب، ما حجتك عند الله إذ قال لك: ألم أبوئ لك مصر، ثم تبيح الخمور؟

فقال السلطان نجم الدين أيوب: هل جرى هذا؟

قال الشبخ: نعم تباع الخمور فى الحانات وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلب فى نعمة هذه المملكة، وأخذ الشيخ يناديه بأعلى صوته والعساكر واقفون.

فقال السلطان: يا سيدى هذا أنا ما عملته، هذا من زمان أبى.

فقال الشيخ: أنت من الذين يقولون: إنا وجدنا اباءنا على أمة.

فأصدر السلطان أوامره بإغلاق تلك الحانات، ومنع تلك المفاسد، وشاع الخبر بين جمهور المسلمين وأهل القاهرة، فسأل أحد تلاميذ الشيخ عن السبب الذى جعله ينصح السلطان أمام خدمه وعساكره فى مثل هذا اليوم الكريم

فقال الشيخ: يابنى، رأيت السلطان فى تلك العظمة، فأردت أن أذكره لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه. . . قال التلميذ: أما خفته؟

قال عز الدين: والله يا بنى، استحضرت هيبة الله تعالى فلم أخف منه.

وكان العز بن عبد السلام رغم فقره كريمًا كثير الصدقات، فيحكى أنه لما كان بدمشق وحدثت ضائقة، وعانى الناس من قلة المال، وانخفضت أسعار البساتين فأعطته زوجته مصاغها، وقالت: اشتر لنا بقيمته بستانا نصيف فيه، فأخذ المصاغ وباعه وتصدق بثمنه ، فسألته زوجته: هل اشتريت لنا بستانًا؟

قال: نعم، بستانًا فى الجنة، إنى وجدت الناس فى شدة فتصدقت بثمنه ، فقالت: جزاك الله خيرًا.

وعاش الشيخ عز الدين ٨٣ عامًا يدعــو إلى الله ويجاهد فى سبيله، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكــر إلى أن توفى عــام ٦٦٠ هـ. فـخرج الرجــال والنســاء والشــبــاب والأطفال يودعون سلطان العلماء، وصلى عليــه سلطان مصر والشام فى ذلك الوقت الظاهر (بيبرس).

وقد أشاد العلماء والمؤرخون حتى أطلق عليه تلميذه شيخ الإسلام. تقى الدين بن دقيق العيد لقب (سلطان العلماء).

رحم الله العز بن عبد السلام رمز العزة والإباء.

* * * *

عمر المختار

عـمر بن مـختـار بن عـمر ، أشـهر مـجاهدى طرابـلس الغرب فى حـربهم مع المستعمرين الإيطاليين، من قبـيلة المنفة (من قبائل بادية برقة) ولد عام ١٨٦٢م. توفى والده فى طريقه إلى الحج، وعادت والدته عائشة لتعـتنى بولديها عمر ومحمد اللذين يقيمان ويدرسان فى زنزور، فعاش عمر يتيمًا.

ذهب عمر إلى زاوية الجغـبوب لمتابعة دراسته فى العلوم الدينيـة واللغوية، فمكث فيهـا ثمانية أعوام، وقد أحبـه شيوخ السنوسية وزعـماؤها لصفاته الخلقية السـامية إذ ظهرت عليه علامات الـشدة والصراحة، وتبين للقادة السنوسيين نجـابته وقوة مراسه، فاصطحبه السيد محمد المهدى السنوسى معه عند انتقاله من واحة الجغبوب إلى الكفرة عام ١٣١٣ هـ / ١٨٩٥م.

وفى عام ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧م عـينه السيد المـهدى شيـخًا لزاوية القصـور بالجبل الأخضر قريبًا من المرج. وكان يقطن فى هذه الزاوية وحولها قبيلة العبيد، وهم أناس عرفوا بشدة المراس وقوة الشكيمة. وقد اختاره السيد المهدى لهذه الزاوية حتى يسوس شؤونهم باللين تارة وبالعنف تاره أخـرى، وحقق المختار ما عقده السـيد المهدى على إدارته الحازمة من آمال.

كانت طرابلس الغرب إحدى ولايات السلطنة العثمانية، وتقع غرب مصر وتفصلها عن ولايات تونس والجزائر.

ولما كانت السلطنة العثمانية تقاوم العداء الأجنبى الأوروبى وتتصدى لمشروعاته التوسعية فى بلاد المسلمين شجعت الحركات الإصلاحية التى قامت فى كل منطقة والتى كان منها الحركة السنوسية فى شمال إفريقيا التى استقرت فى طرابلس الغرب بصورة رئيسية.

وكانت إيطاليا تطمح ليكون لها حصة فى اقتسام أراضى السلطنة العثمانية ولذلك قطعت علاقتها بالدولة العثمانية فجأة، وأعلنت الحرب عليها عام ١٣٢٩هـ / أواخر سبتمبر ١٩١١م، ثم أطلق أسطولهم قذائفه على موانئ طرابلس وبرقة فى ٣/ ١٠/ ١٩١١م وأعلنت إيطاليا فى ٦/ ١١/ ١٩١١م وضع طرابلس وبرقة تحت السيادة الإيطالية واستقدموا الجنود من مستعمرة أريتريا ومن الحبشة ثم احتلوا المدن الأخرى الرئيسية وبدأت المقاومة التى استمرت مدة ثلاثين عامًا وقد شارك فيها السنوسيون ومتطوعون من العالم الإسلامى لإنقاذ قطر عربى من دولة الخلافة الإسلامية .

وكان عمر المختار فى مقدمة الذين خفوا إلى مشاركة الجيش العثمانى والالتحام مع العدو فى برقة حتى جاء القائد العثمانى أنور إلى بنغازى ليقود حركة المقاومة العثمانية الرسمية والشعبية ضد الاحتلال الإيطالى والتى شارك فيها متطوعون مسلمون من مختلف البلاد الإسلامية وخاصة بلاد الشام ومصر.

وعندما توسع الإيطاليون فى الداخل كان عمر المختار يتنقل من منطقة إلى أخرى وفى عام ١٣٣٢ هـ/ ١٩١٣م قاد المختار المجاهدين إلى معسكرات جبل العبيد، وفى عام ١٣٤١ هـ / ١٩٢٢م م أسهم فى تأليف جبهة متحدة من البرقاويين والطرابلسيين من أجل القتال ضد إيطاليا ولما قرر السيد إدريس مبارحة برقة واللجوء إلى مصر عهد

بقيادة المجاهدين العليا إلى السيد عمر المختار فجعل مقره فى الجبل الأخضر إلى وقت استشهاده بعد عشرة أعوام تقريبًا.

مدت إيطاليا الأسلاك الشائكة على طول الحدود مع مصر من البحر حتى واحة الجغبوب جنوبًا مع إقامة مراكز مسلحة للمراقبة، فأدى ذلك إلى انقطاع الإمدادات عن عمر المختار فى الجبل الأخضر. ومع ذلك استمر المجاهدون فى جهادهم ضد الاحتلال الإيطالى، وفى يوم ٢٦ ربيع الثانى ١٣٥٠ هـ / ١١ / ٩ / ١٩٣١م، وعلى إثر معركة غير متكافئة وبصورة مفاجئة وقع عمر المختار أسيرًا بعد أن أصيب حصانه ووقع فوقه وجرحت يده ولم يتمكن رفاقه من مساعدته، ، فتكاثر عليه جنود الأعداء وأسروه، ونقل الأسير إلى مدينة بنغازى، وأقيمت له محاكمة عسكرية شكلية وسريعة فى محكمة خاصة سميت (محكمة طيارة أى سريعة) وذلك بعد أربعة أيام من الأسر. وكان المترجم يهوديًا اسمه لمبروزو وهو من الحاضرين فى الجلسة، وأصدرت المحكمة حكمها بالإعدام ولم يراعوا كبر سنه وقال: «إنا الله وإنا إله راجعون».

وكان المختار قد أكد لآسريه أن وقوعه فى الأسر لا يضعف شيئًا من حدة المقاومة وستنتقل القيادة إلى غيره. ولما حاول القائد الإيطالى غراتسيانى إقناع عمر المختار. يتوقيع نداء للمجاهدين للكف عن القتال رفض ذلك لأنه لا يرضى ضميره، ولأن المجاهدين لن يصدقوا صدور مثل هذا النداء عنه كما قال.

وكان الإيطاليون قد جهزوا المشنقة قبل بدء المحاكمة، وفور انتهاء المحاكمة الشكلية نفذ الإيطاليون الإعدام شنقًا فى عمر المختار الشيخ المجاهد فى اليوم الثانى وهو (الأربعاء ١ جمادى الأول ١٣٥٠ هـ / ١٦/ ٩ / ١٩٣١م) فى ميدان سلوق فى

برقة، وأمام الآلاف من النـاس الذين أجبروا على الحضور وشـاهدوه وهو يردد كلمة الشهادة. ودفن فى مقبرة سيدى أعبيد بالصابرى. وكان ما فعله الإيطاليون دليلاً على وحشيتـهم وإثباتًا للشهادة فى سبـيل الله التى حصل عليها عمر المخـتار الشيخ المؤمن المجاهد.

نزل الإيطاليـون فى طرابلس سنة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١م وغادروها مـهزومـين عام ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٣م. وكانوا يعلنون أنهم يريدون إعادة الإمبراطورية الرومانية. وفى أثناء ذلك ارتكبوا الفظائع المختلفة من قـتل وتعذيب وهتك أعراض النساء وبقر بطون الحوامل وسجن ونفى ومصادرة أراضى وأملاك وهدم البيوت وحرق الأحياء السكنية، كما حاربوا المسلمين فى عقائدهم فهدموا المساجد وأهانوا الإسلام ومنعوا الأهالى من إقامـة شعـائرهم. ودخل جنودهم المسـاجد وهم سكارى ومنعـوا أداء فريضـة الحج وأهانوا المصاحف وداس عليهـا بعضهم أمام الأهالى وقال: «إنكم معـشر المسلمين لا يمكن أن تصيروا بشرًا ما دام هذا الكتاب بين أيديكم» وألزمـوا خطباء الجمعة بالدعاء لملك إيطاليا، وعملوا على القضاء على اللغـة العربية فأغلقت الكتاتيب، ونشروا دور الدعارة وجعـلوا الأضرحة والمساجد اصـطبلات لدوابهم، وشجعـوا بعثات التبـشير الإيطالية لإرغام النسـاء على التنصر والزواج من الطليان ومحاولة تنصـير الأطفال فى المدارس وأمور كثيرة. وأنشؤوا كثيرًا من الكنائس مع عدم وجود مسيحى واحد، وقد استـمرت هذه الفظائع منذ بداية الاحتـلال وزادت لمقاومة ثورة الشـعب بقيادة عـمر المختار والسنوسيين.

بعد نجاح الإيطاليين فى إعدام الشيخ المجاهد عـمر المختار قائد المجاهدين فى عام ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١م، اطمأنت الإمبراطورية الإيطالية إلى سلطانها ودانت لها المناطق

الليبية حتى عام ١٣٦٢ هـ/ ١٩٤٢م. وكان الناس يعانون فيها اليأس والقنوط، فأمير البلاد فى مهجره بمصر، وأهل الحل والعقد بعيدون ومنفيون، وهلك نصف الشعب أو أكثر، والباقون مستضعفون وبدأ قائد إيطالى آخر بنزع الأراضى وتسليمها إلى الطليان وتحويل سكان ليبيا إلى خدم وعبيد لهم.

فى أيلول ١٣٥٩ هـ ١٩٣٩م بدأت الحرب العالمية الثانية، وبعد أن انهارت فرنسا أعلنت إيطاليا الحرب على إنكلترا وفرنسا فى ١٠/٦/ ١٩٤٠م بقيادة زعيمها موسولينى إلى جانب ألمانيا، وكانت الهزيمة إذ إنه فى نهاية يوم ٧/ ٢/ ١٩٤٢م أخلت جيوش رومل المنهزمة بلاد طرابلس بأجمعها. وعادت البلاد إلى قيادة السنوسيين وصار اسم عمر المختار الشهيد عاليًا ورمزًا للجهاد ضد العدوان الأجنبى وأحقاده.

* * * *

فوزى القاوقجى

ثائر وطنى ومناضل عسكرى أمضى حياته فى مقاومة الاستعمار البريطانى والفرنسى فى الوطن العربى، وحارب ضد المشروع الصهيونى فى فلسطين.

هو ضابط سورى ولد فى طرابلس (لبنان اليوم) عام ١٨٩٠ قبل أن تفصل الحدود بين سوريا ولبنان وبلاد الشام، درس فى المدرسة الحربية فى الأستانة العاصمة العثمانية وهى إستانبول اليوم وتخرج ضابطًا فى سلاح الخيالة العثمانى عام ١٩١٢.

عرف بقدرته على التفاهم مع القبائل العربية، وكان بفروسيته ودهائه يرد للقبيلة ما نهبته القبيلة الأخرى فى غاراتها عليها، وكانت الغارات أمرًا شائعًا ومشروعًا، شارك فى المعارك ضد البريطانيين فى الحرب العالمية الأولى، وانتقل إلى فلسطين عام ١٩١٦ أثناء الحرب، واستمر فى ولائه للعثمانيين برغم كرهه لتسلطهم على العرب، لأنهم كما قال: «أفضل للعرب على أية حال من المشاريع الاستعمارية البريطانية والفرنسية» التى تزعم مساعدة قادة الثورة العربية الكبرى والشريف حسين ضد العثمانيين، بينما (تضمر مشاريع الاستعمار والاحتلال) كما جاء فى مذكراته.

تعرف على أطماع بريطانيا حين عمل فى ديوان الشورى الحربى فى عهد الملك فيصل بالعراق، وعلى أطماع فرنسا فى سوريا ولبنان حين عمل آمرًا لسرية الخيالة فى حماة بسوريا، ولكسب ثقة الفرنسيين ومعرفة مؤامراتهم عمل معاونًا للمستشار الفرنسى، بينما كان يعد سرًا للثورة ضدهم، والتى أطلقها عام ١٩٢٥ وعرفت بالثورة السورية الكبرى، وبدأها فى الغوطة بدمشق واضطر للانسحاب فغادرها إلى الأردن

ثم إلى القدس فتركيا ثم إلى القاهرة التى تركها بعد خلافات حادة بين الزعماء، وارتحل إلى السعودية حيث كون هناك جيشًا سعوديًا نظاميًا بناء على طلب الأمير السعودى فيصل بن عبد العزيز، والتحق القاوقجى بخدمة الملك عبد العزيز، وعاد إلى العراق عام ١٩٣٢، لكن أحداث فلسطين كانت قد بدأت تغلى فى مواجهة اليهود والإنجليز ووصل إلى فلسطين سرًا مع كتيبة من المتطوعين العرب عام ١٩٣٦، عام الثورة الفلسطينية وخاض معها عدة معارك وانسحب بعد الهزيمة، وعاد بالكتيبة العراقية إلى العراق، لكن حكومة (بكر صديق) نفته إلى كركوك استجابة لبريطانيا وللحكومة التركية التى احتجت على مواقفه الثائرة ضد ضم لواء الإسكندرونة السورى لتركيا، وبعد مقتل صدقى عاد القاوقجى للعراق لمساندة ثورة رشيد عالى الكيلانى عام ١٩٤١، وأصيب فى المعارك ونقل سرًا إلى مستشفى بدير الزور فى سوريا، وحين نقل إلى برلين كانت الحرب العالمية الثانية فى عز اشتعالها، فحاول الألمان مساومته على الحرب فى صفوفهم مع تركيا ضد الإنجليز والحلفاء، فطلب بالمقابل الاعتراف بحق العرب فى الاستقلال، لكنهم راوغوه فرفض عرضهم، ومات ابنه واتهم المخابرات الألمانية بقتله، بعد هزيمة ألمانيا اعتقل من قبل السوفييت الذين دخلوا برلين وغادوها إلى باريس بعد الإفراج عنه ثم إلى مسقط رأسه فى طرابلس، وقوبل بترحاب شعبى ورسمى عارم.

لكن مشادة دبرها الفرنسيون بين عائلتين سياسيتين فى لبنان لكى يقتل أثناءها، ولكن لم يحدث، وفى عام ١٩٤٧ كلفته الجامعة العربية بتولى قيادة جيش الإنقاذ للدفاع عن فلسطين فى ظروف شديدة الصعوبة، وخاض معارك شرسة مع القوات الصهيونية التى كانت تساعدها القوات البريطانية، وكان أهمها معركة المالكية، وأقام مقر قيادته فى سفوح جبال نابلس وجنين.

وحين أحس بتفرق العـرب واختلافهم حول هذه القضيـة المصيرية أدرك أن كل ما يفعله غير مجدٍ، فقدم استقالته لأمـين الجامعة العربية (د. عبد الرحمن عزام) بعد أن أخفق فى إيـقاف سقـوط المدن الفلسطينية وحـده، وقال فى تقـريره للجامـعة: (إن مستوى تدريب المتطوعين أدنى من المتوسط، وقدرتهم القتـالية ضعيفة ونوعية السلاح رديئة).

انتقل إلى دمـشق بعد توقيع الهدنة، وعـاش فى عزلة نفسية مـريرة وظروف مادية قاسية، حتى توفى عام ١٩٧٧ وعمره ٨٧ سنة دون أن يهتم به أحد.

لكنه الآن وبعد هذه السنين يوجد القاوقـجى على مئات من المواقع على الإنترنت وبخاصة المواقع الألمانية والإنجليزية.

كتب فوزى القاوقجى مذكراته التى كانت تشتعل وطنية ومرارة على ضياع فلسطين واعتبـر استعمار شـرق الأردن ضياعًا سيفـكك الأجزاء العربية عن بعضـها البعض، وسيـصعـب بذلك تأمين وحـدة بين العرب سـواء سيـاسيـة كانت أم اقـتصـادية أم عسكرية!!

* * * *

فقير إيبى

مناضل باشتونى دوّخ الإمبراطورية البريطانية العظمى فى منطقة القبائل شمال غرب باكستان وشرق أفغانستان المعروفة باسم وزيرستان، واسمه الحقيقى (ميرزا على خان)، وكان أتباعه ينادونه بـ (حاجى صاحب) تكريمًا له، وهو وصف يطلق على من حج البيت الحرام، لا يعرف زمن مولده على وجه الدقة، ويرجح أنه بين عامى ١٨٩٢ و ١٨٩٧ فى البنجال فى قبيلة شانكاى خايل شمال وزيرستان كما تقول بعض المصادر.

كان أبوه رجلاً متدينًا يسمى (أرصالاخان). التحق ميرزا على خان بالمدارس الدينية الواقعة على الجانب الآخر من مناطق السيطرة البريطانية فى مكان بالقرب من جلال آباد فى أفغانستان اليوم، أصبح (مريدًا) - وهى رتبة فى التعليم الدينى الصوفى- لنقيب العلماء (شاهارباغ) وكان آنذاك أشهر وأكبر زعيم دينى فى أفغانستان وأكثرهم نفوذًا.

فى عام ١٩٢٣ حج ميرزا الذى أصبح اسمه (الفقير) وهى رتبة أعلى، ولما عاد استقر فى قرية إيبى وعرف باسمها (فقير إيبى)، ورابط بالقرب من الجيش البريطانى فى طريق يربط بين بانو وبين راجماك وذاع صيته كولى له كرامات، لم يلفت انتباه البريطانيين حتى كان مارس من عام ١٩٢٣ الذى سجل تحولاً فى حياته بسبب فتاة عرفت باسم (بيبى إسلام) واسمها الحقيقى رام كورى، وعمرها ١٥ سنة وهى هندوسية زفت إلى مدرس باشتونى مسلم، واتهم الحاكم المحلى والسلطات البريطانية

المدرس المسلم بخطفها وإغوائها، حدثت مواجهات عنيفة حتى كان اليوم التالى حيث حملت الفتاة أمام مجلس (الجيرجا) من كلا الطرفين المتخاصمين وأقرت بنفسها أنها هى التى لجأت إلى المدرس للزواج منه برغبتها .

لكن المدرس لم يستطع إثبات شرعية زواجها فسجن عامين، أثار الحادث غضب المسلمين لتدخل البريطانيين فيه خاصة من قبيلة إيبى التى يرابط فيها الشيخ الفقير، فصمم على تشكيل متطوعين لمقاومة البريطانيين وإخراجهم.

بدأ نصب الكمائن لهم وقطع الطرق عليهم، فأرسل البريطانيون قواتهم المسلحة تسليحًا حديثًا وبالتقنية العالية من مدافع وطائرات وأسلحة نارية، وقيل إنه تجمع حوالى ٤٠ ألفًا من جنودهم، بينما كان هو يقاتل بأقل من ألف رجل وبأسلحة بدائية وبنادق تقليدية ومدفع قديم، وكانوا يهدمون البيوت على أصحابها، وكان بيته منها، كما يقتلون ويعتقلون، ولم يتمكنوا من هزيمته، فكان صراعًا جبارًا بحق ، حاول الألمان والإيطاليون استقطابه معهم ضد البريطانيين فى الحرب العالمية الثانية، لكن دخول الاتحاد السوفييتى الحرب حال دون تغلغل الألمان فى منطقة القبائل، وفى نوفمبر من عام ١٩٥٤ استسلم القائد ميهار لحاكم بانومما جعل وزيرستان تقع فى قبضة الحاكم وأعلنت تابعة لباكستان، ظل يقاوم حتى بعد تشكيل دولة باكستان وانسحاب بريطانيا، فقد رفض تبعية وزيرستان لباكستان.

مات عام ١٩٦٠ مريضًا بالربو حتى لم يكن يستطيع الحركة فى أواخر أيامه، لكنه ظل رمزًا حتى فى الكتب البريطانية والموسوعات، وحين توفى كتبت مجلة التايم الأمريكية فى ٢٠ أبريل من عام ١٩٦٠ تصفه بأنه (كان خصمًا شريفًا)، وأنه كان (رجل مبادئ وكريمًا وله عقلية شديدة التنظيم).

* * * *

لا لا فاطمة نسومر

مناضلة جزائرية بربرية، أطلق عليها الفرنسيون لقب (جان دارك جُرجُره) نسبة إلى الجبال التى تحارب فيها، ألحقت بالفرنسيين هزائم عديدة هى «فاطمة بنت سيد أحمد» ولدت عام ١٨٣٠م فى منطقة القبائل الجبلية شرق الجزائر (لا لا تعنى السيدة). كان والدها «سيدى محمد بن عيسى» شيخ الطريقة الرحمانية الصوفية، وكان لها أربعة أخوة. زوّجها أبوها وعمرها ١٦ سنة من رجل لم ترضَ به، وقيل أنها ادعت الجنون ليله زفافها مما اضطره لإعادتها إلى بيت أبيها، ويروى أنها لم تطلق منه حتى مماتها.

أعتكفت بعدها للعبادة وتعلم الدين، وتولت شئون الزاوية الرحمانية بعد وفاة أبيها، لكنها فضلت الرحيل إلى قرية نسومر حيث يقيم أخوها الأكبر سيدى الطاهر الذى كان عارفًا بالعلوم الدينية والدنيوية، فتعلمت على يديه وانتسبت باسمها للقرية، ذاع صيتها فى منطقة القبائل لكنها لم تنقطع عن متابعة أخبار المحتل الفرنسى وتوغله فى بلاد الجزائر، حتى وصل لمنطقة القبائل واحتل العاصمة البربرية «تيزى أوزو» عام ١٨٤٥م واتخذها قاعدة له لينطلق إلى باقى القرى، فانضمت «لا لا فاطمة» للمقاومة، وشاركت الشريف بو بغلة (محمد بن عبد الله) للدفاع عن جبال جرجرة، وتصدت للفرنسيين وقطعت عليهم طرق الإمدادات التى تعرفها جيدًا لكن قواتهما كانت أضعف من قوات الفرنسيين وأقل تجهيزًا وعددًا.

انضم إليها قادة (العروش) وهم زعماء القبائل بعد أن بلغهم حاجات لمشاركتهم، كما وقف معها شيوخ الزوايا الذين حبذوا المريدين والمتطوعين من كل مكان، فقادت

المقاومة فـى الجبال الوعرة واتجهـوا ناحية (واضيـة) وواجهوا الفرنسـيين الذين كانوا بقيادة ماك مـاهون ومعهم الأغا الجزائرى (الحاكم هناك) وهزمتـهم (لا لا فاطمة) بعد أن قتلت بيـدها الأغا الجودى وأنقـذت شريكها فى المعـركة (بو بغلة) بعد إصـابته، وكان عدد القتلى بين الفرنسيين ٨٠٠ جنديًا بينهم ٢٥ ضابطًا، عاود الفرنسيون القتال والهجوم وأقاموا المعسكرات وتوغلوا فواجـهتهم (لا لا فاطمة) من جديد، وانتصرت فى مواقع عديدة مما اضطرهم لطلب النجدة أكثر من مرة، ولم تستطع (لا لا فاطمة) الاستمـرار أمام الجيش الفرنسى المجهـز بالإمدادات السريعة الحـديثة، فاضطرت إلى الانسحاب للحفاظ على المقاتلين معهـا من الإبادة على يد الفرنسيين، جمعت قواتها البالغ عددها ٧ آلاف مـقاتل، وعملت على قطع الطرق فى الجبال لضـرب مؤخرات الجيش الفرنسى لكنها لم تستطع الصمود طويلاً فانسحبت نهائيًا بعد قبول الهدنة وبدء المفاوضات لكن الفـرنسيين اعتقلـوا الوفد الجزائرى المفاوض وأسروها ومن مـعها من النساء، ونفيت إلى زاوية بنى سليمان حيث مكثت سبع سنوات أصيبت أثناءها بشلل وتوفيت عن ٣٣ عامًا فقط!

وقد خلدتها الجزائر بإطلاق اسمها على باخـرة عملاقة لنقل الغاز كما كانت بطلة عدد من الأعمال الفنية والأدبية.

* * * *

عز الدين القسام

اسمه يطلق اليوم على (الذراع العسكرى) لمنظمة (حماس) الإسلامية فى فلسطين وقد تشكلت (كتائب القسام) للعمليات العسكرية داخل (حماس). . (وعز الدين القسام) هو الذى أكسب (الثورة الفلسطينية) فى ثلاثينيات القرن العشرين ضد الانتداب البريطانى وضد الاستيطان اليهودى (بعدًا إسلاميًا). . ومن هنا جاء اتباع منظمة (حماس) الآن لمنهجه فى ربط (الثورة المسلحة بالبعد الدينى).

ولد (عز الدين القسام) فى القرن التاسع عشر فى عام ١٨٨٢م فى سوريا على الساحل الغربى فى مدينة جبلة، واستشهد عام ١٩٣٥ فى غابة (يعبد) فى منطقة (جنين) الفلسطينية التى تدور فيها اليوم إحدى أعنف العمليات العسكرية الإسرائيلية.

عرف عز الدين القسام بأنه الشيخ المعمم، فقد أتى مصر فى طفولته ودرس فى الأزهر الشريف بالقاهرة، وعاد إلى بلدته السورية (جبلة) عام ١٩٠٤، وأصبح إمامًا لمسجدها وعمره ٢٠ عامًا، وفى ١٩١٩ أعلن الثورة على المستعمر الفرنسى لسوريا بمشاركة (عمر البيطار)، وحكم عليه الفرنسيون بالإعدام، لكنه هرب إلى فلسطين واستقر فى قرية قرب (حيفا) على الساحل عام ١٩٢٢، وانضم إلى (جمعية الشباب المسلمين)، وأصبح رئيسها عام ١٩٢٨، وحين أصبح إمامًا لمسجد الاستقلال فى حيفا أطلق من هناك دعوته للجهاد، فكانت بداية الثورات الفلسطينية المسلحة. وأعلن القسام الثورة على الانتداب البريطانى لفلسطين وعلى المستوطنين اليهود الذين كانوا يتوافدون مهاجرين من أوروبا، واستشهد فى أول مواجهة عسكرية مع القوات

البريطـانية فى ١٩ نوفمـبر من عـام ١٩٣٥، وتوزع من نجا من المعـركة فى الجـبال، وشكلوا نواة الثورة الفلسطينية الكبـرى التى اندلعت عام ١٩٣٦، وأعلن الفلسطينيون الإضراب الذى دام ٦ شهور وتلتها الثورات الفلسطينية.

عرف القسام بعـمامته وسلاحه، وشكلت تجربتـه فى الكفاح (السياسى - الدينى) بداية العمل الثـورى الحقيـقى فى فلسطين بعد سوريا، وسـاعدته قدرته الفـائقة على الخطابة وثقافـته الدينية ومشـاعره الوطنية المتـأججة، واستـغل وظيفته كـموظف فى المحكمة الشـرعية فى حـيفـا ليتجـول فى قرى شمـال فلسطين ويتصل بالفـلاحين، ويحرضهم على الثورة وكان يدرب أنصاره على حمل السلاح.

وحين اتصل بالإيطاليين لدعمه بالسلاح والمعونات ضد الإنجليز تركه بعض معاونيه لاتهامه بالتـعاون مع بلد أوروبى مستـعمر يحتل ليبـيا وأعدم عمر المخـتار من قبل، ورغم ذلك تمكن القسام من تجنيد المئات، وساهم فى إنشاء المدارس والجمعيات وسط الفلاحيـن لإيمانه بأن شعبًـا متعلمًا لا يقبـل الهزيمة، وكان هذا مـصدر الخلاف مع بعض معانيـه الذين كانوا يرون أنه يجب البدء أولاً بالعـمل العسكرى المسلح ثم يأتى التعليم، بينما كان يرى أن الاستعداد لعمل عـسكرى يستلزم بداية الانضباط والتثقيف والتعليم والتـدريب، وحين قرر الامـتثال لرغـبة معاونيـه والانخراط فى مواجـهات عسكرية استشهد هو وكثير ممن معه، لكن اسمه ظل (رمزًا).

* * * *

الشيخ أحمد ياسين

ولد أحمد ياسـين فى يونيو عام ١٩٣٦ فى قرية جـورة عسقلان - قـضاء المجدل شمالى قطاع غزة.

نزح مع عائلتـه إلى قطاع غزة بعد حـرب ١٩٤٨ أصابه الشلل فى جمـيع أطرافه أثناء ممارسته للرياضة فـى عامه السادس عشر، استطاع الشـيخ أحمد ياسين أن ينهى دراسته الثـانوية فى العام الدراسى ٧/ ٥/ ١٩٥٨، ثم الحصول على فـرصة عمل فى التدريس كـمعلم للتـربية الإسلامـية رغم الاعـتراض عليه فى البـداية بسبب حـالته الصحية.

حين بلوغه العشرين بدأ أحمد ياسين نشاطه السياسى بالمشاركة فى المظاهرات التى اندلعت فى غزة احـتجاجًـا على العدوان الثلاثى الذى اسـتهدف مصـر عام ١٩٥٦، حينهـا أظهر قدرات خطابيـة وتنظيميـة ملموسـة، حيث استطاع أن ينشط مع رفـاقه الدعوة إلى رفض الإشـراف الدولى على غزة، مؤكدًا على ضـرورة عودة الإقليم إلى الإدارة المصرية.

اعتقل عام ١٩٨٣ بتـهمة حيازة أسلحة وتشكيل تنظيم عـسكرى والتحريض على إزالة الدولة العبرية من الوجود، وقـد حاكموا الشيخ أمام محكمة عسـكرية صهيونية أصدرت عليه حكمًا بالسجن لمدة ١٣ عامًا.

وأفـرج عنه عام ١٩٨٥ فى إطـار عمليـة تبـادل للأسرى بيـن سلطات الاحتـلال والجبهة الشعبية لتحرير فلسطيـن - القيادة العامة - بعد أن أمضى أشهرًا فى السجن،

في عام ١٩٨٧ اتفق أحمد ياسين مع مجموعة من قادة العمل الإسلامى فى قطاع غزة على تكوين تنظيم إسلامى بغية تحرير فلسطين أطلقوا عليه اسم «حركة المقاومة الإسلامية» المعروفة اختصاراً باسم «حماس»، بدأ دوره فى حماس بالانتفاضة الفلسطينية الأولى التى اندلعت آنذاك والتى اشتهرت بانتفاضة المساجد ، ومنذ ذلك الحين وأحمد ياسين يعتبر الزعيم الروحى لحركة حماس، ولعل هزيمة ١٩٤٨ من أهم الأحداث التى رسخت فى ذهن ياسين والتى جعلته فى قناعة تامة بضرورة إنشاء مقاومة فلسطينية فى وجه الاحتلال الإسرائيلى، فيرى بضرورة تسليح الشعب الفلسطينى والاعتماد على السواعد الوطنية، وكذلك البعد العربى والإسلامى فى تحرير فلسطين، إذ لا يرى ياسين أى جدوى فى الاعتماد على المجتمع الدولى فى تحرير الأرض الفلسطينية، وكما يروى: «لقد نزعت الجيوش العربية التى جاءت تحارب إسرائيل السلاح من أيدينا بحجة أنه لا ينبغى وجود قوة أخرى غير قوة الجيوش، فارتبط مصيرنا بها، ولما هزمت هزمنا، وراحت العصابات الصهيونية ترتكب المجازر والمذابح لترويع الآمنين، ولو كانت أسلحتنا بأيدينا لتغيرت مجريات الأحداث».

وحركة حماس هى امتداد لحركة الإخوان المسلمين العالمية التى مقرها القاهرة/ مصر، وكان مؤسسها حسن البنا الذى تم اغتياله على يد الحكومة المصرية فى ١٣ فبراير ١٩٤٩م.

فى مايو ١٩٨٩ قامت سلطات الاحتلال باعتقال الشيخ أحمد ياسين مع المئات من أبناء حركة حماس فى محاولة لوقف المقاومة المسلحة التى أخذت آنذاك طابع الهجمات بالسلاح الأبيض على جنود الاحتلال ومستوطنيه واغتيال العملاء.

في أكتوبر ١٩٩١ أصدرت محكمة عسكرية صهيونية حكمًا بالسجن مدى الحياة مضافًا إليه خمسة عشر عامًا، بعد أن وجهت للشيخ لائحة اتهام تتضمن ٩ بنود منها التحريض على اختطاف وقتل جنود صهاينة، وتأسيس حركة «حماس» وجهازيها العسكرى والأمنى.

ويعانى الشيخ أحمد ياسين من مجموعة من الأمراض، فبالإضافة إلى إصابة الشيخ بالشلل التام، فإنه يعانى من أمراض عدة منها «فقدان البصر فى العين اليمنى بعد ضربه عليها أثناء التحقيق، وضعف شديد فى قدرة الإبصار للعين اليسرى، التهاب مزمن بالأذن، حساسية فى الرئتين، أمراض والتهابات باطنية ومعوية»، وقد أدى اعتقال الشيخ أحمد ياسين إلى تدهور حالته الصحية مما استدعى نقله إلى المستشفى مرات عدة.

وفى ديسمبر ١٩٩٣ قامت مجموعة فدائيه من مقاتلى كتائب الشهيد عز الدين القسام بخطف جندى صهيونى وعرضت المجموعة الإفراج عن الجندى مقابل الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين ومجموعة من المعتقلين فى السجون الصهيونية بينهم مرضى ومسنون ومعتقلون عرب اختطفتهم قوات صهيونية من لبنان إلا أن الحكومة الصهيونية رفضت العرض وداهمت مكان احتجاز الجندى، مما أدى إلى مصرعه ومصرع قائد الوحدة المهاجمة قبل استشهاد أبطال المجموعة الفدائية فى منزل فى قرية بيرنبالا قرب القدس.

وتم الإفراج عنه مقايضة لعملاء الموساد الذين تم القبض عليهم بعد المحاولة الفاشلة لاغتيال رئيس المكتب السياسى لحماس خالد مشعل فى عاصمة الأردن عمان.

فى يونيو ٢٠٠٣م أعلنت المصادر الإسرائيلية أن ياسين لا يتمتع بحصانة، وأنه عرضة

لأى عمل عسكرى إسرائيلى، وفى سبتمبر ٢٠٠٣م تعرض لمحاولة اغتيال إسرائيلية عندما قامت المقاتلات الإسرائيلية بإلقاء قنبلة زنة ربع طن على أحد المبانى فى قطاع غزة، وكان أحمد ياسين متواجدًا فى شقة داخل المبنى المستهدف مع مرافقه إسماعيل هنية، فأصيب ياسين بجروح طفيفة جراء القصف ، وأعلنت الحكومة الإسرائيلية بعد الغارة الجوية أن أحمد ياسين كان الهدف الرئيسى من العملية الجوية.

وأخيرًا تم اغتياله من قبل الاحتلال الصهيونى وهو يبلغ الخامسة والستين من عمره بعد مغادرته مسجد المجمع الإسلامى الكائن فى حى الصبرة فى قطاع غزة وأدائه صلاة الفجر فى يوم الأول من شهر صفر من عام ١٤٢٥ هجرية، الموافق ٢٢ مارس من عام ٢٠٠٤ ميلادية بعملية أشرف عليها رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق آرئيل شارون، إذ قامت مروحيات الأباتشى الإسرائيلية التابعة لجيش الدفاع الإسرائيلى بإطلاق ٣ صواريخ تجاه المقعد وهو فى طريقه إلى سيارته مدفوعًا على كرسيه المتحرك من قبل مساعديه، فاغتيل فى لحظتها وجرح اثنان من أبنائه فى العملية، واغتيل معه ٧ من مرافقيه.

* * * *

إبراهيم هنانو

زعيم سورى، وأحد قادة الثورة السورية ضد المستعمر الفرنسى، رفض مساعدة الزعيم الروسى لينين، وقرر أن البلاد العربية والإسلامية لابد أن تقود ثوراتها بنفسها، حكم عليه الفرنسيون بالإعدام.

هو إبراهيم بن سليمان أغا بن محمد هنانو، ولد فى بلدة (كفر تخاريم) فى محافظة إدلب غربى حلب ببلاد الشام قبل تقسيمها بمعاهدة سايكس بيكو. نشأ فى أسرة كردية غنية لأب كان من أثرياء حلب ولأم من الأعيان. درس الحقوق فى الجامعة السلطانية فى الأستانة عاصمة العثمانيين على غير رغبة والده، عين فى مناصب إدارية عديدة فى تركيا وسوريا .

وبدأ إرهاصات الثورة حيت تولى رئاسة ديوان والى حلب رشيد طليع الذى شجعه على الثورة بالتنسيق مع الأمير فيصل، وانتخب ممثلاً لمدينة حلب فى المؤتمر السورى الأول فى دمشق لدورة عام ١٩١٩ .

ترأس هنانو اجتماعًا ثوريًا مع نهاية العام فى منزل قائم مقام مدينة إدلب السورية، والذى ضم وجهاء البلد والوطنيين، وتم اختياره لتشكيل ميليشيات قوات عربية فى الشمال لمقاومة الفرنسيين الذين احتلوا أنطاكية التى كانت تحت يد أخيه (عزة هنانو)، أول صدام مسلح كان يوم ٢٣ أكتوبر (تشرين الأول) من نفس العام الذى قامت فيه أيضًا الثورة فى مصر ضد الإنجليز .

رفض (هنانو) معاهدة الانتداب التى وقعها الأمير فيصل مع فرنسا عام ١٩٢٠، فانقسم السوريون بين مؤيد لها ومعارض، مما جعل وضع هنانو صعبًا، واضطر لطلب العون من تركيا التى أمدته بالسلاح والذخيرة، فخاض ضد الفرنسيين معارك بلغ عددها ٢٧ معركة، وأسر فيها جنودًا فرنسيين وحين لاحقته القوات الفرنسية فى دمشق وحلب اضطر إلى نقل قاعدته إلى الشمال، وأعلن (دولة حلب المستقلة)، مما اضطر الفرنسيين إلى إجراء مفاوضات معه رفض شروطها، صعب موقفه أكثر بتوقف إمدادات الأتراك بعد أن وقع كمال أتاتورك معاهدة مع فرنسا التى طالبت بقبول الانتداب الفرنسى على سوريا وحل الجيش والاعتراف بالعملة الورقية الفرنسية، وتغيير حكومة حلب، وقبل الأمير فيصل الإنذار، بينما رفضه هنانو والثوار، وبينهم يوسف العظمة الذى قتل فيما بعد فى معركة ميسلون، حكم على هنانو غيابيًا، وقال النائب العام الفرنسى: (لو أن لهنانو سبعة رءوس لقطعتها كلها)!

لكن القاضى الفرنسى برأه واعتبره (ثائرًا سياسيًا وليس مجرمًا) بدليل التفاوض معه من قبل، تولى «إبراهيم هنانو» زعامة الحركة الوطنية وعين رئيسًا للجنة الدستور فى الجمعية التأسيسية لوضع الدستور السورى الذى حاول الفرنسيون إعاقة صدوره بشدة، مما أشعل المظاهرات فى كل البلاد، وكانت الثورة فى جنوب سوريا قد اشتعلت بقيادة سلطان باشا الأطرش.

انتخب «هنانو» زعيمًا للكتلة الوطنية، واضطر للانسحاب إلى الجنوب بعد مقتل عدد كبير من قواته فى كمين، وأكمل طريقه إلى الأردن فالقدس، حيث اعتقله الإنجليز وسلموه للفرنسيين.

تعرض لمحاولة اغتيال فى سبتمبر من عام ١٩٣٣ بعد مقاطعته لحكومة حقى العظم التى حاولت توقيع معاهدة مع فرنسا انسحب بعدها إلى قريته (ستى عاتكة) للإشراف على مزرعتـه، وتوفى فى نوفمبر تشرين الثـانى ١٩٣٥ ، وأعلن الأذان يومها فى كل جوامع القطر ودقت أجراس الكنائس، وعم الحزن أنحاء الوطن العربى، وكانت أغنية شعبية يغنيها الأطفال تقول:

طيارة طارت بالليل   فيها عســـكر فيها خيال

فيها إبراهيم هنانو   راكب على ضهر حصانو

* * * *

جمال الدين الأفغانى

من رواد ومفكرى اليقظة الإسلامية الحديثة، اختلفت المصادر على أصوله ونسبه ومذهبه الدينى، لكن هناك مصادر وثيقة بينها ما سجله ابن أخته لطف الله أسد آبادى بالفارسية عنه وترجم للعربية، وكذلك معاصره الحاج (حسين آغا) الشاعر النجفى، ونقله مؤرخون ودارسون عرب.

هو (محمد جمال الدين الحسينى بن السيد صندر بن على بن مير رضى الدين محمد الحسينى وصولاً إلى الإمام على كرم الله وجهه)، ولد بالتحديد فى حى سيدان (أى السادة الأشراف) فى أسد آباد بالقرب من همذان بإيران، وأنجب أبوه أربعة أولاد بينهم جمال الدين، وأخوه (مسيح الله)، يوجد شاهد على قبره بهذا الاسم!

وأوصاهم الأب أن يدفن فى مدينة (قم) المقدسة فى إيران بما يوحى بانتمائه الشيعى!

درس جمال الدين فى قريته ثم فى طهران وقزوين، وانتقل مع أبيه إلى العتبات المقدسة بالعراق، ودرس فى النجف لمدة أربعة أعوام علوم اللغة العربية والدينية والفلك، وانتقل بعدها إلى الهند التى شكلت وجدانه وأثرت فيه سياسيًا وفكريًا إلى حد كبير بعد التعمق فى دراسة (الحكمة والفلسفة) مقارنة بما سماه (التفكير بالأمور السطحية النصية فى النجف)، كانت تجربته الأفغانية محطة مهمة فى حياته، فقد بدأ ظهوره إلى العلن بعد انتقاله إليها عام ١٨٦٦، وعاش فى قندهار، ومن هنا تبدو سيرة حياته أوضح، عايش الأفغانى فترة الحروب الأهلية هناك بين أبناء (دوست)

محـمد خـان ومنها انتقل بعـد ثلاثة أعوام تقـريبًا إلى أسـتانبول بتـركيـا، وعرف بـ (الأفغانى)، واشتهر بهذا اللقب رغم أنه سمى نفسه هناك (الإستانبولى) عام ١٨٧٠، وتعلم التركية وحـاضر فى الفقه والفلسفة، واتهم بالهرطقـة، فارتحل إلى القاهرة عام ١٨٧١، واتصل به سعـد زغلول باشا، وبقى فيـها حتى أخـرجه منها قـرار الخديوى توفيق عام ١٨٧٩ بترحيله خشية أفكاره الجمهورية !

وانتقل إلى (حيدر آباد) ومنها إلى (كالكوتا) بالهند، ثم إلى باريس حيث اشتهرت مساجلاته الفكرية مع (أرنست رينان) المؤرخ والفيلسوف الفرنسى، وعرفته فرنسا التى أسس فيهـا جمعية سـرية هى (العروة الوثقى) عام ١٨٨٤ لإيقاظ الأمة الإسـلامية، وكان يشـترط على أعضـائها أداء القسم المشـهور بالله تعالى (العـالم الجزئى والكلى والجلى والخفى القائم على كل نفس) إلى : (وبالله مـالك روحى ومالى القابض على ناصيتى لأبذلن ما بوسعى لإحياء الأخوة الإسلامية)..

وأصدر صحـيفة (العروة الوثقى)، وكـان يحرر معظمهـا الشيخ (محمـد عبده)، ويتولى الترجمة عن الصحف الغربية تلميذه (ميرزا محمد باقر) وتوقفت الصحيفة بعد حظر دخولها إلى معظم الأقطار الإسلامية والعربية بخاصة مصر على يد وزارة (نوبار باشا).

لعب الأفغانى دورًا فـى الحياة السياسـية، فاستخـدمه الإنجليز فى مفـاوضتهم مع السلطان العثـمانى عبد الحـميد الثانى الذى أفرد لـه قاعة خاصة فى القـصر مع ثلاثة آخرين لكتـابة رسائل إلى شـيعة العـراق وإيران للالتفاف حـول السلطان لدرء الخطر الأكبر الآتى من (الكفار) واليهود، لكن السلطان (عبد الحميد الثانى) يكتب بعد ذلك فى مذكـراته ورسائله أن (جمال الدين هذا كـان رجل الإنجليز) ! بينما يذكـر جمال

الدين نفسه أن اللورد البـريطانى (سالسبرى) عرض عليه زعـامة السودان، وأن يكون ملكًا عليـه، فرد عليه بأن (الـعرض يعبـر عن جهل سـياسى، فالسـودان ليس ملك الإنجليـز حتى تملك أحـدًا عليه). اسـتعـانت به روسيـا أيضًا بين عـامى (١٨٨٧ - ١٨٨٩) ضد الإنجليـز، لكن طرد من قبل قيـصر روسيـا، ويذكر أنصار الأفـغانى أن الطرد كان بسبب مـواجهة حدثت بينه وبين القيصـر حيث اتهمه الأفغانى بـالاستبداد وبنياته الاستعمـارية ضد إيران، وحاول ممارسة لعبة السياسة كمـستشار للشاه الإيرانى (ناصر الدين شـاه)، لكنه أبعده أيضًـا خشيـة منه عام ١٨٩٢، فارتحل الأفـغانى إلى لندن ليصدر صحيفة يهاجم فيها الشـاه ويدعو إلى مقاومته ومقاطعة التبغ البريطانى، فتلقى دعـوة من السلطان العثمـانى حيث قتل وهو فى منزل للـضيافة فى الأسـتانة، وظل مكان قبره سرًا حتى عام ١٩٤٤ حيث نقلت رفاته إلى أفغانستان باعتباره أفغانيًا وبنى له ضريح فى (كابول) لكن مـصادر تقول أنه دفن فى تركيا فى (مقـبرة المشايخ) (شيخلر مزار) فى تلة (نشانطاش) على مقربة من البيت الذى أسكنه فيه السلطان .

يبدو أن الأفغانى أخفى (مذهبه الشيعى) مـتعمدًا إلى حد أن قليلين كانوا متأكدين من تشيعه حتى الإمام محمد عبده قـال عنه: إنه كان (حنيفيًا) بمعنى (حنيفيًا جعفريًا) وأضاف أنه أيضًا (حنفى المذهب) فى غموض يفهم منه أنه كان مستقيم المذهب.

لكنه استدرك بأن الأفـغانى (كان يؤدى الفرائض فى مذهبـه)، بينما يذهب الشيخ (مصطفى عـبد الرازق) إلى أن (الأفـغانى) كان فى الـغالب إيرانيًا شـيعيًـا والباحـثة الوحيـدة التى ترد أصول الأفغانـى إلى أفغانستـان هى الأمريكية (نيكى كـيدى) التى ترجع أصوله إلى أسرة عريقة فى كابول، وإن كان معاصره الحاج حسين أغا تأكد من وجود عـائلة الأفغانى فى أسـد آباد فى إيران بنفسه، وأيًا مـا كان فإن الأفغـانى كان يتكيف حـسب البـلاد التى يزورها، ويقال أنه كـان يرتدى زى الأفـغان حـين دخل

استانبول بالجبة والعمامة الشهيرة، وحين سافر أوروبا لبس الطربوش، وفى الحجاز كان يلبس العقال والشماغ، وفى إيران خلع زيه الأفغانى الذى عرف به فى تركيا ومصر، ولبس كسيد من علماء الشيعة، فوضع العمامة السوداء خلف الأذن والعباءة الرقيقة على كتفيه، ولقب بالحسينى نسبة إلى سيدنا الحسيم. وصف بأنه كان أقرب إلى القصر منه إلى الطول، أسمر اللون فى صفرة، مهيبًا جذاب الملامح مشرق الوجه منبسط الأسارير، له بريق فى عينيه، نظراته ثاقبة فى مخاطبيه، رحب الصدر، سليم القلب، شجاع لا يخاف أحدًا فخور بنسبه الشريف، مثقف ثقافة عصره.

قال عنه المؤرخ (جرجى زيدان): كان خطيبًا لم يقم فى الشرق مثله. للأفغانى مقالات وكتب أهمها (الرد على الدهرية) نقله محمد عبده من الفارسية إلى العربية، وكان الأفغانى يتقن اللغتين معًا بالإضافة إلى الترمية وبعض اللغات الأوروبية، وقد صدرت عنه مراجع وكتب كثيرة باللغة العربية والفارسية والإنجليزية والفرنسية.

* * * *

سلطان الأطرش

أشهر رجال الثورة السورية على الحكم العثمانى ثم الفرنسى، انحدر من أسرة مناضلة ، والده أعدم على يد السلطة العثمانية فى عام ١٩١١ مع عدد من زعماء الدروز، (سلطان الأطرش) من جبل الدروز جنوب سوريا، اكتسب صلابته وقوته من البيئة هناك، ولد فى قرية فى حضن الجبل عام ١٨٨٦م. (سلطان باشا الأطرش) عاش فى زمن كان الاستعمار الغربى- الإنجليزى والفرنسى - يطمع فى منطقة ما كانوا يسمونها بالهلال الخصيب، وحين أعلن الشريف حسين أمير مكة الثورة العربية الكبرى انضم (سلطان) وقبيلته (بنو معروف) إلى صفوف الثورة، وكان (سلطان) أول من رفع علم الثورة على قلعة (صلخب) بجبل الدروز، واستطاع مع قواته هزيمة القوات التركية وأسر قائدها، وحين سقطت الدولة العثمانية فى هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى أمام الاستعمار الفرنسى الذى كانت من نصيبه أرض الشام كان (جبل الدروز) قد أصبح (دولة) منفصلة عن باقى البلاد.

حسب التقسيم الطائفى الذى ابتدعته فرنسا، على شرط قبول الانتداب الفرنسى، ورفضه السوريون (سلطان الأطرش) بدأ نضاله ضد الفرنسيين حين أعدموا أحد قادة المقاومة، وكان ينزل ضيفًا عليه، فكانت عملياته العسكرية التى هزم فى إحداها وتم ترحيل أسرته إلى الأردن، لكن استمرار عمليات الاستنزاف أجبر الفرنسيين على إعادته إلى وطنه، سلطان الأطرش أعلن الثورة الوطنية السورية ضد الانتداب الفرنسى رسميًا فى ٢٢ أغسطس من عام ١٩٢٥ ، وساعده سعد زغلول فى مصر. وظل فى قريته حتى مات عام ١٩٨٢ عن ٩٦ عامًا.

سليمان الحلبى

سليمان الحلبى هو شاب سورى ولد بمدينة حلب، وكان أبوه الحاج محمد أمين يعمل بالتجارة، التحق سليمان الحلبى بالأزهر ودرس به عدة سنوات، ثم رحل عن القاهرة، ولما علم بقيام الفرنسيين بغزو مصر، وأن كليبر قد اقتحم الأزهر بالخيول وعبث بالكتب الدينية، ثارت فى نفسه الغيرة الإسلامية، وقدر اغتيال الجنرال كليبر الذى عمل قائداً للحملة الفرنسية بعد رحيل نابليون عن مصر إلى فرنسا، وأعد سليمان الحلبى عدته وسافر إلى القاهرة التى يعرف دروبها وشوارعها جيداً من قبل، ونزل برواق الشوام فى الأزهر وانتظم فى سلك التعليم بالأزهر ، ثم شكل خلية طلابية من أربعة من الطلبة هم محمد الغزى وأحمد الوالى وعبد الله الغذى وعبد القادر الفزى، ومن خلال هذه الخلية الطلابية قام سليمان الحلبى ورفقه بمراقبة الجنرال كليبر جيداً ومعرفة تحركاته ومواعيده، وتم إعداد الخطة لاغتيال كليبر، وفى يوم ١٤ يونيو ١٨٠٠ قام سليمان الحلبى بالتنكر فى زى متسول ، وطعن كليبر بخنجره عدة طعنات فى حديقة دار القيادة العامة الفرنسية بالأزبكية، مما أدى إلى مصرع كليبر. وتمت محاكمة سليمان الحلبى ورفاقه الأربعة، وصدرت الأحكام بإعدام سليمان الحلبى «على الخازوق» بعد حرق يده، وترك جثته تأكلها الطير، وإعدام رفاقه الأربعة بقطع رءوسهم وإحراق جثتهم بعد الإعلام، وقد تم تنفيذ الحكم فى سليمان الحلبى وثلاثة من رفاقه، أما الرابع فكان قد هرب وهو عبد القادر الغزى.

* * * *

المصادر والمراجع

١ - أسيمة جانو: موسوعة الألف عام - شخصيات صنعت التاريخ- دار المعارف، ٢٠٠٦.

٢ - أسيمة جانو: موسوعة الألف عام - شخصيات صنعت التاريخ- الجزء الثانى - دار المعارف - ٢٠١٠.

٣ - إبراهيم عبد النبى: موسوعة أعلام القرن العشرين - أشهر القادة - دار الحسام - ١٩٩٧م.

٤ - أحمد حلمى إبراهيم: عظماء فى سيرة التاريخ - مطابع مؤسسة روز اليوسف - ١٩٧٦م.

٦ - أنيس منصور : الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ﷺ - الزهراء للإعلام العربى - القاهرة ١٩٨٦م.

٧ - خالد عبد اللاه: أشهر التصفيات السياسية فى التاريخ - دار مشارق - القاهرة ٢٠٠٩م.

٧ - صالح جودت: ملوك وصعاليك - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة ٢٠٠٦م.

٨ - السيد عبد الرءوف: أسماء أضاءت التاريخ - كتاب الجمهورية عدد أغسطس - ٢٠٠٦.

٩ - عمر أبو النصـر: ثوار - صدر عن مكتب عمر أبو النصر للتأليـف والترجمة والصحافة - بيروت - ١٩٦٨.

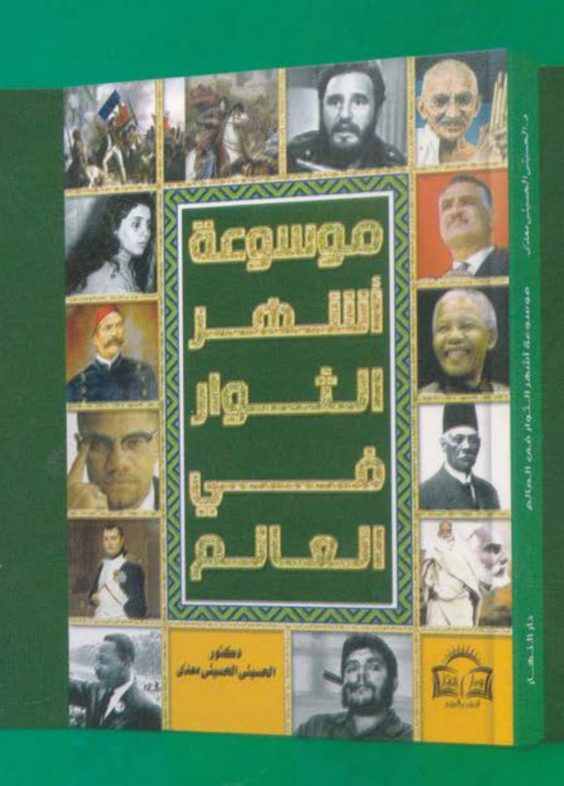
١٠ - مجلة الهلال- الحرية - عدد خاص - دار الهلال - أول يوليو ١٩٦٧.

١١ - مجلة الهلال - ثورات العالم - وثائق تاريخية وصور نادرة - عدد خاص - دار الهلال - أول أغسطس ١٩٦٨.

- مواقع عربية وأجنبية على شبكة الإنترنت الدولية.

الفهرس

الموضوعات	الصفحات


موسوعة أشهر الثوار في العالم
دكتور
الحسيني الحسيني معدي


دار النهار
للنشر والتوزيع